

والقبائل الرحالة في العراق

مكي الجميل

البدو

والقبائل الرحالة في العراق

« واوصيك بأهل البادية خيرا فانهم أصل العرب ومادة الاسلام أن تاخذ من حواشي أموال اغنيائهم ، فترده على فقرائهم » .

عمر بن الخطاب
في وصيته لمن بعده

تأليف

مكي الجميل

اشرف على طبعه

جهاد العبايجي

مطبعة الرابطة ـ بغداد
١٩٥٦


PDF مكتبة نرجس
www.narjes-library.blogspot.com



هنالك في قلب الصحراء الممتدة من الرطبة إلى صفوان طولا ومن حدود الوية الدليم وكربلاء والديوانية والمنتفك الى الحدود السورية والاردنية والسعودية عرضا ، تقطن قبائل اغلبها من الرحل الذين يحلون في بعض فصول السنة بمواقع معينة ويرحلون في الفصول الاخرى انتجاعا للكلأ دون ان تشملهم ضوابط الاحصاء أو تمسهم يد الحضارة ، بالاضافة الى حرمانهم من الماء العذب فضلا عن ابسط وسائل العيش والمعونة الصحية ومبادىء التعليم .

ان هذه المجموعة من القبائل هي عربية ـ عراقية ويتوفر فيها الذكاء الفطري الذي قد تتدفق يوما فوائده في هذه البلاد لو تهيأ لاصحابه من الظروف المؤاتية ما يحقق لهم ذلك . وقد اخذت ادرس احوال هذه القبائل المنعزلة عن المدن خلال حياتي الادارية كموظف اداري في الالوية المجاورة للبوادي مثل لوائي كربلاء والدليم ، وجمعت ما تيسر لي جمعه عن حالتها الاجتماعية وها أنذا ابسطه لقرائي كشاهد عيان ودعوة لتحسين الوضع الذي يعامل به اخواننا اهل البوادي لتمكينهم من الارتفاع بمستواهم الاجتماعي كجزء لا يستهان به من سكان العراق لهم الحق في ان يتمتعوا بحقوق الانسان والمواطنة .

وعسى ان اكون مصيبا فيما اضعه بين ايدى القراء من مجهود متواضع وآراء فى هذا الصدد ، كما انى اقرر ان الاصلاح الشامل الوافى لا تكاد تفيه هذه المعلومات التى كتبت بوحى الساعة بل ما هى الا جزء من كل وما هى الا مساهمة بسيطة فى مشروع ضخم يتطلب ان يتفرغ له باحثون كثيرون لوضع منهاج شامل تقوم بدراسته وتنفيذه جمهرة من الاختصاصيين ، وما علينا الا ان نرى فننبه العاملين والمسؤولين وما هى الا بداية وخطة عامة لرفاه اكمل وسعادة اتم .

ومن الله التوفيق وعليه الاتكال .

فكرة هذا البحث

في سنة ١٩٣١ كنت مديرا لتحريرات لواء الموصل وما ان حلت سنة ١٩٣٢ حتى جوبهت المتصرفية بسيل جارف من العرائض والمضابط والبرقيات من تجار الموصل وغرفة تجارتها وكلها حافلة بالشكوى من تناول عشائر شمر (الخاوة) من التجار الذين يتاجرون مع سوريا عن طريق (الموصل ـ حلب) وطريق (الموصل ـ عنه ـ دير الزور) فكانت هذه الشكاوى تحال الى القائمقامين المختصين الذين الفتوا نظر المرحوم الشيخ عجيل الياور الى ذلك ، وبينوا له ان (الخاوة) ممنوعة فلم يزد جوابه اليهم على قوله « انني لا اتمكن من منع شمر من تناول الخاوة ما لم تقم الحكومة بتخصيص اراضي الى العشيرة لاسكانها » وما كان جواب المرحوم الشيخ عجيل الياور حين يحضر الى مركز اللواء ليتعدى ما اجاب به اولئك القائمقامين مما ذكروه في تقاريرهم حول الموضوع •

وعلى ان الشيخ عجيل الياور يعتبر من الرجال القلائل الذين يفرضون على جلسائهم احترامهم بل ومحبتهم فرضا ، لرجاحة عقله وحسن تصرفه وكياسته ورزانته وهدوئه وتدينه وتقواه ، وللرغبة التي سرعان ما يحس بها جليسه من اعماق قلبه لتقديم كل مساعدة ورعاية الى شخصه المحترم من كافة الاوجه ، الا انه على رغم ذلك كان غير

محبوب من كثير من طبقات سكان لواء الموصل لسبب واحد فقط ، الا هو تناول عشيرته (الخاوة) من تجارها •

بقى ان نعلم ان سنة ١٩٣٢ كانت سنة امحال وجفاف ، ظمأت فيها الارض الى المطر واصاب المزروعات فيها ضرر عظيم حتى اننى لا ازال اذكر ان السيد فاروق الدملوجي الطبيب البيطري فى لواء الموصل يومئذ كان قد احضر معه كرات سوداء استخرجت من بطون الاغنام المذبوحة وكان ذلك نتيجة لالتهام الاغنام صوف بعضها بعضا بحيث اضطرت عشائر شمر ان تدخل المناطق الكردية من لواء الموصل التى كانت أقل جدبا ، وكادت تؤدى تلك الحال الى وقوع حوادث دموية لولا التدابير الادارية التى اتخذت يومئذ ، ولولا اعطاء اجور مناسبة الى اصحاب تلك الاراضى •

وكانت المتصرفية لا تتوانى فى تقديم المقترح تلو المقترح الى الوزارات المختصة حول احياء بعض الانهر المندرسة ، لغرض تخصيصها الى عشائر شمر ••• والحكومة لا تحرك ساكنا بالنظر لعدم تيسر الامكانيات آنئذ ، أو لاسباب أخرى هى اعرف بها منى •

وفى أواخر سنة ١٩٣٣ كنت مديرا لناحية المحاويل فشاهدت فى صباح احد الايام قوافل طويلة (استغرق مرورها من مركز الناحية من الصباح الباكر حتى العصر) من الجمال التى تحمل بيوت الشعر والرجال والنساء الراجلين وهم يحملون اطفالهم وقد هدهم الاعياء ، صفر الوجوه جياع ظمأى يبحثون عن الخصب يائسين ، ثم علمت انهم بعض افخاذ شمر ووجهتها لواء الديوانية طلبا للماء والكلأ فكان منظر الاجهاد والبؤس المرتسم على ملامحهم الذابلة مما يؤثر فى النفس أشد

التأثير ويوضح لكل انسان التعاسة والشقاء اللذين ابتلى بهما هذا الصنف من السكان •

هذا موجز لما اتذكره من حالة هذه العشيرة التى ان اخذت (الخاوة) فانما كان ذلك لان لصبر النفس الانسانية حدودا اذا ما تعداها الجوع والاعياء والحرمان فعلت كل ما تراه مؤديا لرى غليلها وملء بطونها • وستبقى هذه الصورة الكالحة اثرا اسود فى جبين أى حضارة لا تعمل على اسعاد هذه الفئة من الناس الذين ما يزالون ضحية للجهل والخرافات ، ينامون على ظهور مطاياهم ويتشردون فى مختلف الانحاء هائمين بلا مستقر ولا غاية ولا أمل فى الحياة ، وكلنا يعلم ان المرأ اذا فقد هدف العمر مات • أجل لن تمحى هذه الصورة من ذاكرتى ما حييت •

أعقب ذلك اندلاع الحرب العالمية الثانيـــة سنة ١٩٣٩ فأستعين بخدماتى فى شؤون التموين سنة ١٩٤٤ فدرست الشروط الثقيلة التى فرضت لتموين العشائر الرحالة التى ترتاد ناحية الزبير للاكتيال ، ولاحظت عن كثب البؤس الذى كان يسود حالة هذه العشائر كنتيجة لحرمانهم من حق شراء المواد الغذائية الا تحت ضغط تلك الشروط على زعم انهم يسكنون البوادى المتاخمة للحدود العراقية ـ الكويتية والحدود العراقية ـ النجدية ، فظهر لى بصورة صريحة وجلية ان العشائر الرحالة لا تتمتع بحق المواطنة العراقية وانها تعامل كالبهائم أو بما يشبه ذلك من معاملة •

حيث انه بالرغم من قلة الكمية التى فرضت لهذه العشائر ، فقد كان من الشروط المفروضة لاكتيالها ان لا تعطى الا اسوأ انواع الرز

ومسحوقـــه مع اســـوأ انواع الطحـــين ، أو بالاحرى كميـات الطحين التى تمضى على طحنها مدة طويلة أى حين يصيبها التلف والتعفن والفساد ، بالاضافة الى المجهود المضنى الذى كانوا يعانون منه الامرين لمجرد الحصول على تلك الاغذية ، فيسيرون المسافات الطوال تحت لهب الشمس المحرقة وقد يسقط منهم من يسقط صريع الجوع أو الظمأ أو الاعياء ، وكل ذلك ليحصل على لقمة يسد بها افواه اطفاله وعياله أو قطعة من القماش يستر بها بدنه غير آبه لسكن ولا لوطن يستقر فيه ما دامت الارض كلها هذا الامتداد الشاسع من الرمال التى تخاذل امامها الانسان هنا ، وان لم يتخاذل امامها فى البلدان الاخرى بل حولها الى فردوس عذب المياه • وفى اوائل حزيران من سنة ١٩٤٦ بينما كنت مسافرا الى عنه لاستلام مهام قائمقاميتها شاهدت فى اماكن مختلفة من الطريق وبشكل يلفت النظر ، كثيرا من الاغنام الميتة المرمية فى الطريق العام ولم تكن غير اغنام العشائر الرحالة التى حلت فى لواء الدليم نتيجة الجدب والمحل • وكان افراد العشائر يتوسلون الى المارة ان يشتروها قبل هلاكها • وبعد وصولى الى القضاء المذكور قدمت لى اضابير قضايا قتل حدثت بين بعض العشائر والعشائر الاخرى نتيجة لهفتهم الى الاستحواذ على العشب المتيسر فى بعض مواقع المنطقة •

وعند اشتغالى فى لواء الدليم سنة ١٩٤٨ شاهدت قسما آخر من ذيول مأساة ١٩٤٦ التى شاهدتها فى قضاء عنه • وفى اواخر سنة ١٩٥٠ اشتغلت فى متصرفية لواء كربلاء ، فشاهدت مأساة بل كارثة كان ابطالها كل من عشيرتى عنزة وشمر العراقيتين والاخيرة تنتصر لعشيرة الزكاريط التى هى فخذ من عشيرة شمر سكنت لواء كربلاء منذ امد قديم وخلاصة

الامر ان كلا من طرفى النزاع عنزة والزكاريط ، تنازعا على أرض صحراوية فيها بعض عيون للماء ولكنها لم تكن كافية حتى لزرع ارض مساحتها العشرة افدنة • وقد تطور النزاع فدخل فيه كطرف آخر بعض عشائر شمر النجدية ولكن هى العنعنات العشائرية وحب الاثرة والبعد عن روح التسامح ودخول عشائر شمر طرفا فى النزاع كل ذلك سبب للادارة متاعب لا مبرر لها • ولكنه فى الواقع كان يولد خطرا آخر اعظم واشد وطأة •••

لقد كان يرسب فى نفوس افراد العشائر حبا واحـدا فقط • ذلك هو حبهم لعشيرتهم المهاجرة الشريدة ، فاذا بحثت فى نفوسهم فلن تجد معنى لكلمة الوطن فيها وهل يعرف الوطن من لا يملك قطعة من ارضه ، يمتزج ترابها بدمائه وتهبه الحياة رزقا مغـدقا والسكن منزلا والحماية ملجأ • انا نفقد هؤلاء الناس كمواطنين ان لم نكن نفقدهم فى كل يوم بشرا من جنسنا يموتون ضحايا للامراض والقحط والقتل، بشرا يحسدون الفرق والاقـوام المتأخرة الذين تحضروا واستوطنوا المزارع وبدأوا يعرفون طعم الحياة •• هؤلاء الناس •• هذه القلوب النابضة بالاخلاص قد يكونون فى يوم من الايام جنـــودا مخلصين فى جيشنا ومواطنين صالحين مثلنا يسعون بجهودهم وعددهم العديد فى سبيل تقدم هذه البلاد ورفاهها •• انهم لا يريدون الا هذه الصحراء فلماذا لا نهبهم اياها ونجرى فيها هذا الماء الذى تحكمنا فيه بمشاريعنا التى نفخر بها الآن ! عند ذلك •• بل سأترك ذلك لكم لتحكموا •• لتروا أية جنة سيصبح وطننا وأى رفاه سيعمنا واية راحة ستنالها ضمائرنا حين

نرى هؤلاء البشر .. افراد وطننا سعداء مستقرين فى بيوتهم ومزارعهم .!

لقد تتبعت بأهتمام بالغ بحكم اشتغالى فى الادارة مدة طويلة امر هذه العشائر وحالتها الاجتماعية والحياة البدائية التى تحياها ، وكنت اتردد الى بعض المواقع من البادية بحكم عملى فأشاهد عن كثب الوضع السائد فى تلك الجهات والحياة البائسة هناك من جهل مطبق وشقاء شامل وعيون زائغة تتطلع الى الصحراء فما تجد فى رمالها الكاوية بارقا من أمل ولا شعاعا من رجاء وترد نظراتها الكليلة فما تلقى العطف ولا الرعاية من الوطن .. هذا الوطن الذى ما يزالون على ما يعانون يخلصون له كل الاخلاص وطن ما زالوا ينظرون اليه نظرة الامل علهم ينالون فى أراضيهم الممحلة شيئا من الخيرات ومكانا يستقرون فيه من عذاب التجوال ومرارة الانتقال .. والا فهل يلذ لهم ان يهبطوا فى كل يوم مكانا ثم يودعونه بعيون زائغة وافئدة متلهفة ...

ان هذا الوضع قد اوحى لى تدوين ما شاهدته وما اختبرته من أمر هذه العشائر وما حصلت عليه من معلومات وحقائق عنها ، ودعانى الى تدوين ملاحظاتى عن اوجه الاصلاح التى اعتقد بضرورة الاخذ بها لاخفف عن نفسى ما تنوء به من عبء . اعقب ذلك انعقاد حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية (الدورة الرابعة) بدعوة من الحكومة العراقية مشمولة بالرعاية الملكية السامية والتى دامت من ٦-٢١ آذار من سنة ١٩٥٤ فى بهو امانة العاصمة وكان من منهاج اللجنة الثانية التى اشتركت فيها موضوع (دور الرعاية الاجتماعية فى توطين البدو والعشائر) الذى تضمن :

١ ـ البدو والعشائر وتأثر حياتهم بتطورات الحياة الاجتماعية الحديثة السائدة في الدول العربية •

٢ ـ توطين البدو والعشائر في المشروعات الزراعية الحديثة ـ امكانياتها وآثارها الاجتماعية •

٣ ـ الخدمات الاجتماعية والصحية والثقافية للبدو والعشائر •

٤ ـ تنظيم الرعاية الاجتماعية بين البدو والعشائر المتوطنة حديثاء

أ ـ الاساليب والوسائل الفنية لتنظيم وادارة هذه الخدمات •

ب ـ الباحثون الاجتماعيون والرواد (اختيارهم وتدريبهم وفعالياتهم) •

هذا وسنبحث كل جانب من جوانب هذه المواضيع في مكانه من الكتاب • وكنت قد نشرت بعض هذه الآراء في بعض المناسبات فلاقت قبولا واستحسانا على ما بدا لي من بعض اخواني ومعارفي ممن يعنون بالشؤون العامة ، مما يضاعف املي في مستقبل هذه الفئة ويزيدني اطمئنانا الى ان يد العمل ستشرع ولا ريب في سبيل تحقيق الآمال التي تصبو اليها قلوب هؤلاء الذين وان لم يعرفوا من العراق غير صحراءه ورماله المحرقة والممحلة ومواطن الاكتيال القليلة الا انهم مع ذلك ما زالوا يفخرون في قرارة نفوسهم بأنهم عراقيون قبل كل شيء • وبالنظر لما اشعر به من ضرورة رعاية مصالح هؤلاء البدو الذين يكونون عشرة بالمائة من سكان العراق وبأعتبارهم مواطنين يجب ان تشملهم الرعاية فقد رجحت نشر هذه الدراسة لاضعها امام المسؤولين وغيرالمسؤولين ممن يهمهمامرهذا البلد والاخذ بيده واصلاحاوضاعه • ولا يمكن لهذه الدراسة المقتضبة ان تعبر تعبيرا كاملا عن كل اوضاع

البدو ، فهناك كثيرون ممن لديهم الالمام الكافى بحالتهم واوضاعهم ممن عاشوا معهم ودرسوا احوالهم دراسة شاملة وافية • ولما كانت العشائر العراقية بوجه عام والعشائر الرحالة التى هى موضوع دراستنا فى هذا الكتاب بوجه خاص قد نزحت الى هذه البلاد من جزيرة العرب التى هى موطن هذه العشائر ، فقد اقتضى ان نمهد لهذا الموضوع ، بتدوين بعض المقتبسات التى اخذناها من كتب بعض المتقدمين والمتأخرين من الكتاب ، المعنيين بشؤون الجزيرة العربية وبدوها وقبائلها ، قبل أن نلج موضوعنا الذى نحن بصدده •

« ورأت العرب ان جولان الارض وتخير بقاعها على الايام أشبه بالعز ، واليق بذى الانفة ، وقالوا : لنكون محكمين فى الارض نسكن حيث نشاء اصلح من غير ذلك ، فاختاروا سكنى البدو ، من أجل ذلك ».

« وذكر آخرون ان القدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الاخطار ، ونيل الهمم والاقدار ، وشدة الانفة والحمية من المعزة ، والهرب من العار ، بدأت بالتفكر فى المنازل ، والتقدير للمواطن ، فتأملوا شأن المدن والابنية ، فوجدوا فيها معزة ونقصا ، وقال ذو المعرفة والتمييز : أن الارضين تمرض ، كما تمرض الاجسام ، وتلحقها الآفات ، والواجب تخير المواضع بحسب أحوالها من الصلاح ؟ اذ الهواء ربما قوى فأضر بأجسام سكانه ، وأحال أمزجه قطانه ، وقال ذوو الآراء منهم : ان الابنية والتحويط حصر عن التصرف فى الارض ، ومقطعة عن الجولان ، وتغيير للهمم ، وحبس لما فى الغرائز من المسابقة الى الشرف ، ولا خير فى اللبث على هذه الحالة ، وزعموا أيضا ان الابنية والاطلال تحصر الغذاء ، وتمنع اتساع الهواء ، وتسد سروحه عن المرور وقذاه عن السلوك ؟ فسكنوا البر الافيح الذى لا يخافون فيه من حصر ومنازلة ضر ، هذا مع ارتفاع الاقدار ، وسماحة الهواء ، واعتزال الوباء ، ومع تهذيب الاحلام فى هذه المواطن ، ونقاء القرائح فى التنقل فى المساكن ، مع صحة الامزجة ، وقوة الفطنة ، وصفاء الالوان ، وصيانة الاجسام ، فان العقول والآراء تتولد من حيث

تولد الهواء ، وطبع الهواء الفضاء ، وفى هذا الامن من العاهات والاسقام والعلل والآلام ، فآثرت العرب سكنى البوادى والحلول فى البيداء ، فهم أقوى الناس همما ، وأشدهم احلاما ، واصحهم أجساما ، وأعزهم جارا ، واحماهم ذمارا ، وأفضلهم جوارا ، وأجودهم فطنا ، لما اكسبهم اياه صفاء الجو ونقاء الفضاء ، لان الابدان تحتوى اجزاؤها على تكاثف الاكدار ، وعناء الاقذار ، بما يرتفع اليه ويتلاطم فى عرصاته وأفقه من جميع المستحيلات والمستنقعات من المياه ، ففى اكنافه جميع ما يتصعد اليه ، وكذلك تراكيب الاقذار والادواء والعاهات فى أهل المدن ، وتركبت فى أجسامهم ، وتضاعفت فى اشعارهم وانثارهم ، ففضلت العرب على سائر ما عداها من بوادى الامم المقرضة كما ذكرنا من تخير الاماكن وارتياد المواطن »[1] .

- ٢ -

« قال ابن الكلبى ؛ الشعب أكبر من القبيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم العشيرة ، ثم الفصيلة وقال غيره : الشعوب العجم ، والقبائل العرب ؛ وانما قيل للقبيلة ، قبيلة لتقابلها وتناظرها ، وان بعضها يكافىء بعضا ، وقيل للشعب شعب لانه انشعب منه أكثر مما انشعب من القبيلة ؛ وقيل لها عمائر ، من الاعمار والاجتماع ؛ وقيل لها بطون ، لانها دون القبائل ؛ وقيل لها أفخاذ ، لانهـــا دون البطون ، ثم العشيرة : وهى رهط الرجل ، ثم الفصيلة وهى أهل بيت

---

(١) مروج الذهب الجزء الثانى ص ٤٠ و ٤١ .

الرجل خاصة • قال الله تعالى : « وفصيلته التى تؤويه » وقال تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين »[1] •

« فتخيرت العرب في البرارى والمهمات والمصاف ، فمنهم المخبر والمتهم ممن سكن أغوار الارض كغور بيسان وغور غزة من أراضى الشام من بلاد فلسطين والاردن ومن سكنه من لخم وجذام ، ولجميع العرب مياه يجتمعون عليها وقطع ملكية يدجون عليها ، كالرها والسماوة والتهائم وانجاد الارض والبقاع والقيعان والوهاد ، ولست ترى قبيلا من العرب توغل عن الاماكن المعروفة لهم والمياه المشهورة لهم ، كماء صارح وماء العقيق والسياط وما اشبه ذلك من المياه »[2] •

– ٣ –

« وكان العرب ينقسمون قبل الاسلام الى قسمين كبيرين ، سكان المدن والامصار وهم الحضر وسكان البرارى والقفار وهم البدو ، وقد تغيرت شؤون الفريقين بعد الاسلام ولاسيما البدو فتحضر بعضهم وانتشر البعض الاخر فى البلدان التى دانت لسلطة المسلمين فى بلاد العرب وسوريا والعراق حتى حدود العجم وفى مصر ونوبيا وشمالى السودان والصحراء الكبيرة حتى الاوقيانوس الاتلنتيكى وهم يدينون الآن بالديانة الاسلامية ولم يزالوا مشهورين بالكرم والوفاء وعلو الهمة

---

(١) العقد الفريد الجزء الثالث ص ٢٨٤ •

(٢) مروج الذهب للمسعودى الجزء الثانى ص ٤٢ أحد اعلام القرن الرابع الهجرى •

واباءة الضيم وحب الغزو كما كان اسلافهم فى أيام الرومان واليونان ولم تجتمع كلمة العرب ولا حاولوا التسلط على البلدان البعيدة عنهم الا وقت الفتح الاسلامى ولكنهم فعلوا فى قرن واحد ما لم تفعله أمة فى قرون كثيرة فانهم تسلطوا على أكثر المعمورة وامتدت شوكتهم من أقصى الهند الى الاتلنتيكى ومن أواسط أفريقيــة الى بلاد الروس ، وتحضر أكثرهم فى البلدان التى دخلوها ومزجوا تمدنهم بتمدنها ولكن بقى كثيرون منهم على حالة البداوة فلم تتغير عوائدهم وأخلاقهم عما كانت عليه قبل الاسلام الا قليلا وذلك نتيجة لازمة عن انقطاعهم الى القفار الا ان القريبين من الامصار منهم فسدت لغتهم بامتزاجها بلغات الامم المجاورة لهم حتى فقدوا ملكة العربية الفصحى قبل زمان ابن خلدون وقد ذكر هذا المؤرخ الشهير طرفا من أشعارهم وهى أقرب الى المغنى والعتابا والشارقى الدارج فى هذه الايام منها الى الشعر العربى الموزون »[1] .

— ٤ —

« البدو أقوام رحالة لا يبتنون بيتا ثابتا بل يهيمون حيث عنّ وطاب لهم ذاهبين ببيوتهم على ظهور مطاياهم ينصبونها حيث أقاموا معتمدين على ماشيتهم يغذونها بمــا أنبتت الارض من كلأ الطبيعــة ويغتذون بلحومها والبانها ويتخذون ما فاض لديهم منها ومن صــوفها وشعرها ووبرها لسد ما بقى من احتياجهم من مطعم وملبس ومسكن

(١) شاهين افندى مكاريوس ، من خطبة تلاها فى المجمع العلمى الشرقى ونشرتها المقتطف فى ١ ديسمبر سنة١٨٨٤ .

واكتساب درهم يستعينون به لدى الحاجة ... » .

« والعرب جميعا من بدو ومن حضر من أصل واحد يقطنون بلادا واحدة وهي شبه جزيرة العرب الواقعة بين خليج فارس وبحر عمان والاوقيانوس الهندي والبحر الاحمر متصلة برا بسوريا والعراق فالحضر يقطنون السواحل وأخصها بلاد تهامة وحضرموت وبعض سواحل اليمن والحجاز والاراضي المرتفعة المروية بماء المطر كهضاب نجد واليمامة والجبال الممتدة من الحائل في الحجاز متخللة قسما كبيرا من بلاد الحجاز واليمن وتهامة ولهم أيضا بعض البلدان في السهول اما البدو فأكثر سكناهم في السهول يراقبون سير الفصول فاذا اشتد بهم الحر طلبوا الأنهر ومجاري المياه والاراضي النضرة ، واذا ذهب القيظ ونزل الغيث وأرتوت الارض وانبتت ربيعها توغلوا في القفار مستصحبين ماشيتهم وبيوتهم ، وهم على كلا الحالتين لا ينقطعون عن مسابقة الحضر لبيع ما لديهم وشراء ما احتاجوا اليه من مأكول وملبوس » .

« قلنا والعرب في الاصل بدوا وحضرا من اصل واحد يقطنون بلادا واحدة وهي بلاد العرب اما الآن فهم ليسوا محصورين فيها بل امتدوا قبل الاسلام وبعده الى ما اتصل ببلادهم وما لم يتصل فسارت منهم قبائل كثيرة في غزواتها الى المغرب وأفريقيا وسكنتهما وامتدت قبائل أخرى الى العراق وما بين النهرين وبلاد العجم فاستوطنتها وظلت فيها الى ايامنا هذه .

« ويلوح للباحث في أحوال البدو ان هذا الامتداد مع ما رافقه من الاختلاط باهالي البلدان التي حلوها أحدث تغييرا كثيرا في أخلاقهم

وعاداتهم غير أن الحقيقة بخلاف ذلك فان التغير الطارىء انما هو دون الطفيف الا في الذين تحضروا منهم وسكنوا المدن والقرى وتعاطوا اعمال أهاليها اما المقيمون على البداوة فلا احرص منهم على ما ورثوا من العرف والعادة وطبيعة معيشتهم تمكن فيهم ذلك الميل • نعم أن انتشار المذهب الاسلامي هذب كثيرا من أخلاقهم وأباد منكرات كثيرة ولكنهم ما فتئوا على فطرتهم متصفين بما اتصفوا به قبل الاسلام من الحسنات والسيئات فهم الآن بحماستهم وشهامتهم وحفظهم للذمام ورعاية الغريب والجار وعدم انقسامهم وشقاقهم على ما كانوا عليه قبل ثلاثة آلاف عام وسيظلون كذلك الى ما شاء الله ولا تغيرهم الا الحضارة فهي التي تذهب ما في نفوسهم »[1] •

— ٥ —

« يقسم سكان جزيرة العرب الى فئتين : البدو أو الرعاة الرحل ، والحضر وهم في أكثريتهم من البدو الذين استوطنوا المدن والقرى وتحضروا • وليس من فرق بين الفئتين في ما خصّ اللغة والعادات والديانة ، وكلها واحد سواء في ذلك البدو والحضر • ويقيم هؤلاء في مناطق خصتها السماء ببعض الخصب الدائم ، فميزتها عن سائر مناطق الجزيرة ، فالفت ما ندعوه اليوم « بالواحات » ومنها أماكن قليلة يزدحم فيها السكان حتى يمكننا تسميتها « بالمدن » كالمدينة أو

(١) من محاضرة للعلامة سليمان أفندي البستاني لجمعية شمس البر في بيروت ونشرتها المقتطف في عدد ١ ديسمبر سنة ١٨٨٧ •

يثرب ومكة والطائف • اما مدينة جدة ومرفأها « وهى تعد اليوم نحو ٣٠٠٠٠ » فلا ترقى الى زمن الهجرة •

كان البدو فى الجاهلية يؤلفون الاكثرية الساحقة من السكان كما لا يزالون حتى عصرنا على التقريب فيعادلون ٨٣ ٪ من المجموع العام • وهم الذين قبلوا من حضر الحجاز دون حماسة ولا اندفاع ، شريعة الاسلام • فوجب عليهم ان يمدوا برجالهم الجيوش المسيرة للفتح العربى ، الى ان اتسعت الفتوحات واجبرت الشعوب المغلوبة من سوريين وفرس واتراك وبربر على الحلول محل البدو فى الصفوف المحاربة • فيهمنا اذن أمر البدو لانهم كانوا المادة الاولى فى جيوش الفتح وخصوصا لانهم حفظوا حفظا تاما المثال والخلق المختصين بالشعب العربى • ولا يمكننا القول نفسه عن حضر الحجاز • لانهم على رغم ما كان يجدد عناصرهم من البدو الطارئين عليهم من الصحراء كانوا لا يخلون من التأثر بالمؤثرات الاجنبية ، بل كان يتسرب الى عروق الكثير منهم دم غير عربى تظهر آثاره بما لا سبيل الى انكاره • فكانت الطائف قريبة الى اليمن • اما مكة فكانت قد اصبحت وسطا متعدد المظاهر لا صبغ حجازى له ، يؤمه تجار الخارج ويقصده النخاسون بعبيدهم خصوصا من بلاد أفريقية • وكان فى مكة طارئة من الاحباش • واما المدينة فكانت نصف يهودية ، وقد احتل ابناء اسرائيل أكثر واحاتها ان لم نقل كلها • هذا ولم يكن شىء من هذه المؤثرات الخارجية يفعل فى البدو وقد حمتهم قفارهم من الاجانب ومنعهم انفرادهم عن تسرب العادات الغريبة »[1] •

(١) الاب لانس اليسوعى مجلة المشرق البيروتية العدد الثلاثون سنة ١٩٣٢ •

« بخلاف الاحوال السائدة فى المغرب المتحضر القديم ، لا زلنا نجد فى العالم الشرقى حدا يفصل بين الحضر والجماعات الرحل • فأساليب الحياة المستقرة وشبه المتنقلة والمتنقلة تماما تعين طابع السكان وعقليتهم فى هذه الجماعات وهذه التفرقة نلقاها كذلك فى داخل القوم الرحل انفسهم ، فهنا اهتمام خاص بالقبائل ذات الانساب العريقة ، فليس كل الرحل بدوا ، كما لا يعترفون بهذه الصفة الا لقبائل معينة تستطيع الرجوع بانسابها الى القرون الماضية ، طبقا لما تؤيده وتدل عليه التقاليد وهذه التقاليد لا تحتمل دائما البحث الدقيق النزيه من ناحية التفاصيل الخاصة بالانساب ، بل انها غالبا ما تتضمن عناصر من الخرافة ، كما يعترف بذلك البدو أنفسهم • الا ان هذا لا يغير شيئا من ناحية المركز الاجتماعى للقبائل والعشائر النبيلة المحتد ، كما يحدث غالبا ان القبائل التى يكون نسبها موضوع الشك لا يتسنى قبولها فى صفوف الارستقراطية • ومثل هذا الاعتراف لا يتوقف دائما على الطابع المستقل أو الرحل لحياة القبائل ، ذلك ان هناك قبائل رحالة لا يختلف اسلوب معيشتها من كافة الوجوه عما يسود القبائل البدوية الارستقراطية ومع ذلك فأقصى ما تأمل بلوغه أن تكون موضع حماية قبائل البدو الكريمة الاصل »[1] •

---

(١) (الدولة والنظم الاقتصادية فى الشرق الاوسط) ترجمة الدكتور « راشد البراوى » ص ٣٧٣ -

– ٧ –

« البادية هي الارض التي ليس فيها بناء من دور وقصور وغير ذلك • وهي البدو ايضا والنسبة اليه بدوى وفي الحديث (من بدا جفا) أي من نزل البادية صار فيه جفاء الاعراب • والبداوة الاقامة بالبادية وهو خلاف الحضارة والمبدى خلاف المحضر • ولما كانت سكنى البادية تقتضي صيانة العز والشرف رجحها غالب العرب على الحضر • وكثر حنينهم اليها وذكر وحشها وطيرها ورياضها ونبتها وشجرها وأغوارها وانجادها ورياحها ومياهها ولا زالوا يفخرون في شعرهم بسكناها »[1] •

– ٨ –

« الفرق بين سكنة البوادي وبين سكان البلاد والقرى مما يظهر لكل أحد وذلك في الاجسام والحواس الظاهرة والباطنة والصور والاخلاق والقوة والضعف ولهجة اللسان وسماحة اليد والجرأة والشجاعة وغير ذلك مما يطول ذكره حتى ان من وازن بين نبات البادية ونبات البلد وجد بينهما فرقا من وجوه مختلفة ، وكذلك وحشه ودوارجه وطيره وسائر ما يكون في البر فانه ممتاز عما يتكون في البلد في الخواص والاوصاف ، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته عدة فصول مشتملة على فروق بين الفريقين •

---

(١) بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ـ محمود شكري الالوسي ج ٣ ص ٤٢٥ ٠

« منها » أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه ، وأن البادية أصل العمران والامصار مدد لها لان البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم العاجزون عما فوقه ، وأن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه ، ولان الضروري أصل والكمالي فرع ناشيء عنه ، فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما لان أول مطالب الانسان الضروري ولا ينتهي الى الكمال والترف الا اذا كان الضروري حاصلا فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة ، وأطال الكلام في بيان ذلك .

« ومنها » أن أهل البدو أقرب الى الخير من أهل الحضر ، وذلك لان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر ، وبقدر ما سبق اليها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر ، ويصعب عليها اكتسابه ، فصاحب الخير اذا سبقت الى نفسه عوائد الخير ، وحصلت له ملكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقه ، وكذا صاحب الشر اذا سبقت اليه أيضا عوائده .

« ومنها » أن أهل البدو أقرب للشجاعة من أهل الحضر ، وذلك لان أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة ، وانغمسوا في النعيم والترف ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم الى واليهم ، والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم ، واستناموا الى الاسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم ، فلا تهيجهم هيعة ، ولا ينفر لهم صيد ، فهم غارون آمنون قد ألقوا السلاح وتوالت على ذلك منهم الاجيال ، وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين

هم عيال على أبى مثواهم ، حتى صار ذلك خلقا يتنزل منزلة الطبيعة ، وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع ، وتوحشهم فى الضواحى ، وبعدهم عن الحامية ، وانتباذهم عن الاسوار والابواب ، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يوكلونها الى سواهم ، ولا يثقون فيها بغيرهم ، فهم دائما يحملون السلاح ، ويتلفتون عن كل جانب فى الطرق ، ويتجافون عن الهجوع الا غرارا فى المجالس وعلى الرحال وفوق الاقتاب ، ويتوجسون للنبات والهيعات ، ويتفردون فى القفر والبيداء ، مدلين بأسهم ، واثقين بأنفسهم ، قد صار لهم البأس خلقا ، والشجاعة سجية ، يرجعون اليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ ، وأهل الحضر متى خالطوهم فى البادية أو صاحبوهم فى السفر فهم عيال عليهم لا يملكون عليهم شيئا من أمر أنفسهم ، وذلك مشاهد بالعيان حتى فى معرفة النواحى والجهات وموارد المياه ومشارع السبل •

« ومنها » ان معاناة أهل الحضر للاحكام مفسدة للبأس فيهم ، ذاهبة بالمنعة منهم ، وأن الحضر لا يمكنه سكنى البدو بل لا يمكن أن يسكنه الا القبائل •

وان الصريح من النسب انما يوجد لاهل البادية من العرب لا أهل الحضر منهم ، وأن أهل البادية أقدر على التغلب ممن سواهم ، وأن الامة اذا كانت بدوية وحشية كان ملكها أوسع ، وأن أهل البادية من العرب لا يتغلبون الا على البسائط ، وأن البدويين اذا تغلبوا على الاوطان أسرع اليها الخراب بخلاف أهل الحضر ، وأن أهل البادية من العرب أبعد الامم عن سياسة الملك ، وأن أهل البادية من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار ، وأن أهل البادية قاصرون عن سكنى المصر

الكثير العمران ، وقد اطنب في الكلام على بيان أسباب هذه الفروق مما لا حاجة الى نقله ، ومن أمعن النظر ، ودقق في أحوال الفريقين ، ظهرت له فروق أخر ، وسبحان من ميز كل قوم بخصائص لا توجد في غيرهم ، وصفات لا تتعداهم الى من سواهم (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين)[1] .

- ٩ -

لقد وصف الدكتور محمد حسين هيكل شبه جزيرة العرب في العصور القديمة في الصحيفة (٧٠) من كتابه حياة محمد (ص) بقوله « فشبه جزيرة العرب مستطيل غير متوازى الاضلاع ، شماله فلسطين وبادية الشام ، وشرقه الحيرة ودجلة والفرات وخليج فارس ، وجنوبه المحيط الهندى وخليج عدن ، وغربه البحر الاحمر » ثم يقول « وليس في هذه الناحية الفسيحة من الارض واحد ، وليست لامطارها فصول معروفة يمكن الاعتماد عليها وتنظيم الصناعة اياها .

وفيما خلا اليمن الواقعة جنوب شبه الجزيرة والممتازة بخصب ارضها وكثرة نزول المطر فيها ، فسائر بلاد العرب جبال ونجود وأودية غير ذات زرع وطبيعة جرداء لا تيسر الاستقرار ولا تجلب الحضارة ، وهي لا تشجع على حياة غير حياة البادية وما تقضى به من الارتحال الدائم واتخاذ الجمل سفينة للصحراء وانتجاع مراعى الابل ،

(١) بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ـ محمود شكرى الالوسى . ج ٣ ص ٤٣٤ .

والاستقرار ريثما تأتي الابل عليها ، ثم الارتحال من جديد انتجاعا لمرعى جديد • وهذه المراعى التى ينتجعها بدو شبه الجزيرة انما تنمو حول عين من العيون ، تنفجر عن ماء المطر الذى يتسلل خلال أرض البلاد الحجرية ، فينبت تفجره الخضرة المنتشرة هاهنا وهناك فى واحات تحيط بهذه العيون •

طبيعى فى بلاد هذه حالها ان تكون كصحراء افريقية الكبرى لا يقيم بها مقيم ولا تعرف الحياة الانسانية اليها سبيلا • وطبيعى أن لا يكون لمن يحل بهذه الصحراء غرض اكثر من ارتيادها والنجـاة بنفسه منها • الا فى هذه النواحى القليلة التى تنبت الكلأ والمرعى • وطبيعى أن تظل هذه النواحى مجهولة من الناس لقلة من يغامر بحياته لارتيادها » • ثم يستمر قائلا لكن موقعها انجاها من الاقفار وامسك عليها أهلها • ففى تلك العصور القديمة لم يكن الناس قد أمنوا البحر ليتخذوه مركبا لتجارتهم أو لاسفارهم وما تزال أمثال العـرب تحت انظارنا تنبئنا بما كان من خوف الناس البحر كخوفهم الموت فلم يكن بد اذا للاتجار من أن تجد التجارة لها وسيلة انتقال غير هذا المركب الخطر المخوف • وكان أهم انتقال التجارة يومئذ بين الشرق والغرب بين الروم وما وراءها والهند وما وراءها • وكانت بلاد العرب طريق هذه التجارة التى كانت تجتاز اليهـا عن طريق مصر أو عن طريق الخليج الفارسى متخطية البوغاز الواقع على مدخل خليج فارس فكان طبيعيا اذا ان يكون بدو شبه جزيرة العرب هم أمراء الصحراء • » ثم يقول « لقد كانت حياة البادية فى كل العصور حياة خارجة على كل نظام عرفه الحضر ، مطمئنة الى العيش فى حمى مبادىء القصاص ، ودفع

العدوان بالعدوان ، واغتيال الضعيف ما لم يجد من يجيره وليست هذه بالحياة التى تشجع على التطلع الى استكناه اخبارها والتحقق من تفاصيل نظمها • لذلك ظلت شبه الجزيرة مجهولة عند سائر العالم يومئذ ، الى ان اتاحت لها الاقدار ، بعد ظهور محمد عليه الصلاة والسلام فيها ، ان يقص اخبارها من نزح عنها من أهلها ، وان يقف العالم على كثير مما كان العالم من قبل ذلك فى اتم الجهل به • » ويضيف الدكتور قائلا :

« كان ابناؤها ، كما لا يزال أكثرهم حتى اليوم ، أهل باديـة لا يألفون الحضر ، ولا يطيب لهم المقام ولا الاستقرار بأرض ، ولا يعرفون غير دوام الارتحال والنقلة طلبا للمرعى وارضاء لهوى نفوسهم التى لم تعرف غير حياة البادية ولا تطيق حياة غيرها • وأساس حياة البادية حيث وجدت من بقاع الارض ، انما هى القبيلة • ويقول فى بحث الخلال البدوية من ثم نجمت فى كثير من هذه القبائل خلال الكرم والشجاعة والنجدة وحماية الجار والعفو عند المقدرة وما الى هذه من خلال تقوى فى النفس كلما قاربت حياة البادية وتضعف وتضمحل فيها كلما أوغلت فى أسباب الحضارة وفى طبيعـة حياة البادية من تحريك المعانى الدينية فى النفس ما ليس فى طبيعة حياة الحضر • فى حياة البادية يتصل الانسان بالكون ويحس لا نهاية الوجود فى مختلف صورها ، ويشعر بضرورة تنظيـم ما بينـه وبين الوجود فى لانهايته • اما رجل الحضر فمحجوب عن هذه اللانهاية بمشاغله ، محجوب عنها بحماية الجماعة اياه لقاء نزوله للجماعة عن جانب من حريته • واذعانه لسلطان الحاكم كى ينال حمايته يقصر به عن الاتصال بما وراء الحاكم من القوى الطبيعية القوية الاثر فى الحياة ، ويضعف

لذلك عنده روح الاتصال بعناصر الطبيعة المحيطة به ، ولا شيء من ذلك يحول بين رجل البادية والمعاني الدينية التي تحركها حياة البادية في النفس . »

اما نظام شبه الجزيرة الاجتماعي يومئذ فقد بحثه الدكتور محمد حسين هيكل في الصحيفة ٧٧ من كتابه المهم « حياة محمد » ..!! كان هذا النظام السياسي غير معروف في سائر بلاد شبه الجزيرة وكل نظام يمكن ان يوصف بانه نظام سياسي على المعنى الذي نفهمه نحن اليوم أو الذي كانت الامم المتحضرة تفهمه في تلك الايام كان مجهولا في ربوع تهامة والحجاز ونجد وتلك المساحات الشاسعة التي منها كانت تتكون بلاد العرب . فقد كان ابناؤها ولا يزال أكثرهم حتى اليـوم أهل بادية لا يألفون الحضر ولا يطيب لهم المقام ولا الاستقرار بأرض ولا يعرفون غير دوام الارتحال والنقلة طلبا للمرعى وارضاء لهوى نفوسهم التي لم تعرف غير حياة البادية ولا تطيق حياة غيرها . وأساس حياة البادية حيث وجدت من بقاع الارض انما هي القبيلة . والقبائل الدائمة التجوال والترحال لا تعرف قانونا كالذي نعرف ولا تخضع لنظام كالذي نخضع له ولا تصبر على ما دون الحرية كاملة للفرد وللاسرة وللقبيلة كلها . وأهل الحضر يرضون النزول باسم النظام عن جانب من حريتهم للمجموع أو للحاكم المطلق مقابل ما ينعمون به من طمأنينة ورخاء اما رجل البادية الزاهد في الرخاء البرم بطمأنينة الاستقرار فلا يخدعه عن شيء من حريته الكاملة رجاء فيما يفرح به أهل المدن من جاه أو مال ولا يرضى بما دون المساواة الكاملة بينه وبين أفراد قبيلته جميعا وبين قبيلته وغيرها من القبائل . وانما ينتظم حياته ما ينتظم

سائر الخلق من حب البقاء والحرص عليه والدفاع عنه على ان يكون ذلك كله متفقا مع قواعد الشرف التى تمليها عليه حياة البادية الحرة • لذلك لم يكن أهل هذه البادية يقيمون على ضيم يراد بهم بل كانوا يدفعونه بقوتهم فان لم يستطيعوا دفعه تخلوا عن مواطنهم وارتحلوا عن شبه الجزيرة كلها اذا لم يكن من هذا الارتحال بد • ولذلك لم يكن شيء أيسر عند هذه القبائل من القتال اذا نبت خلاف لم يتيسر فى ظلال قواعد الكرامة والمروءة والشرف الفصل فيه •

من ثم نجمت فى كثير من هذه القبائل خلال الكرم والشجاعة والنجدة وحماية الجار والعفو عند المقدرة وما الى هـذه من خلال تقوى فى النفس كلما قاربت حياة البـادية وتضعف وتضمحل فيهـا كلما أوغلت فى أسباب الحضارة • ولذلك ولما قدمنا من أسباب اقتصادية لم تطمع بزنطية ولا طمعت فارس فيما سوى اليمن من بلاد شبه الجزيرة التى لم تكن لتخضع لانها تؤثر على الخضوع هجرة الوطن ولان أفرادها وقبائلها لا يدينون بالطاعة لنظام قائم ولا لهيئة حاكمة تسلط عليهم •

وقد أثرت هذه الطبائع البدوية الى حد كبير فى البلاد القليلة الصغيرة التى نشأت فى أنحاء شبه الجزيرة بسبب تجارة القوافل على نحو ما قدمنا والتى يأوى اليها التجار يقطعون عندها متاعب رحلاتهم المضنية ويجدون بها هياكل عبادة يشكرون فيها الآلهة ان منت عليهم بالنجاة من أخطار الفلوات وان جلبت تجارتهم سالمة الى حيث وصلوا • من هذه البلاد مكة والطائف ويثرب وأشباهها من الواحات المنتشرة

بين الجبال أو خلال رمال الصحراء • تأثرت هذه البلاد بطبائع البادية فكانت أقرب الى البداوة منها الى الحضارة فى نظام قبائلها وطرائقهم وفى اخلاق أهلها وعاداتهم وفى شدة نفورهم من كل حد لحريتهم وان أكرهتهم حياة الاستقرار على نوع من الحياة غير ما اعتاد أهل البادية • »

- ١٠ -

وللجاحظ رسالة فى موضوع العصبة لخصها الاستاذ احمد امين فى كتابه ظهور الاسلام • باختصار كلى يقول فيها عن العرب :

« والعرب لم يكونوا تجارا ولا صناعا ولا اطباء ولا حسابا ، ولا طالبوا المعاش من السنة المكاييل والموازين ، ولم يحتملوا ذلا قط فيميت قلوبهم ، ويصغر عندهم أنفسهم ، وكانوا سكان فيافى ، وتربية عراء ، فوجهوا قواهم الى قوة الشعر ، وبلاغة المنطق ، وتثقيف اللغة وتصريف الكلام ، وحفظ النسب ، والاهتداء بالنجوم ، والاستدلال بالآثار ، والبصر بالخيل والسلاح ، والحفظ لكل مسموع ، والاعتبار بكل محسوس ، واحكام شأن المناقب والمثالب »[١] •

ويقول الاستاذ احمد امين فى الجزء الاول من كتابه ظهور الاسلام « ص ٥٨ » عن العرب فى القرن الرابع الهجرى :

« وهؤلاء العرب مع استيلائهم على المدن والقلاع لم ينفروا عاداتهم القومية من البداوة وما اليها ، واعتزازهم ببداوتهم ••• » •

---

(١) ظهور الاسلام الجزء الاول ص ١٨ •

ويقول الاستاذ أحمد أمين[1] :

« وطابع العرب ميل الى البداوة ، وحكم بالقبيلة ، واعتـزاز بدمهم ، واحتقار لغير جنسهم ، وزهوهم بسيفهم ولسانهم ، وقلقهم واضطرابهم ، فاذا احسوا ضعف رئيسهم فما أسرع ثورتهم ، ثم هم أسرع ما يكون قبولا للتأقلم والتحضر ، فاذا تحضروا انغمسوا فى النعيـم ، ومالـوا الى خصب العيش ، وتأنقـوا فى المأكـل والملبس والمشرب » .

ثم يقول : « وهم فى أول أمرهم شجعان صرحاء بسطاء ، فاذا أنغمسوا فى النعـيم وقعوا فى سـيئات الحضـارة ففقـدوا طرقهـم وبساطتهم » .

---

(١) نفس المصدر السابق الصحيفة ٦٣ .

تعاريف

••• و « البدو والبادية والبداوة » الصحراء جمعها باديات وبواد والبدو أيضا سكان البادية من القبائل العربية الرحل وهم منقسمون الى عدة قبائل والنسبة الى البدو « بدوى وبدوى » والانثى بدوية جمعها بداوى » ـ المنجد ـ •

••• « الصحراء » الفضاء الواسع لا نبات فيه جمعها صحارى وصحار وصحارى وصحراوات » المنجد •••

« تبدى ظهر • والرجل اقام بالبادية » •

و « تبادى تشبه بأهل البادية وتبادى القوم بالعداوة تجاهروا بها »•

و « البادية اسم للارض التى لا حضر فيها وهى خلاف الحاضرة جمعها باديات وبوادى » البستانى •••

و « الفضاء الواسع لا نبات به » البستانى •••

و « الصحراء البرية » الجوهرى •••

مساحات البوادى الثلاث

١ ـ تبلغ مساحة البوادى الثلاث مجتمعة (٨٣٤٨٣٦٠٠) ثلاثة وثمانين مليونا واربعمائة وثلاثة وثمانين الفا وستمائة دونما وهذه المساحة موزعة على تلك البوادى كما يلى :

أ ـ البادية الشمالية (٤٠٥٣٥٦٠٠) اربعون مليونا وخمسمائة وخمسة وثلاثون الفا وستمائة دونما •

ب ـ البادية الجنوبية (٣٠٤٥٧٦٠٠) ثلاثون مليونا واربعمائة وسبعة وخمسون الفا وستمائة دونما •

ج ـ بادية الجزيرة (١٢٤٩٠٤٠٠) اثنا عشر مليونا واربعمائة وتسعون الفا واربعمائة دونما •

٢ ـ ان الباديتين الشمالية والجنوبية لم تعلن تسويتهما ولذلك لم تتناولهما مهمة التسوية بعد • ولدى مديرية المساحة العامة خرائط لهاتين الباديتين بمقياس ١/٥٠٠٠٠٠ يمكن اجراء تسويتها بتكبير هذه الخرائط الى مقياس ١/٢٥٠٠٠ للاراضى غير المستثمرة • اما الاراضى المستثمرة والتلول الاثرية والآبار وسائر القطع المزروعة فيتطلب اجراء تسويتها تكبير هذه الخرائط الى مقياس ١/٢٠٠٠٠ أو ١/١٠٠٠٠ وقد فاتحت مديرية التسوية العامة وزارة العدلية فى أمر الاستيضاح من وزارة الاعمار عما اذا كانت

النية متجهة لتطبيق مناهج مجلس الاعمار فى هاتين الباديتين فى الحقل الاروائى أو المعدنى ليتسنى اعلان التسوية والمباشرة بها فى الاراضى التى تشملها تلك المشاريع شريطة ان تقوم وزارة الاعمار بتغطية نفقات المسح من ميزانيتها ذلك لان مديرية المساحة العامة مرهقة بأعمال المسح والتحديد فى كافة مناطق التسوية فى العراق فليس فى طاقتها تحمل مسؤولية انجاز أعمال أخرى فى الوقت الحاضر كما ان ميزانية التسوية ليس فيها اعتماد لاعمال المسح لغرض التسوية •

٣ ـ اما بادية الجزيرة فيشطرها خط الحدود بين لوائى الموصل والدليم الى شطرين فالقسم الواقع فى لواء الموصل انتهت تسويته أما القسم الآخر الواقع ضمن لواء الدليم فان تسويته رهن العمل •

لمحة عن العشائر العراقية

اذا رجعنا الى احصاء النفوس العام الذى جرى فى اليوم التاسع عشر من تشرين الاول عام ١٩٤٧ نجد بأن نفوس العراق (١٢٢ر ٨١٤ر٤) نسمة ، ولكن الحقيقة التى يجب أن لا تغرب عن البال فى هذا المجال هى أن (٧٨ ٪) من هؤلاء هم سكن القرى والارياف ونعنى بهم أفراد القبائل الذين اتخذوا الزراعة والرعى حرفة لهم •

أما سكان المدن فما هم فى واقع الحال الا من ابناء تلك القبائل أيضا ولكنهم استوطنوها منذ أزمان بعيدة فانقطعت صلتهم بها أو كادت تنقطع •

ولو أراد الباحث احصاء عدد العشائر المهمة فى العراق لوجدها تجاوز المائتين ومما لا شك فيه ان هذه الكثرة نتيجة طبيعية للحوادث التاريخية التى مرت بها بلاد الرافدين • فلقد نزحت الى بلاد ما بين النهرين قبائل عدة لا سيما من بطن الجزيرة العربية واتخذت من واديها الخصيب مرتعا خصبا واستقرت على ضفاف انهاره الغزيرة وبواديه المعشبة حيث الحياة الامنة والعيشة الراضية ولكنها ظلت متمسكة بنظامها القبلى وعاداتها العشائرية لتحافظ بذلك على كيانها كوحدة قائمة بذاتها تربطها روابط اجتماعية عميقة الجذور زاد فى قوتها اضطراب الاوضاع الاجتماعية السائدة فى القرون المظلمة التى مرت بها البلاد وأثر فى

قوة تماسكها ضعف السلطة الحكومية أيام الامبراطورية العثمانية فى تلك الجهات ، لا فرق فى ذلك بين جنوب العراق وشماله •

ولسنا فى مجال نستطيع فيه الافاضة فى بحث العشائر من شتى الوجوه فندرس نظامها وتقاليدها ونعيد الاسس التى بنيت عليها واستندت اليها فى وضع ذلك النظام والتمسك بتلك التقاليد •

ان قبائل العراق بالنسبة الى عناصر سكانه قسمان[1] :

١ ـ القبائل العربية

٢ ـ القبائل الكردية

فالقبائل العربية تنقسم الى قسمين (الاول) القبائل العربية الشمالية (ثانيا) القبائل العربية الجنوبية •

والقبائل العربية الشمالية تسكن ضفاف دجلة والفرات الشمالى وأهمها شمر جربه ، العكيدات ، الجبور ، جحيش ، بيات ، طى ، الدليم ، زوبع ، عنزه •

أما القبائل العربية الجنوبية ـ فهى القبائل التى تسكن الاراضى الزراعية حوالى نهرى دجلة والفرات وأهمها :

أ ـ قبائل المنتفك ـ وتسكن شمال بلدة الناصرية وحوالى نهر الغراف وهى مكونة من عدة عشائر هى :

بنو ركاب ، الفزى ، خفاجة ، بنو أسد ، حجام ، عبودة ، آل حميد ، البو صالح •

ب ـ قبائل الفرات الاوسط ـ وهم الذين يسكنون شمالى المنتفك وأهمها آل فتلة ، الخزاعل ، آل شبل ، بنو عارض ، الظوالم ، حجيم ،

---

(١) مجلة الاقتصاد العربى •

بنو حسن ، السعيد ، الجبور ، البو سلطان ، زبيد الجنابيون •

ج ـ قبـــائل دجلة ـ وهم يسكنون على ضفاف دجلة بين بغداد والقرنة أهمها ـ بنو ربيعة ، بنو لام ، آل أزيرج •

د ـ وهناك قبائل عربية حوالى بغداد أهمها بنو تميم والعزة والجبور والعبيد •

أما القبائل الكردية • فهي القبائل التى استقرت فى شمال العراق فى المناطق الجبلية الشمالية الشرقية وتنقسم هذه هي الاخرى الى قسمين:

١ ـ القبائل الكردية الشمالية ـ وهى التى تقطن فى أقضية الموصل (زاخو ، عقرة ، دهوك ، عمادية) وأهمها : (دوسكي ـ سندى ـ كلي ـ بارزان مزورى ـ سورجي ـ زيبارى ـ بروارى بالا ـ بروارى زير) •

٢ ـ القبائل الكردية الجنوبية ـ وهى التى تسكن فى لواء السليمانية وأربيل وكركوك وأهمها : بشدر ـ برادوست ـ باجلان ـ ديزەى ـ كوردى ـ كەكەى هماوند ـ الجاف ـ طالبانى داوده ـ هركى ـ خوشناو •

أما القبائل العراقية الرحالة فأهمها قبيلة شمر وعنزة والضفير وهى تؤلف موضوع البحث فى كتابنا هذا •

أما اذا اقتصرنا فى البحث على هذه العشائر الثلاث فذلك أن هناك كثيرا من العشائر اصبحت نصف رحالة لانها ألفت القرى والارياف أو ما يجاور القرى والارياف من مناطق رعى وعشب تلتجىء فى بعض فصول السنة الى أطراف القرى والمدن والقصبات وتلتجىء الى البادية فى السنين الخصبة طلبا للكلاء وتدعى مثل هذه العشائر بالشاوية تمييزا لها عن البدو •

وهي بطبيعة حالها ألفت الحضارة وتذوقت نعمة الحضر وهي تحاول أن تحصل على قطعة أرض لتســكنها وهي جادة للحصول على هذه الارض ولها تشبثات ومراجعات كثيرة الى دوائر الحكومة لتحقيق هذا الغرض • ان هذه العشائر اصبحت بحكم العشائر المتحضرة نتيجة كثرة ترددها الى الارياف واختلاطها مع السكان بل واستئجارها قطعا من الاراضي للرعي والزراعة وليس في توطينها أية مشكلة • وهي تؤلف الاكثرية الساحقة من سكان الفرات ، وهي التي تغذي تجارة البلاد بنتاج مواشيها وزراعتها وتؤدي القسم الاعظم من واردات الخزينة من ضريبتي الاغنام والاعشار •

فيظهر مما تقدم ان معظم تلك العشائر لم تكن في الواقع بدوية حتى عند ترحالها وانما اضطرت على الرحيل من مكان الى اخر في العهود الماضية نظرا لاضطراب الوضع السياسي والاجتماعي في أواخر أيام الدولة العثمانية • وها هي الآن بعد أن حل الاستقرار محل الفوضى تحاول أن تستقر في الاماكن التي وجدت نفسها فيها •

أما تلك العشائر الثلاث (شمر وعنزه والضفير) فهي التي فضلت البداوة على الاستقرار وهي موضوع الاهتمام في هذا الكتاب •

في سبيل مجتمع افضل

لا ينكر ان النظرة القديمة الى المشاريع التى كان يقوم بها أولو الامر من أجل شعوبهم كانت لا تخرج عن كونها عطفا تثيره فى نفوسهم الشفقة والانسانية أما اليوم فقد تغيرت الامور فى المجتمعات الديمقراطية وصار لكل فرد حق من خيراته ونصيب من اهتمام حكومته وقطعة من الارض خاصة به وما عليه بعد ذلك الا أن يدفع نصيبه الضئيل من الضريبة ويطيع القوانين التى يقرها ممثلو اخوانه أفراد الشعب فى مختلف هيئات الدولة •

ولكننا لو بحثنا فى ذلك على ضوء حالة البدو الراهنة لوجدناهم محرومين من أبسط حقوق المواطنة محرومين من أبسط وسائل العيش وأخيرا محرومين من الراحة والاستقرار • فى الوقت الذى أصبح فيه من حق الفرد أن يحصل على المعونة التى يحتاج اليها لا كمنحة وانما كحق من الحقوق لئلا يظل فى ربوع بلادنا مواطن محروما مما يضمن عزته وكرامته وسعادته فى وقت تفيض فيه بلادنا بالخير والبركة والذخائر والامكانيات •

انه جانب خطير من جوانب مشاكلنا الاجتماعية فضلا عن أن تزايد انتشار الحضارة واطراد التقدم الاجتماعى يتطلب تزايد الانتاج

بصورة تؤدى الى زيادة الدخل القومى • لقد أصبح العالم قائما على الصناعة وصارت كل قواه تعبأ لتلبى حاجات المصانع فعلينا أن نحاول على الاقل أن تنتشر هذه الروح الجديدة بين هؤلاء الناس لان من طبيعة الصناعة الاستقرار فاذا تعلموا بعض الحرف البسيطة التى تبشر بازدهار ، لتم لهم انتـــاج السلع الكافية على الاقل لسد ابسط متطلبات الحياة الاجتماعية بالاضافة الى ان ذلك سيكون فرصة لابراز المواهبوالقابليات المطمورة فى أرجاء الصحراء •

فى الاستطاعة مثلا أن تعنى السلطات التى ستكون مسؤولة عن مشاريع التوطين ببناء بعض الدور البسيطة وحفر الابار اللازمة لها وارواء الاراضى المحيطة بها كمشروع أولى صغير •• الهدف منه يشمل نتيجتين احداهما مباشرة والاخرى غير مباشرة فالاولى ستضمن لنا استقرار من سيحصل على تلك المنشآت وأما الثانية فهى أبعد مدى وتأثيرا من الاولى • ذلك اننا سنضرب للاخرين مثلا فى امكانية الاستقرار وفوائده ونحثهم بصورة لا مباشرة عليه •

ان مشكلة البداوة لا تتركز فى التجوال والتنقل فقط وانما تبرز لدينا مشكلة أخرى أشد خطرا تلك هى مشكلة الغزو فلا ينكر أن ذلك يحدث الان فى بعض الاحيان مما لا يمكن تجنبه وهم على ما هم عليه من حال قلقة ، والواقع أن الانسان متى ما تنقلمن مكان الىآخر لم يبال بقانون ولا نظام خاص وانما يتبع قانون الطبيعة التى تملى عليه أن يحصل على رزقه بأية وسيلة كانت غير هياب ولا وجل ما دام يعلم مقدما انه غير باق فى المكان الذى يقترف فيه جريمته •

لقد اثبتت المؤسسات التعاونية فوائدها فى هذا الصدد ، فقد نجحت فى كثير من البلدان فى عملية التوطين بمساعداتها والارشادات التى تبذلها .

ان المجتمع الفاضل يقوم على التربية الفاضلة الصحيحة المبنية على الاسس التى تمليها العوامل المختلفة التى تؤلف مجتمعا ما من تراث قديم الى تقاليد معينة الى تأثير التيارات الاجنبية والحضارات التى تنتقل من الشعوب الاخرى .

وعلى هذا ولما كان صميم مشكلة البداوة انها عادة متأصلة فى نفوس أصحابها كان على الثقافة والتعليم والارشاد ان تقوم بواجبها ببث روح المدنية الجديدة فى نفوس ناشئتهم وصغارهم قبل أن تتبلور فى نفوسهم مفاهيم البداوة وحب الترحل .

فلو سايرت البدو مدارس سيارة تقوم شيئا فشيئا بتحويل عقول الناشئة الصغار وتنويرها وتهذيبها لحصلنا فى القريب العاجل على جيل جديد يستجيب بسهولة لاى دعوة للاستقرار .

ولا يمكن أن يدعى المجتمع مجتمعا فاضلا كاملا ما لم تقم العناصر المفكرة البانية فيه بالعمل على تطوير المجتمع البدوى واخضاعه للقوانين والقضاء على ما يفكك وحدة هذا المجتمع .

أن أبسط ما يمكن أن يوصف به هؤلاء الناس هو انهم قوم سذج بسطاء ، لا يعرفون مصالحهم ولا يفهمون كيف يمكن للانسان أن يحقق لنفسه رفاها أتم فهم ما زالوا يعيشون بعقليات العصور الوسطى فى عالم بلغ من المدنية والتقدم حدا من سقط القول التحدث عنه .

ولكننا نستطيع أن نقول في الوقت نفسه أن تحضير هؤلاء البدو سيتضمن فوائد جمة من الناحية المعنوية أيضا • فهؤلاء الناس الذين يعيشون على الفطرة ، الذين لا يهمهم الا أن يملأوا بطونهم فاذا تم لهم ذلك ما التفتوا الى طمع ولا الى حسد سيقومون بفضل الاحتكاك الاجتماعى الذى سيتم لهم مع الآخرين أن ينشروا فيها أخلاقهم الفاضلة وسجاياهم الحميدة وروح الاباء التى يتسمون بها • وهل نحن فى الواقع الا هؤلاء البدو تم تحضيرنا ودانت لنا فرص لم تدن لهم بعد ؟

القبيلة

تكوينها وتطورها

وأوجه الاختلاف بين البدو

الاسرة هى نواة القبيلة الاولى ، منها تنال الاسم وعنها ترث التقاليد واليها يرجع الفخر ومن صلبها الاول ينحدر كل الرؤساء . وقد تكون هذه الاسرة أول الامر على أبسط صورها ثم تنمو على مر الزمن ويزيد عدد أفرادها الذين تربطهم رابطة القربى، هذه الرابطة التى تتباعد شيئا فشيئا حتى تصبح شجرة طويلة من النسب سرعان ما تعفو رسمها الايام من الاذهان فتتلاشى ولا يبقى اذاك الا مفهوم القبيلة العام الذى تتعلق به قلوب أفرادها وتنتقل سلطة سيدها من سلطة الاب التى غالبا ما يقررها الحنان والملكية المباشرة الى سلطة الشيخ الذى يحكم مستندا على مكانته وقوته أو حكمته ورجاحة عقله . على أن نشوء القبيلة من الاسرة الصغيرة المتطورة الى أجيال كاملة متنامية متزايدة يبقى فى القلوب والعلاقات التى تجمع بين هذه القلوب ظلا من الحب والاخاء ، وان كان غير مفهوم ، الا انه معترف به نداءه فى الاعماق مطاع أن ضام العشيرة ضيم أو هددها خطر .

فالوحدة الاولى اذن هى الاسرة أو الاهل ويليها الجيل وهو عبارة عن مجموعة من الاسر وثيقة الاتصال ، وهذه الجماعات تكون فروعا

تعرف بالعشائر (عند وصف العنصر السياسى) وتعرف باسم الحمائل (عند بيان صلة الرحم) وأما القبيلة فهى الوحدة التى تضم جميع هذه الاقسام والفروع والتى يتمتع فى ظلها فرد من أفرادها (وضيفها فى غالب الاحيان) بالحماية القانونية .

ينبثق عن تشكيلات صلة الرحم داخل القبيلة صلة (الخمسة) أى أقارب الفرد حتى الدرجة الخامسة المسؤولون عن الثأر له .

على ان تكوين القبائل البدوية لا يخضع دائما لهذه التقسيمات اذ غالبا ما نجد فيه العائلة والعشيرة فقط وذلك لصعوبة انتقال القبيلة الكاملة من محل لاخر فى آن واحد ولعدم توفر الخصب الكافى فى منطقة واحدة لكى يكفى القبيلة بالمفهوم الواسع الذى شرحناه ، وعلى هذا فقد اضطرت الصحراء البدو على التوزع فى مختلف انحاءها وعلى اقتصار مجموعاتهم الاجتماعية على عوائل معدودة . أما الرئاسة فهى وراثية الا اذا كان الابن الاكبر غير أهل لها فيختار عندئذ أقرب الافراد الاخرين الى الشيخ الراحل . هنالك أيضا شيخ مشايخ وذلك فى حالة اتساع شأن العشائر وانضمامها الى قبيلة واحدة سواء أكان ذلك انضماما ماديا أو معنويا فقط ، وذلك لمراجعة السلطات فى شؤونهم الخارجية أو ليكون رابطة تربطهم فى أوقات الازمات فيستطيع دعوتهم جميعا ليتكتلوا فى كتلة واحدة تقوى بها مصالحهم .

والشيخ مسؤول عن كل ما يخص القبيلة تقريبا ولذلك فهو صاحب السلطة العليا فى كل أمورهم وهو الذى يحفظ أنسابهم كما انه هو الذى يعين لهم أوقات الترحل والمناطق التى يرى انها أجدى للرحيل اليها . وعليه أيضا أن يقوم بواجبات الضيافة . وهو مضطر أن يواجه

كل ذلك على نفقته الخاصة ولذلك تطلب منه دائما أن يكون على شيء من اليسار والغنى • وقد تسبب ذلك كثيرا في نيل الاسر الغنية لحقوق الرئاسة لقدرتها على القيام بأعبائها المادية • ويلاحظ في المنطقة الجنوبية من العراق أن البدو يختلفون عن بعضهم في نقطتين يمكن على ضوئهما تقسيمهم الى نوعين فأما القسم الاول فهم أولئك الذين يقتربون من الاراضي الزراعية ويقومون ، عندما يحصد الفلاحون حاصلاتهم ، بنقلها على ظهور جمالهم من مكان الى آخر وهم يبيعون الى سكان الارياف ما تنتجه مواشيهم ولكنهم سرعان ما يرتحلون في الخريف ، ذلك لان ابلهم لا تحتمل الظمأ طويلا فيسرعون الى حيث يجود المطر بما يروى غليلها •

وأما القسم الثاني فهم أولئك الذين يعيشون في الصحراء أبدا فينتشرون في الربيع جماعات جماعات ، أو يحتشدون في أوقات الجفاف حول الابار المتناثرة في أرجاء الصحراء حتى يبلغون المئات • على ان بعض هؤلاء يترددون أحيانا الى المدن لبيع الفائض من منتجات مواشيهم أيضا •

وقد سبب اقتراب الجماعات الاولى من المناطق المستوطنة تبدلا يسيرا في لهجاتها عن اللهجات الاخرى التي لا يبارح أصحابها الصحراء الا نادرا •

كما يلاحظ أيضا أن هنالك جماعات من البدو ممن مالوا الى الاستقرار ولكنهم ظلوا يتنازعهم الحنين الى حياة البداوة فصاروا أشباه رحل واختلفوا بذلك عن البدو الاصليين الذين لم يفكروا في ذلك بعد، ان لم يقاومه بعضهم •

ما تنطوى عليه نفسية البدوى

القناعة صفة من صفات البدوى ، واضحة فى تصرفاته ، متميزة فى الأعمـــال التى يصـدر عنهـا • وللطبيعـة طبعـا دخل كبـير فى تكوين هذه الصفة التى يعتبرها البعض خيرا بينما يسميها البعض الآخر شرا وكلاهما فى الواقع محق بالنسبة الى دوافعه وتكاد تكون نفسية البدوى خير مجال لبحث هذا الامر •

لقد دفعته هذه القناعة الى القيام باعمال مشرفة للغاية منها حماية الضعيف ومشاركة الجماعة فى طعامه فى أوقات الضيق والجفاف والكرم والاباء فنفسه ما تزال خاما لم تعرف بعد تشويهات المدنية الحديثة من جشع وطمع واحتيال وكذب •

ولكن هذه القناعة نفسها قتلت طموحه وقيدت عقليته وحدت من قوته الوثابة وجعلت من جميع البدو نماذج متشابهة لا تغيير فيها ولا ابداع •• فما ينكر تأثير الطموح فى النفس الانسانية ولو كان جميع الناس قانعين منذ بدء الخليقة لما حصلنا على ما نحصل عليه الان من ثمار المدنية والتقدم والاختراع التى لا تتم كلها الا كأفكار فى عقلية رجل طموح يسعى الى مجد وشهرة أو الى مال وثروة أو الى تضحية فى سبيل بلاده وكلها لا تنضوى تحت لواء القناعة بحال وانما تنعقد

بخيط الطموح والتطلع .

يلوح ذلك في فن البدوى أيضا فبينما تطورت الفنون وتعقدت وصارت تعبر عن أدق دقائق المشاعر البشرية وبلغت شأوا بعيدا لا يمكن وصفه في هذا المجال بقيت موسيقى البدوى مثلا على حالها متكررة النغمات متشابهة تعتمد على الايقاع الذى رافق أولى بواكير الفن الموسيقى لدى الانسان البدائى . بالاضافة الى رنة الحزن والعويل المتجليين فيها ، فهو دائما وأبدا ينعى وهو دائما يذكر بالخير أراضى سكنها وفارقها وقوما عاشرهم وودعهم وهو معذور فى ذلك فانه كثير الفراق والوداع بترحاله وتنقله ولذلك فقد انطبع فنه بهذا الانطباع فيندر أن تجد عنده لحنا مرحا راقصا وانما فيضا من الاهات والحسرات والدموع .

هذا الانسان .. هذا القلب المعذب ترى ما فيه ؟

ان الرياح دائمة العويل حوله .. انه يعيش فى هذه الدائرة التى تحيط به احاطة السوار بالمعصم . هذه الدائرة من الامتداد القاحل التى تعانق حواف السماء فى جوانبها فتشكل كل عالمه .. كل طموحه وآماله !

لقد فهموا الدين على أنه تنسك واضطرتهم قلة الرزق أيضا على ذلك فاكتفوا بهذه الاشياء البسيطة التى لا تلون فيها ولا طرافة ولا غذاء.

بل ما أشبههم بالبحارة فى هذا الخضم ؟ فلماذا لم يحملوا نفس طموحهم ؟ ولماذا لا يحنون الى الاستقرار كما يحن اليه البحارة ؟ ولماذا يتسم البحارة بالطموح والجشع بينما تتبلور هذه القناعة فى نفوس البدو ؟

ان اجوبة هذه الاسئلة تكمن فى الاختلاف بين موحيات الصحراء وموحيات البحر فالصحراء تشعر الانسان بالفناء ، توحى اليه بالعبادة ، تحثه على الاكتفاء وتصفعه باللهب والظمأ ان هو لم يقنع • بينما يصور له البحر فى تكسر أمواجه موانىء جديدة وآمالا جديدة ••

على أن البدوى أقرب منا للطبيعة ولهذا فهو أقرب لجمالاتها منا وكان عليه أن يكون أكثر منا ابداعا ولكنه على العكس • نظر اليها من زاوية أخرى وأبصرها بمنظار آخر • والا فما أبدع تلألؤ نجمة الصبح فى عينيه وما أروع غروب الشمس وما أعطر شروقها ؟ وما أرق نسيم الصحراء فى لياليها الهادئة الرائقة ••

يغلب على الظن أنه يحمل نفسية بعيدة الاغوار عميقة المشاعر مرهفة الحواس ونحن نعلم أنه متى ما وصل الانسان الى مثل هذا العمق فى الشعور والتفكير كثر صمته وقل ابداعه وغاص فى تأملاته لا يريم !

بل لقد أصبح قطعة من هذه الصحراء •• وتابعا لها وركنا من أركانها كرمالها وصخورها ورياحها السافية وشواظها اللاهب •• ولكنه قطعة متحركة •• لها فى كل يوم بداية وفى كل يوم نهاية ثم بداية من جديد ••

ولكنه لم يزل فيها ذلك الفطرى فى صراحته وابائه وعفته • وهو يؤثر غيره على نفسه ويؤمن بالحرية على أوسع معانيها ويتمسك بعهوده على أن الصحراء كثيرا ما تخونه فتعطيه يوم لا يطلب ، وتمنع عنه حين يقتله الجوع والظمأ ، فما عرف شيئا من أخلاقها وانما ثبتت سجيته

على هذه الخصال الفاضلة وأروع دليل يقدمه البدوى على حبه للحرية أنه لا يقيد ابنته بزواج ليس لها فيه رضى •

ان مجتمعنا ينتظر هذه النفسية وينتظر هذه الاخلاق الفاضلة بكل لهفة فما أحوجه اليها الآن فى هذا الظرف العصيب الذى تتصادم فيه عاداتنا وتقاليدنا الاصيلة بالعادات والتقاليد الوافدة التى يسىء البعض التصرف بها •• اننا بحاجة الى هذا التطعيم الجديد فان البدوى خليق بأن يبث سجاياه الرائعة فى نفوس من سيحتك بهم من اخوانه سكان هذه البلاد ••

آثار التوطين
على عادات البدو ونظمهم

تحدثنا فى بحث أثر البيئة على عادات البدو عن الانعكاس الذى خلفته الصحراء فى تقاليد العشائر البدوية فطبعتها بطابعها الخاص ورسمت لها خطوطا واضحة مميزة تكاد تكون متميزة فى سكان كل صحراء •

وعلينا أن نعترف هنا أن التوطين ليس أمرا سهلا على البدو خاصة اذا صار سهلا على الحكومة أن تقوم به واذا ما جندت امكانياتها لهذا الغرض النبيل الذى هو من صميم واجباتها •

سيضطر البدو اذا على ترك العادات التى ألفوها وترك المحيط الذى تعودوا عليه ونبذ العادات الضارة التى تولدت لديهم من جراء حياتهم الخشنة القاسية فهل سيذعنون لكل ذلك عن رضاء وطواعية ؟ وهل سيشتد بهم الحنين الى حياة الصحراء والرحيل المفاجىء والغزو ؟ وبمعنى آخر هل سوف يفكر أحدهم بتفضيل تلك الحياة الخشنة على ما حصل عليه من هدوء ومن استقرار ومن ضمان أكيد ثابت ؟

نحن لا ننكر أن للعادة أحكامها على النفس الانسانية ولكننا قدمنا فى بحث آخر شيئا عن التثقيف التدريجى وسنتكلم هنا عن خطة أخرى نراها جد مناسبة لهذا الغرض وحبذا لو بدىء بها منذ الآن لانها

ليست بالخطة التي تثمر فور تنفيذها وانما هي رائعة النتائج بالقياس الى فوائدها اللامباشرة •

يقال في محيط التربية المدرسية أن للطالب الجامح علاجات كثيرة أهمها محاولة احلال التصرفات الضارة بأخرى نافعة ، واستبدال العادات السيئة بأخرى مفيدة • ولن يتم هذا في الحال وانما يتطلب ذلك من المدرس جهدا وصبرا وعملا متواصلا •

ان ما ينطبق على الطالب الجامح ينطبق على البداوة فما البدوى الا عضو من أعضاء المجتمع اختلف عن تيار النمو الطبيعي وشذ عن الطريق المألوفة في تطور الشعوب ونموها فظل على حاله الطبيعية دون تبديل ولا تحوير ، في الوقت الذى تعقدت فيه حياة الشعوب وتبدلت وتطورت وفقا لمستلزمات العصر الحديث • وظل قانونه بدائيا يكاد يكون قانونا طبيعيا بينما صارت القوانين تتبلور شيئا فشيئا حول أفضل آراء الاصلاح الاجتماعي وأحسن نظريات العقاب • وظل يعيش عيشة بدائية في وقت صارت الآلة فيه تعمل للانسان وتخفف عنه المشقة وتعطيه من فوائدها ما يسهل عليه الحياة حياة حرة كريمة رافهة •

البدو سيتبدلون اذا ونحن نعلم أن التبدلات المفاجئة ان نجحت على الاشياء والجمادات فانها فشلت عند تطبيقها على الانسان • وعلى ذلك فيتطلب هنا القيام بالمجهود تدريجيا وتطبيق نظرية احلال العادات في هذا الصدد •

وسيتوفر للمسؤولين بعد دراسة وافية يقوم بها الاختصاصيون أن يبدأوا بأبسط العادات التي لا ضير في استبدالها بعادات أخرى

وخاصة فى نفوس الاطفال الذين تتقبل نفوسهم الجديد دائما وتتبناه ويصبح فى يوم من الايام من معتقداتها وعاداتها الاصيلة •

وسيقوم بمعظم ذلك الواجب المدرسون المتطوعون الذين سيتولون العمل مع البدو على تثقيف أطفالهم ويرحلون معهم أينما رحلوا ، ويصلح لهذا العمل الشباب الذين لم تقيدهم الحياة الزوجية بعد والذين يمكن أن يمنحوا مخصصات اضافية جزاء ما يرهقون أنفسهم به من واجبات جسام •

البداوة كعادة من العادات

لا ينكر أن من أهم الدوافع التى تحث الانسان على الاستقرار هى الارض فان لها لسحرا عجيبا على النفس ، سحرا يدعو الانسان الى التمسك به بكل جهوده مدافعا عنه بدمائه باذلا من أجله الغالى والرخيص •

وليس هنالك ما يشغل البدو عن حب الارض ، فهم كما يعلم من رآهم قد ضعفت مجتمعاتهم القبلية الكبيرة بعض الشيء وانقسمت على نفسها الى أفخاذ وكتل وبيوت تتجول هنا وهنالك فى مشارق الارض ومغاربها على هوى كل جماعة ، ولذلك فليس هنالك ما يمنع البدوى من الاستقرار الا هذه العادة التى ترعرعت فيه وامتزجت بدمائه فأصبح لا يستطيع النوم الا على ظهر ناقته وقد يصبح من السهل تعليمه حب الاستقرار اذا ما رأى حوله الخضرة الدائمة ، فهو فى تجواله انما يبحث عن هذه الخضرة فى الصحراء المخادعة التى لا تهب الا السراب ولا تعوض المجهد فيها الا بالظمأ والحر اللاهب ، انه يائس كالروح الهائمة متشبث كالغريق يسعى وهو طفل ويسعى وهو رجل ويظل يمشى ويمشى وهو شيخ هرم أحوج ما يكون الى الراحة والهدوء والاستقرار •

أى انسان هذا الذى لا تعرف عنه بلاده شيئا ؟ انه يكاد يكون عبثا

عليها ••• فالدولة محرومة من مساهمته ، وهو اما يمر فى بعض قرى الاكتيال ليذوب شوقا ويتحرق لهفة الى هذه الحياة الوادعة التى يمكن ان تتحقق له لو مكناه من الاستيطان فى بقعة من الارض ومننا عليه بهذه الافدنة من الارض التى انما نمن بها على أنفسنا فنحيلها من عالم العدم والخراب الى بقعة أخرى وارفة الظلال نضيف تاجها الى تاج بلادنا ونضيف مناظرها وجمالها الى جمال بلادنا ونضيف أفرادها الى شعبنا المتنامى •

ومن هم هؤلاء البدو ؟ انهم الاصول التى انحدرنا منها •• انهم الدم النقى العربى الذى نعتز به كل الاعتزاز ونفخر به كل الفخر •

اننا فى الوقت نفسه سنؤدى خدمة انسانية رائعة المآثر جليلة الفوائد • اننا سنحكم على جزء هائل من الشعب بالراحة بعد العناء ونعيد للنفوس المعذبة طمأنينتها فى مستقرات الارض التى باركها الله فى كتبه المنزلة • انهم أقرب منا الى الله فى وحدتهم فى الصحراء ولذلك فمن السهل توجيه حملة دينية تساعد لجان التوطين على أداء عملها بافهامهم أن الله تبارك وتعالى أفاء بالرزق على مستوطن الارض وزارعها وأسبغ عليه نعمه وخيراته •

يكفينا أن نتصور خيمة الشعر الواهية تسفو بها الرمال من كل جانب وتحف بها الفيافى القاحلة من كل صوب •• ونتصور البدوى وأطفاله ممزقى الملابس ضامرى الاجساد •

وقد يقول قائل انهم معتادون على ذلك ، بئسه من منطق غير حصيف • أفيرضيه أن يعيش عيشتهم ؟ أم أنهم قد خلقوا من الحديد

وليس من هذا اللحم الذى يشكو ويتألم وهذا الدم الذى يصيبه ما يصيب البشر جميعا ؟ •

ألم يكن البشر جميعا مشردين فى الايام القديمة ؟ فلماذا استقروا واتخذوا الاوطان ووصلوا بالمدنية الى ما هى عليه الآن ؟ لماذا كل ذلك ان لم يكن نتيجة حتمية لكل حياة بدائية ؟ فلماذا لا نساعد الطبيعة على أداء واجبها ونوقظ فيهم هذا الاحساس الجميل ونكسبهم مواطنين اصحاء بدلا من أن نهملهم طوافين فى الارض ضائعين ؟ •

أثر البيئة في عادات البدو

الصحراء معدومة من فرص الاختيار وما على ساكنها الا أن يسلك نهجا معينا في حياته ولن يتعدى ذلك النهج بأى حال من الاحوال أبسط الطرق البدائية التى عرفها الانسان للحصول على رزقه . فهو يصيد وهو يغزو ان تمكن من ذلك وهو بعد هذا وذاك مضطر بحكم البيئة القاسية التي يعيش فيها أن يكون قاسي الطباع قاسي الملامح خشنا كخشونتها على انه الى كل ذلك برىء كبراءة أرضها الرملية الصافية وأديم سمائها الرائق لا تجد فيه غلا ولا طمعا لانهما في الحقيقة من نفايات المدنية وبهارجها وذهبها ومغرياتها .

أما متطلبات حياته فهي لا تتعدى أن يأكل وأن تأكل ماشيته وأن يجد حطبا يتدفأ به ولذلك فانت لا ترى في حياته الاقتصادية تعقيدا ولكنه مع ذلك كثيرا ما يهدد بحرمانه حتى من هذه المتطلبات البسيطة وذلك عندما تتجهم له الصحراء وتجف هواطل السماء فما تجود بالغيث عند ذلك يلتفت الى نفسه فيجد أنه جائع ويلتفت الى ماشيته فيجدها جائعة أيضا وأحيانا ظمأى ... فما يملك الا أن يغزو وليس ليجد في ذلك غضاضة ما دام ذلك يحقق له ضروريات الحياة .

ولما كان كثير الترحل وراء العشب والكلأ تجده لا يملك الا الخفيف من المتاع والبسيط من الادوات ، لا يثقل كاهله بأثاث ولا يهتم

الا ما لديه من تمر ومن رز ودقيق وقهوة • وهو تبعا للعادات العربية الاصيلة التى تحتم عليه واجب الضيافة نحـو أفراد الركب الراحل معه تجده يقاسم الآخرين ما يملك فهم يحيون فى الواقع حياة تعاونية يشتركون فيها بما يملكون ويشاركون أفراد العشائر الاخرى فى ذلك ان طوعا بالحلول ضيوفا عليهم أو كرها بغزوهم ونهبهم •

والبادية بعد هذا وذاك وبما رأينا من العوامل التى تحتم الغزو على أهلها تحتم عليهم من ثم أن يكونوا فرسانا محاربين وهم فى هذا يكادون يشبهون فرسان القرون الوسطى فى أوربا فهم مثلهم فى تدرعهم وتسلحهم الليل والنهار ، وهم مثلهم فى مفاهيم الاغاثة وحماية الضعيف ولذلك نشأت لدى البدوى طباع أصيلة حتمت عليه الفخر بفروسيته واحتقار الصناعة والزراعة •

أما علاقاتهم العاطفية فهى تخضع لعادات القبائل العربية فى هذا الصدد الا ان ترحالهم وانتقالهم من مكان الى آخر ورفض أو تعذر زواج أحدهم بالتى يريدها ، يدعوه فى غالب الاحيان الى أخذها عنوة فنشأت عادة زواج الخطف التى تجدها فى معظم العشائر العراقية بل حتى فى المدن أحيانا •

وعلى أن البدوى بعيد عن متطلبات الحضارة الجديدة من ثقافة وتعليم الا انه ذكى فطن حاذق ملم كل الالمام بباديته قادر على استكناه الغوامض التى قد يعصى فهمها على العلماء أنفسهم • وكم سمعنا أن شركات النفط تعتمد كل الاعتماد على خبرات البدو فى كشف النقاب عن خوافى الصحراء فهم الذين يقدرون المسافات تقدير الحاذق وهم الذين يعرفون طبيعة الارض شبرا شبرا بالرغم من تشابهها فى كل الانحاء ، ولا ينكر

أن لديهم خبرة بالفلك والنجوم مما يستعينون به على معرفة اتجاههم كما أنهم خبراء في تتبع الآثار مهما تعددت في رمال الصحراء وبالنظر لاتساع أفقهم فقد اتسع أفق أبصارهم وقوى سمعهم حتى صار مرهفا •

ونظرا الى بقائهم في منأى من الامتزاج بالغرباء فقد حافظوا على عنصريتهم فقد يمتد بيت من بيوتهم الى القرون العديدة من السنين دون أن تمسه شائبة أو يدخل فيه دم غريب •

وهم لا يعدمون من الامراض ولكن الله وهبهم من الاعشاب النامية في الصحراء ومن الحكمة التي حصل عليها شيوخهم والتجارب التي مرت عليهم ما حقق لهم الشفاء بهذه العلاجات البسيطة التي كثيرا ما نسمع من أهل المدن أنهم يلجأون اليها للاستشفاء •

ويشيع في المجتمع البدوي جو العدل فهم يكرهون الضيم ولا يصبرون على المجرم حتى يقتصوا منه ولهم في ذلك قوانين معينة يحكم بموجبها شيوخهم •

من ذلك كله نرى أن البيئة التي تحيط بالبدوي هي التي فرضت عليه تقاليده وعاداته حتى تأصلت فيه تلك العادات • فاذا تصورنا بيئة أخرى تختلف كل الاختلاف عن البيئة الحالية •• بيئة حضارية جديدة أساسها الاستقرار لامكننا أن نتصور تبدل تلك العادات غير المستحبة مع المحافظة على هذه الصفات الحسنة ردحا من الزمن على الاقل بسهولة فليست العادة قائمة بذاتها وانما هي معتمدة على الظروف • ولذلك فليس هنالك داع لليأس من هذه الناحية وليس هنالك حق لمن يدعي بأن عادة البدوي غير قابلة للتحوير •

التوطين كانعاش اجتماعى

تقاس المجتمعات بأفرادها ، ولا يمكن أن يعتبر المجتمع متطورا أو متحضرا ما لم يكن أفراده قد تخلصوا من قيود الطبيعة وتحكموا فيها وصار لهم كيان اجتماعى موحد ، فان ذلك يدعو الى وجود الهدف الاجتماعى الموحد الذى تتميز به المجتمعات الحديثة •

ان قوة المجتمع هى من قوة الروابط بين أفراده ، فاذا كانوا منفصلين عن بعضهم بعضا بالحوائل الاقتصادية واختلاف التقاليد وتغير العادات ، كان ذلك أدعى الى تفكك الروابط الاجتماعية بينهم وبالتالى الى عدم انسجام المجتمع نفسه وتنوع المبادىء التى يقوم عليها وينهض على دعائمها مما قد يتباين أحيانا فيؤلف خطرا على الوحدة الاجتماعية التى تربط لبناته بعضها ببعض •

ان سلامة المجتمع نفسه لا يمكن أن تنهض على القوانين بقدر نهوضها المكين الراسخ على الروابط التى توحد بين الافراد وتوجد بينهم نوعا من التضامن الاجتماعى والشعور بالوحدة والمسؤولية المشتركة • كما أن الفرد لا يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه نحو بلاده ما لم يجد منها الظل الظليل والمنبع السلسبيل ونحو حكومته ما لم تشعره بأنها انما تعمل من أجله فعليه أن يعضدها فى ذلك •

وعليه فان توطين البدو يضم فى طياته أعظم واجب وأكبر

مسؤولية ملقاة على عاتق أية حكومة نحو أفرادها ، في سبيل هدف هو من صميم أعمال الحكومات ، ذلك هو رعاية مصالح أفراد شعبها .

أما الفقر ، فهو كعامل من العوامل المؤدية الى عدم الاستقرار والقلق والتنقل في أرجاء الارض بحثا عما يروى الغليل ويشبع الامعاء ، يقاس بضآلة الموارد الطبيعية وهذا سبب لا يتوفر في بلادنا والحمد لله ، فقد حباها بكل ما تحتاج اليه أية بلاد لتقوم على أساسه نهضتها الصناعية أو الزراعية . ويقاس أيضا بتزايد السكان وهذا سبب تشكو منه أكثر دول الارض ولكنه على كل حال ليس سببا في مشكلة البدو على الاقل فانه ليلوح انهم حافظوا على عددهم وان زاد فانما هي زيادة طفيفة لا يمكن أن تقاس بالنسبة الى الاراضي الصالحة للزراعة التي تتزايدمساحتها في كل يوم في بلادنا .

ومن العوامل الاخرى في مشكلة الفقر مشكلة الجهل فانها تؤدى اليه حتما حين يبقى معظم الشعب جاهلا لا يدرك مصالحه ولا يعرف الوسائل الحديثة لتحسين موارده ولا يفهم كيف يطالب بحقوقه فيما اذا نام عنها المصلحون .

عندنا من هذه الاسباب ما يكفي اذا ، على ما يظهر من تفاقم المشكلة ، ولكننا لو دققنا في الامر جيدا لوجدنا أن هنالك سببا قويا جدا في الامر ذلك هو عنصر الاهمال وسياسة ترك الامور تجرى على حالها دون تغيير ولا تبديل ..

فالمشكلة اذا ذات جذور عميقة ، ومثل هذه المشكلة تتطلب تصميما طويلا بعيد المدى يمكن تلخيص أهم أهدافه في النقاط التالية :

استغلال موارد الارض استغلالا كاملا . وتجفيف الاراضي بناء

بيوت فى مختلف الانحاء صالحة للسكن ولتكون نواة لقرى المستقبل •
تعميم التعليم الابتدائى الذى يلائم الحياة الريفية ومحاولة اعطاء القبائل الرحالة أراضى أميرية صالحة للزراعة ومزودة بالآبار اللازمـــة أو بالترع الكافية •

ان مجرد تصور هذا العدد الهائل من المواطنين الجدد يعملون فى حقولهم بهذه الهمة التى لا تعرف الكلل وبهذا الاخلاص ، حيث ستكون الاراضى أراضيهم يوضح لكل ذى عينين وبصيرة الانتاج الهائل الذى ستحصل عليه البلاد وبالتالى الانعاش الاجتماعى الذى سيجنى ثمـــاره البدو أنفسهم والشعب قاطبة •

ان نظام القبيلة الان يعتبر حجر عثرة فى طريق الانعاش الاجتماعى من الوجهة المعنوية • وسيؤدى التوطين الى اضعاف هذا النظام تدريجيا مما يزيد فى هيبة القانون وتطبيقه على جميع الافراد ويوحـــد قلوب الافراد كافة ويشكل فى النهاية مجتمعا متبلورا بمفاهيمه منصهرا فى بوتقة واحدة •

ان المعلومات والدراسات المطلوبة لهذا الغرض موجودة ويمكن زيادتها بافساح المجال للاختصاصيين بدراسة المشكلة فى عقر دارها • كما أن ذلك يتطلب شعور القائمين بالحكم بعظم المسائل الملقاة على عواتقهم فى هذا الصدد ، وهذا متوفر الآن اذ تحاول الحكومات المتعاقبة أن تقترب من المشكلة لمعالجتها ولكن اقترابها يختلف قوة وضعفا حسب المشاكل الاخرى التى تأخذ وقتا غير كبير من عمليات التصميم والتنفيذ • أما الهيئات أو الرجالات التى يمكن أن يوضع أمر تنفيذ التصميم بعهدتها فيمكن توفرها ان لم تتوفر الان باعداد الشباب الجامعى منذ الان لمثل

هذه الاعباء واستقدام الخبراء المعنيين بمثل هذه الامور والاستفادة التامة من المثقفين الذين ينحدرون من أصل بدوى لهذه الغايــة فهم أدرى بهذه الامور •

انا سنخلص فئة كبيرة من الشعب من الفقر المدقع والحاجة الملحة والتشرد المؤلم • ثم نضمن اندماجهم فى كتلة البلاد العامــة كأفراد عاملين توفر لهم من أسباب المدنية والرفاه ما ينطبق على التسمية التى يتميز بها الشعب الذى نال حظه من الانعاش الاجتماعى : حياة حرة كريمة فى بلاد غنية بالخيرات والخصب •

متطلبات الثقافة الحديثة والصحراء

لا ينكر أن الصحراء في الوقت الحاضر محرومة حرمانا يكاد يكون تاما ، من أي ومضة من ومضات الثقافة والتعليم • وليس في الامر تقصير أو أهمال في الواقع فان مفهوم الثقافة يترادف مع مفهوم المدنية الحديثة التي لا تتوفر مطلقا في هذه الصحراء أو في سكانها •

على أن الوسائل الحديثة المتبعة في نشر التعليم والثقافة في البلدان المتأخرة تتخذ طرقا مختلفة لتحقيق غاياتها دون أن تقف مكتوفة الايدي أمام العوارض الطبيعية أو التقليدية أو حتى الاقتصادية • كما أن افتراض نشوء القرى الجديدة التي سيتم ظهورها فيما اذا تمت عملية حفر الآبار على نطاق واسع ستؤدي الى حاجة ملحة لجيش من المدرسين وحشد من المدارس وجهود ضخمة في هذا الباب ، يجب أن تدرس وتنظم بعناية وتتماشى جنبا الى جنب مع أية خطة تنفذ لنشر المدنية والتقدم في تلك الربوع • كما أن انتشار الطرق وامتدادها المستمر الى مختلف نواحي البلاد بما فيها الصحراء سيسهل أمر طرقها من قبل حاملي مشاعل الثقافة والمعنيين بشؤونها • فقد نشأت مدينة الرطبة مثلا من قلعة للهجانة الى أن صارت مدينة في الوقت الحاضر يسكنها كثيرون من البدو الذين استهوتهم حرفة التجارة والمبادلة الاقتصادية •

وبالرغم من تشابه البدو في مختلف بقاع الصحراء الا أنه ليس

من الممكن تطبيق خطة ثقافية واحدة فى جميع المناطق وعلى هذا فيتطلب الامر دراسة كل بيئة على حدة ووضع المنهاج على هذا الاساس ليتلائم مع تقاليد كل جماعة •

ولا ينكر أيضا أن كثيرين من الشيوخ لا ينظرون الى الثقافة والتعليم نظرة الارتياح ، ولكنهم فى الوقت نفسه يمكن أن يؤخذوا من نقطة هامة تلك هى أنهم أنفسهم يرسلون أولادهم الى مدارس المدن فى الوقت الذى لا يستسيغون ذلك لرجالهم •

ولكن كثيرين من الشيوخ ايضا ممن لديهم الافق الواسع والاطلاع الكافى بدأوا يشعرون بالبون الشاسع بينهم وبين سكان المدن من حيث نصيبهم ونصيب قبائلهم فى التعليم فصاروا يطالبون أحيانا بفتح المدارس والحاقها بعشائرهم •

وعلى كل حال فان رضى هؤلاء الشيوخ أو لم يرضوا فان الواجب يتطلب ايجاد تجانس بين افراد الشعب لتحقيق الوحدة الاجتماعية وان الثقافة اليوم هى الطريق الوحيدة الموصلة الى مثل هذا التجانس فى التفكير وسبل السلوك الاجتماعى • ولن يحصل العراق على التقدم الذى يصبو اليه اذا ظلت أكثريته غير متعلمة •

ان المنهاج الذى تتطلبه مثل هذه البيئات يختلف كل الاختلاف عن المنهاج المطبق فى المدن حاليا ، فان دراسة أهل المدن صورية نظرية فى اكثر أشكالها مما لا يتفق مع طبيعة الحياة فى البادية التى تتطلب من كل فرد من أفرادها عملا متواصلا وتحتاج الى كل يد فى الجماعة لتعمل لا لترسم الخطوط على الورق • ولقد نجحت الدراسة التجريبية فى كل مكان طبقت فيه كما أن خطة وزارة المعارف فى الوقت الحاضر

سائرة لتحقيق هذا الهدف باقدامها على فتـــح المـدارس الزراعيـــة والصناعية والتجارية ومحاولتها الحد من المتخرجين النظريين الذين لا هم لهم الا البحث عن الوظائف الحكومية •

كما يجب أن تتحاشى مدرسة المستقبل المعدة للصحراء الخوض في التقاليد البدوية جهد الامكان لانها اذا فعلت ذلك ستجابه بصخرة قوية صماء راسخة في النفوس على أن ذلك كفيـــل بتحقيقه الزمن والثقافة نفسها التي سيحصل عليها شباب الغد ويفضل أن يقوم بالتدريس شباب من هؤلاء الذين انحدروا من مثل هذه العشائر أو منهم في الوقت الحاضر ممن اتيحت لهم فرص التعلم وهم كثيرون في الواقع لان هؤلاء أعرف بنفوس البدو من مدرسي المدن ، كما أنهم يستطيعون التآلف معهم سواء باللباس التقليدي أو بالعادات التي لن تكون الا مؤقتة في الحقيقة والتي سيكون تيار المدنية والثقافة الحديثة في وقت ما ، قريب ان شاء الله ، أقوى منها فيجرفها ويبلور مكانها في النفوس قوى أخرى دافعة نحو تفكير سليم وبناء قويم •

وتمكن الاستفادة من المدارس السيارة أيضا بل انها قد تكون فاتحة هذا العهد لانها ستحاول التوفيق مقدما بين متطلبات التعليم وبين نفوس البدو وتخلق نوعا من التآلف والتعود على وسائلها ، وهي بالاضافة الى ذلك مزودة بوسائل تضمن نجاحها واقبال البدو عليها بما تحمل من سينما تعرض لهم الافلام الثقافية المسلية ووسائل ايضاح أخرى •

وتنهض لدينا قبل ذلك كله مسألة الحاجة الى دار لتخريج معلمين متخصصين في هذا الفن ــ فن تثقيف البدو وتعليمهم ــ تدرس طلابها ، مدرسي المستقبل ، أنجع الوسائل للوصول الى قرارة أعمـــاق نفس

البدوى وخلبها لتحقيق اقباله عليها • كما تدرسهم أيضا جميع عادات البدو وتقاليدهم والنواحى الاجتماعية والاقتصادية من مجتمعاتهم المتجولة على أن يكون الهدف الاول من وراء ذلك هو بث حب الاستقرار فى النفوس والعمل على تحقيق ذلك الهدف بكل الوسائل الممكنة •

ومن الواضح بعد هذا أن المنهاج الذى يجب تطبيقه يجب أن يكون منبثقا عن الثقافة الزراعية على أن تفضل فيه الناحية العملية على النظرية كما أنه يجب أن يضم دراسات عملية أيضا حتى عن حرفة الرعى وتربية الحيوانات لانها فى الواقع من صميم أعمال بعض العشائر والبدو فى الوقت الحاضر •

يضاف الى ذلك كله أننا لا نواجه قوما م نالوحوش ممن تصعب تربيتهم وتثقيفهم الى هذا الحد وانما نواجه قوما كان لهم فى غابر أزمانهم شأن وأى شأن فى عالم الرقى ودنيا الممالك المتحضرة • قوما لهم من هذا الدين الحنيف منبع لا ينضب من الثقافة والفلسفة والحكمة• ومن تقاليدهم وعاداتهم أخلاق كريمة وخصال رائعة مما لو قام عليها أى مجتمع لكان من أرقى المجتمعات المتحضرة •

على أننا نستطيع فقط أن نقول أن المجتمع البدوى متخلف فى حضارته وانه سائر قدما نحو المستوى المنشود وتتوقف سرعة هذا السير على مقدار الجهود المبذولة فى سبيله •

كما أننا يجب أن نلاحظ نقطة هامة فى هذا الصدد تلك هى أن المدرسة ستحقق اتساع مشاعرهم القومية فبدلا من أن تكون مقتصرة على الولاء للقبيلة فانها ستشمل العناية بالامور العربية وستوحد وتتبلور فى القومية العربية نفسها •

بالاضافة الى أن المدرسة ستحاول أن تفهمهم أن هنالك من الحاجات الضرورية للانسان ما يستحق التخصص بدلا من هذه الاعمال البسيطة التى يتشابه فى أداءها كل الافراد حيث لا تنوع ولا تغيير وانما رتابة مملة •

تدريب الاخصائيين :ـ

« ومع أن المبدأ الذى يجب أن نسير عليه فى أعمالنا هو أن تعليم القبائل يجب أن يجرى فى جو قبائلى وبواسطة أفراد القبيلة فانه من الضرورى الشذوذ عن هذه القاعدة فى تدريب الاخصائيين لقيادة العمل بين القبائل • ولكن هذا الشذوذ عن القاعدة لا يخل بهذا المبدأ العام • وعدم وجود أى اختصاصى من أبناء القبائل فى أول الامر يتطلب أن يباشر بالعمل عدد غير قليل من الاختصاصيين من أبناء المدن والحواضر يختارون لهذا الغرض اختيارا متقنا • واننا نقترح فى نفس الوقت أن ترسل فئة منتخبة من أبناء القبائل وبناتها ليعدوا أطباء أو زراعيين أو ما شاكل ذلك فى بيروت أو مصر ثم تعود هذه الفئة وتخدم القبائل بصفتها اختصاصية فى هذه الفروع وقد يصعب عليها بعد رجوعها رغم كونها من أبناء القبائل أن تكيف نفسها للحياة القبائلية ولكن عدم التكيف هذا لا يجوز أن يسود على التعليم القبائلى بحيث يجعل كل تعليم للقبائل بعيدا عن مشربهم بل أن عدم تكيف القليلين لحياة القبيلة يمكن أن يخفف ببث المثل العليا فيهم للخدمة والتضحية وبارجاعهم الى قبائلهم خلال العطلة للقيام بالخدمات الاجتماعية »[1] •

---

(١) الفصل الرابع من تقرير مونرو ـ للدكتور محمد فاضل الجمالى •

ان امكانيات التوطين كثيرة والحمد لله فى بلاد مثل بلادنا تفيض بالخيرات والثروات والانهار •

على اننا سنحاول ان نضـــع النقط الاساسية التى نستطيع فى حدودها ان نوضح هيكل هذا المشروع الجبار وقد نضع بعض التسميات التى تلائم الحاجة فى الوقت الحاضر الا انها كلها خاضعة للدرس وما هى الا نواة اساسية وبداية علها تؤدى الى النهاية المرجوة ، ونحن فى الواقع ـ ولو اردنا ان نبحث كل وسائل التوطين لتطلب الامـــر مجلدا ضخما وذلك لوفرة هذه الوسائل وامكانية تحقيقها •

فاذا بدأنا بأقرب الطرق واسهلها وجب علينا ان نبـــدأ أولا بالتوطين الزراعى وثانيا بالتوطين الصناعى •

١ ـ التوطين الزراعى :

يرادف عبارة التوطين الزراعى وجود الارض الصالحة للزراعة • والحقيقة أن الصحراء لا تعدم فى مختلف انحائها من الاراضى الصالحة للزراعة التى يمكن البحث عنها وفحص تربتها من قبل الخبراء وحفر الآبار الارتوازية لها أو محاولة ايصال الماء اليها من أقرب الانهـــار بمشروع أو مشاريع تعمل فيها الآلة •

كذلك نلاحظ فيما لو تم النظر فى أمر توزيع مثل هذه الاراضى أن لكل عشيرة منطقة تجوال اعتادت عليها منذ القديم وأصبح لها فى تلك المناطق بمرور الزمن حق فى الرعى وفى الماء بصورة يتعذر معها توزيع هذه الاراضى دون الاخذ بعين الاعتبار حقوق البدو التقليديـــة

فيها • ولكننا قد نستطيع فى الوقت نفسه أن نقوى فى أنفس البدو هذا الشعور الذى يدعوهم الى الالتصاق بالارض اكثر والى محاولة استغلالها الاستغلال المثمر •

نعم •• انه لمن الصعب على البدوى ان يتعود على الزراعة بسهولة لصعوبة عملها الشاق ولكن الامر مختلف الان بوجود الآلة التى سهلت كل شئ على الانسان فاصبحت الزراعة فى الواقع أسهل بكثير من هذا المجهود الشاق الذى يبذله البدوى فى التنقل والترحال • ان البدوى يريد مراعى خصبة لابله وخيله وصيده فاذا وجد البقعة ذات الخضرة الدائمة استقر فيها ولم يجنح الى مفارقتها ونما حبها فى اعماقه وحينذاك سيلجأ هو نفسه الى زراعة بعض المزروعات التى هو فى أشد الحاجة اليهـــا •

على أننا يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار أيضا أن البدوى اعتاد على الحياة الحرة ولذلك فلن يخضع لشروط المالك الثقيلة ولا لتعنته وارهاقه وانما ستميل نفسه الى ملكية أرضه أو على الاقل الى اشتراكه فيهـا مع بيت آخر قريب له •

كما نلاحظ أيضا أن التطور الطبيعى الذى تتبعه الحياة آخـذ بنفسه باذابة النظم القديمة من بدائية وبدوية فى بوتقة النهضة والمدنية الحديثة وما علينا نحن الا أن نعجل فى ذلك بمساهمتنا فى احياء الاراضى وتحبيبها الى البدو •

ان النقاط التالية ستساعد بلا ريب كخطوة اولى على انجاز جزء من عملية التوطين •

أ ــ التوصية بحفر الآبار اللازمة فى الصحراء بحيث يتناسب

عددها مع عدد العشائر البدوية واصلاح وتعميق الآبار الموجودة حاليا والتي يجد البدو مشقة في استعمال بعضها وذلك بأمل استقرارهم حول هذه الآبار وزراعة الاراضي التي حولها ٠

ب ـ تأجير بعض الاراضي الزراعية الحكومية وغير الحكومية للبدو المقيمين في انحائها لمساعدتهم على الاستقرار والتوطين بصفة دائمة في تلك المناطق ٠

ج ـ مساعدة من يهاجر من الصحراء الى المناطق الآهلة أو الخصبة على التوطن وذلك برعايته اجتماعيا واقتصاديا حتى يستقر في معيشته ٠

د ـ الاستفادة من خبرات طلاب فرع الدراسات الاجتماعية في كلية الآداب والعلوم وخريجيه في هذه النواحي بالاضافة الى خدمات الموظفين الزراعيين والصحيين ٠

وقد تلاقينا في هذا الصعوبات التالية :

أ ـ تضارب القيم الاجتماعية المتبعة لدى البدو وأهل المدن أو الارياف فمن المؤكد أن لكل منهما تقاليده وعاداته ٠

ب ـ انعدام ثقة اهل الريف والحكومة في ضمان استمرار البدو في الاستقرار والتوطن في الارض الزراعية لو أجرت لهم وبالتالي انعدام الثقة في تسديدهم ايجارات هذه الاراضي ٠

حـ ـ جهل البدو بأصول الزراعة خصوصا المحاصيل التي لم يتعودوا على زراعتها في الصحراء ٠

د ـ ان البدو كثيرون بحيث أن المشاريع الصغيرة لا تكفي لحل مشكلتهم ٠

ومع كل ذلك فما زالت لدينا امكانيات للتوطين الزراعى فى الصحراء بطريقة لا تتعارض مع مصالح أهل الريف والمدن ولا تصطدم مع تقاليد البدو وعاداتهم وذلك بحفر العدد الكافى من الآبار فى الأجزاء الممكن زراعتها من الصحراء وهكذا سيعتمد البدو أيضا على الرعى والصيد ولكن فى حدود أضيق مما كانت عليه سابقا وذلك لتوفر الماء باستمرار فى منطقة معينة بالذات • انهم سيبتعدون عن الصحراء شيئا فشيئا ويقل سحرها على نفوسهم عندما يألفون مكانا واحدا عند ذلك لن يجدوا فى أنفسهم قوة على مفارقته فيحبونه ويميلون الى تجميله على الاقل بالمزروعات ان لم يكن ذلك لاستهلاكهم الخاص •

كل ما يهمنا هنا هو الحد من تجوالهم لان الآبار ستوفر لهم الماء لزراعة الكلأ بدلا من البحث عنه فى انحاء البادية وقد يتحقق التوطن والاستقرار حول هذه الآبار فيما لو امكن تدبير طريقة ما لبناء منازل بدلا من الخيام • وبهذه الطريقة قد يتحقق قيام القرى فى الواحات فى انحاء الصحراء • ومن ثم يرتفع مستوى المعيشة الخاصة بهؤلاء البدو ويجب أن تساعد قبائل البدو نفسها فى مسألة حفر الآبار وذلك بمساعدتهم ماليا ومدهم بالبذور والمساعدات الفنية والارشاد الزراعى وتعليمهم بعض الصناعات اليدوية ومساعدتهم على شراء بضائعهم ولوازمهم بواسطة الجمعيات التعاونية •

كل هذا ولم نتطرق الى موضوع المشاريع الضخمة التى ينتظر أن يقام بتنفيذها فى السنوات القادمة بالاضافة الى ما تم تطبيقه منها بهذا الخصوص • لنأخذ مثلا بحيرة الحبانية التى تتاخم الصحراء وتشرف على أرضها العطشى بمائها العذب المخزون فيها • فشبكة

من المشاريع الصغيرة نستطيع ايصال ماءها الى بعض مناطق لواء الدليم التى يتضح بعد دراسة الخبراء لتربتها أنها قابلة للزراعة • عند ذلك يتم الالتفات الى تأسيس الدوائر الزراعية الدائمة التى سترشد أولئك الفلاحين الناشئين رويدا وتأخذ بيدهم وتؤسس لهم ما يحتاجون اليه من مخازن للغلال وكذلك تقوم هى بتسليفهم أو أن تنشأ جمعيات تعاونية لهذا الغرض يكون من واجباتها شراء حاصلاتهم •

ان وضع الدولة المالى يمكنها من اعطاءهم منحا مالية باقساط طويلة الاجل اما على شكل نقود أو على شكل مضخات لرفع الماء من الآبار وبذور وهذا أفضل •

٢ ـ التوطين الصناعى :

بالرغم من قلة المشاريع الصناعية فى البلاد الا انها مع ذلك تبشر بتقدم وازدهار ، واما الصناعات الحالية فعلى رأسها تقوم صناعة النفط التى لها محطات فى قلب الصحراء وفى مناطق نفوذ هؤلاء « البدو » •

وقد تصادفنا هنا عقبة لا يستهان بها تلك هى مسألة الخبرة فان البدو قوم سذج ليست لديهم الخبرات الكافية لكى تتسع لهم صدور الشركات الصناعية الا أننا قد نستطيع كبداية أن نحرض قسما منهم على العمل فى الشركات كحراس وعمال ، ولحسن الحظ فان معظم مراكز العمل فى شركات النفط تقوم وسط الصحارى من محطات لضخ النفط الى شبكات توزيع فاذا استبدلنا بعض العمال من الذين نالوا حظا من الثقافة وتبلور فى نفوسهم حب المدنية ببعض هؤلاء البدو استطعنا أن نستميلهم الى حياة الاستقرار وقد يلوح ذلك لبعض الناس

حلا غير جذرى الا أنه جذرى فعلا لو أخذنا بنظر الاعتبار علاقات البدو بعضهم ببعض لاننا فى الحقيقة سنتيح لهم فرصة ليلمسوا بأيديهم ما حققه أخوانهم الذين يعملون فى الشركات من حياة هانئة مستقرة فيقدم الاخرون على ذلك أيضا كما حدث مثلا فى العمارة حين استطاع بعض أفراد العشائر أن يحصلوا على أعمال فى بغداد فأدى اتصالهم برفاقهم هناك الى تحريضهم على النزوح الى بغداد والبحث عن الاعمال حبا فى الاستقرار • كذلك الامر فى شركات النفط التى حفرت الآبار وحولت الصحراء الى جنات وارفة الظلال وعمل فيها فعلا بعض البدو الا أن ذلك لم يكن على نطاق واسع وذلك كما قلنا لعدم توفر الامكانيات والخبرات اللازمة لدى هؤلاء البدو مما تتطلبه طبيعة العمل الفنى الا أن تلك الشركات مع ذلك استطاعت أن تستفيد من بعض هؤلاء البدو فحولتهم الى قوم عصريين لا أثر للبداوة فيهم على الاطلاق الا لهجتهم وبعضهم الآن يرتدون الربطات ويأكلون فى مطاعم الشركات جنبا الى جنب مع الموظفين ويحضرون حفلاتهم ويشهدون الافلام السينمائية الثقافية وأكثر من ذلك : يرسلون اطفالهم الى المدارس فينالون حظهم من الثقافة والعلم •

لقد اصبحوا مواطنين حقا ودافعى ضريبة ومساهمين فى المجتمع تعتز بهم البلاد وتفخر أيما فخر •

على أن الامر ليس قاصرا على شركات النفط فحسب فان لدى الحكومة كثيرا من المشاريع الاعمارية التى تهدف الى اصلاح الاماكن النائية والصحراوية فاذا تصورنا أننا لجأنا الى بعض هؤلاء البدو وأجرينا لهم بعض التدريب لمدة وجيزة من الزمن لعرفنا مبلغ الفائدة التى

سنجنيها من وراء ذلك حين نتصور كثرة الايادى الماهرة التى سنحصل عليها وهم والحمد لله معروفون بالذكاء والمقدرة مشهود لهم بالفطنة • كل ذلك بالاضافة الى قرى ومدن جديدة ستنشأ وستزيد من مظاهر التقدم • فى البلاد وستؤدى بمجموعها الى الرفاه المنشود الى هؤلاء البدو والى غيرهم من السكان •

٣ ـ التوطين بواسطة حرفة الرعي :

لا ينكر أن حرفة الرعى لم تتطلب التجوال عند البدو فقط وانما فى جميع انحاء العالم فقد سمعنا كثيرا عن رعاة البقر فى امريكا وغيرها ولكن هؤلاء الرعاة استطاعوا الاستقرار فى مناطق خاصة وانشأوا القرى الجميلة والحقول الواسعة الثابتة لتربية دواجنهم ومختلف أنواع الحيوانات ولذلك فليس لنا أن نتفق مع من يزعم أنه لا يمكن القيام بتوطين البدو نظرا الى أنهم رعاة •

لقد اصبحت حرفة الرعى وتربية الحيوانات فى الدول الاخرى تجارة مربحة ووسيلة محسودة من وسائل العيش وعاملا للاستقرار بدلا من أن تكون عاملا للتجوال ولو تصورنا أن بلادنا لم تكن تضم هذه الصحراء وأنها كانت كلها خصبة معشوشة على طول السنة لما كان للبدو أثر ولرأيناهم جميعا يضارعوننا مدنية وحضارة واستقرارا •

لقد قامت المصانع الجبارة الى جانب حقول تربية الحيوانات فكان منها ما يختص بتعليب اللحوم والالبان وكان منها ما يختص بصناعة الجلود والاصواف وباختصار فان الحياة المدنية فى الواقع تعتمد كل الاعتماد على المنتجات التى يقدمها أولئك الرعاة والمربون •

أى ازدهار سيتم لمثل هذه الصناعات فيما لو استقر هؤلاء البدو وانتظم توزيع منتجاتهم وصار موردا ثابتا يزود مثل هذه المصانع (ولو كانت صغيرة) بالمواد الحيوانية الخام • انها ثروة جديدة تضاف الى ثروات البلاد ورفاه أكيد لجانب كبير من سكان بلدنا الحبيب •

ويستطاع فى هذا الصدد اللجوء الى خبرات الاختصاصيين وبعض من سبق لهم القيام بهذه الاعمال وقد دلت التجارب كلها على أن مثل هذا المشروع ناجح مائة بالمائة •

لقد أردنا هنا أن نثبت أن حرفة الرعى لا تتطلب التجوال ما دامت المناطق القريبة بالنسبة الى البدوى تحفل دائما بالقوت له ولعياله ولحيواناته عند ذلك سيجد نفسه مرغما على الاستقرار وبناء بيته الخاص وتحسين منطقته والعمل على رفع مستواها •

الآبار الارتوازية

ليس من ريب فى أن لكل مشكلة حلا تثمر ثمراته للساعين فى سبيله ولقـد حبا الله هـذه الصحراء ، على ظمأها واقفرارهـا ، بالماء يتدفق فى أعماقها سلسبيلا عذبا ينتظر اليد العاملة أن تفسح له المجال ليخرج الى سطح هذه الاراضى العطشى ليرويها والى هؤلاء الرحل الضاربين فى أرجاء الصحراء بحثا عن الماء لينقع غلتهم الصادية •

ان مثل هذا المشروع ، مشروع حفر الآبار الارتوازية ، سيجعل من الممكن على الاقل تأسيس بعض مخافر الشرطة فى أرجاء الصحراء تلك التى لابد وأن تنشأ حولها مع الزمن قرى صغيرة ينتشر منهـا الخصب والايناع • ونضمن بذلك انتشار الامن فى تلك المناطق •

كما أن هذه الآبار ، على فرض أنها ذات سعة كافية ، ستوفر الماء لرى الاراضى المجاورة القابلة للزراعة وتوفير معدل دائم من الخصب لرعى الاغنام والقطعان الاخرى بالاضافة الى امكانية الاستفادة منـه لزراعة بعض المزروعات ويستحسن أن يباشر عند حفر الآبار بشتل فسائل النخيل فى أرجاءها لانها ستكون ذات فائدة عظيمة فى حماية المزروعات الصغيرة وفى تلطيف جو المنطقة ما دام المشروع بعيد النتائج الى هذا الحد •

وبالاضافة الى هذا وذاك فاننا سنقاوم بذلك كثيرا من الامراض

الناجمة من عدم حصول البدو على الماء الكافى لغسيلهم وسيتوفر لهم بذلك ماء نقى لشرابهم بدلا من الماء الراكد الذى قد يعثرون عليه هنا وهنالك فى زوايا الصحراء وماء نظيف لنظافة أجسامهم وملابسهم بدلا من أن تلتصق الثياب بأجسادهم طيلة العام •

كما أننا سنستطيع التقليل من نزاعاتهم حول الماء فكثيرا ما تقوم معارك عنيفة يسقط فيها الكثيرون قتلى وجرحى وتسقط فيها قبلهم هيبة النظام فى تلك المنطقة صريعة هذا النداء الملح الذى يتفجر فى أعماقهم طلبا للماء •

وسيكون سهلا على الحكومة اذاك أن تشرع فى انشاء الطرق لربط المناطق الصحراوية بعضها ببعض نظرا لتوفر المياه المتطلبة للعمال والعمل وعند ذلك سيتم لنا اكتشاف صحراءها على الاقل لمعرفة المناطق التى يمكننا استغلالها والانفاق عليها كما ستسهل مهمة التسوية التى ستكون بمثابة كشف عام لجميع مناطقها وقد ثبت أن الصحراء قابلة لاستخراج الماء منها فى جميع مناطقها وثبت أيضا كفاية الماء المستخرج لمختلف الاغراض •

وأخيرا فانه سيقاوم الترحل والانتقال لانه سيكون موردا ثابتا للماء والكلأ فلا حاجة ليتعب الانسان نفسه بحثا عنهما ما داما متوفرين فى هذه الآبار التى يجب أن تكون واسعة لتكفى لاغراء تلك العشائر بالبقاء الى جانبها •

وتجدر فى هذا الصدد ملاحظة حاجة هذه الآبار التى سيتم حفرها والمحفورة سابقا الى عدد كاف من المضخات لسحب المياه منها كما أن ذلك سيتطلب أيضا موظفين وعمالا لادامة هذه المضخات

فيستقرون حول هذه الآبار ويشكلون نواة القرية القادمة •

« ان الآبار الارتوازية التي حفرت لحد الآن في العراق بالرغم من تسميتها آبارا ارتوازية ليست ارتوازية كما يعرفها الجميع من تعريف الآبار الارتوازية في الكتب المدرسية • يعثر على الماء في معظم أنحاء العراق بطبقات حاوية للماء الجيد بأعماق تتراوح بين (٢٠٠) و (٧٥٠) قدما من سطح الارض ، ولا يرتفع الماء الى سطح الارض كما هو المعروف عن الآبار الارتوازية في الكتب المدرسية وذلك لعدم وجود القوة الطبيعية التي تدفعه الى سطح الارض بل الى أعلى من سطح الارض أحيانا ويتناسب الارتفاع الذي يصل اليه مع القوة الطبيعية الدافعة • لذلك ينبغي لكيما يصل الى سطح الارض وضع مضخات خاصة تستعمل لرفع الماء من هذه الاعماق الكبيرة وتدار بواسطة محركات خاصة ••• وقامت دائرة الآبار الارتوازية بحفر (١٦١) بئرا ارتوازيا ناجحا حتى اليوم كان (٤٥) بئرا منها لمديرية السكك الحديدية العامة والبلديات ومديرية الاشغال العامة و (٣٥) بئرا فاشلا ، و (١٥) بئرا يدوية نصبت عليها المضخات الهوائية لوجودها في مناطق تكثر فيها الريح التي تدير هذه المخضخات و (٢١) بئرا كاملة تنتظر المضخات لتنصب عليها ••• وانحصرت أعمال دائرة الآبار الارتوازية منذ تأسيسها في أعمال المسح الجيولوجي التمهيدي لتعيين مواقع الآبار وبعد التعيين تباشر شعبة الحفر بالعمل والانتهاء منه وتبطينه بانابيب فولاذية من أعلى البئر الى أسفله ويفحص البئر لتعيين كمية الانتاج الذي يمكن القيام به دون أن يؤدي ذلك الى التأثير على منسوب المياه • ويجري تحليل الماء كيمياويا بصورة دقيقة لتعيين نوعه

وتصنيفه حسب المواد والاملاح الذائبة فيه ليتقرر ما اذا كان صالحا للشرب أم لا • فاذا وجد غير صالح تسحب أنابيب التبطين منه ويردم البئر • وقد سارت دائرة الآبار الارتوازية على هذه السياسة ، وهي سياسة عدم السماح لشرب الماء الذي يعثر عليه الا اذا كان صالحا للشرب حسب المواصفات الصحية حتى وان أبدى الاهلون استعدادهم لاستعماله للشرب •

وعند ذلك تنصب المضخة على البئر ويبنى خزان من الخرسانة حجمه ١٠ في ١٠ أقدام مسقف بالخرسانة المسلح أيضا للحيلولة دون تلوث الماء • ويوصل الخزان مباشرة بأنبوب الضخ ، وتبنى أربع جوابي على أطراف الخزان تملأ من الخزان نفسه لشرب الحيوانات • ويأخذ الاهلون ماءهم بواسطة حنفيات خاصة من الخزان الاهلي • وقد وجد أن هذه الطريقة هي خير الطرق لحفظ الماء بصورة صحيحة وعدم فسح أي مجال لتلوثه من جانب الاهلين وحيواناتهم »[١] •

يتضح لنا من هذا أن الامكانيات لحفر هذه الآبار متوفرة سواء في الاراضي أو في الخزينة وان الامر يتطلب الشروع فقط في تضخيم المشروع وشموله مناطق واسعة من الصحراء وشراء مضخات كافية لهذا الغرض كما أن لدينا دائرة صار لها من التجربة في هذا الصدد ما يكفي لتوسعها كما أن لديها من التقارير حول طبيعة الارض ما يبشر بخير ويدل على انه في الامكان بث هذه الآبار أو الحياة والخصب بمعنى أصح في جميع المناطق المحرومة منه في العراق •

ان النجاح التام في هذا الامر يتطلب متابعة الدراسات الجيولوجية

---

(١) الآبار الارتوازية في العراق ـ السيد احسان رفعت ـ مجلة الزراعة •

والهايدرولوجية لمعرفة نوعية وكمية المياه الجوفية وذلك لامكان تنظيم استغلالها على الوجه الاكمل فى المناطق التى لا تتوفر فيها المياه السطحية أو تقل فيها مياه الامطار •

كما أن حفر الآبار يتطلب اشتراط كون الارض أميرية صرفة وذلك لامكان تحقيق النفع العام منها • فقد تحفر الآبار فى الاراضى المفوضة بالطابو أو المملوكة أو الممنوحة باللزمة وعندئذ يكون لصاحبها الحق فى منع الآخرين من الاستفادة منها • على أن ذلك لا بأس به فيما اذا أمكن استعادة المال المصروف على حفر البئر ونصب المضخة من مالك الارض لان ذلك سيكون بمثابة قرض لن تخسر به الدولة شيئا وانما ستساعد على الاكثار من حفر الآبار وليت ذلك يعم معظم المناطق لانه لن يكلف الدولة فى الحقيقة الا الارشاد والاقراض فى حين تستطيع أن توفر المخصصات التى تخصصها لحفر الآبار الارتوازية على نفقتها للمناطق التى لا ينتظر منهم أن يكونوا قادرين على تعويض تلك النفقات •

وقد سارت الحكومة على هذه الخطة فى حفر الآبار القليلة التى تقوم بحفرها بين حين وآخر مراعية فى كل الامور تحقق فائدة النفع العام أولا اما بحفرها الآبار فى الاراضى الاميرية فقط أو بتأمين حق المرور للجميع للانتفاع من البئر •

ولن يقتصر الامر على الآبار الارتوازية فى الواقع بعد أن أمكن للعراق السيطرة على مياه أنهاره فهنالك مثلا مشاريع موزعة فى قضاء القورنة وناحية السويب والمدينة ومشروع احياء الاراضى فى الزبير فى منطقة صفوان والاراضى الشرقية الممتدة بين الحدود العراقية ـ

الايرانية • ويؤمل أن يتم مشروع احياء أراضى صفوان عن طريق حفر مجرى يمتد من هور الحمار الكائن بين البصرة والناصرية حتى يصل هذه المنطقة مارا بأراضى الزبير الى صفوان وسيجلب الماء الى هـذا المجرى بواسطة الآلات الضاخة • أما مشروع احياء الاراضى الشرقية الممتدة بين الحدود العراقية ـ الايرانية فينتظر أن يقوم مجلس الاعمار باحيائها بواسطة حفر ترعة من ناحية السويب والواضح ان اتمام هذين المشروعين يعنى اضافة ثروة زراعية عظيمـة الاثر الى ثروات البـلاد وتوطين قسم كبير من البدو الرحل •

ان مشاريع الآبار الارتوازية أو مشاريع حفر الترع ستؤمن على الاقل زوال الصور الكالحة للرعاة الذين كثيرا ما يتوجهون الى المدن تاركين أغنامهم هناك وهى فى شدة العطش لقلة الماء فى الصحراء وذلك لجلب الماء اليها بواسطة السيارات واللوريات • كما يحدث دائما اذ يضطر الكثير من رعاة الغنم أحيانا أن يدفعوا لكـل لورى ماء عشرة دنانير •

المعادن في مناطق البدو

ما حرم الله أرضا من الخيرات والخصب الا ومنحها من فضله ما يعوضها وأهلها عن ذلك • كذلك الامر في هذه الصحراء فانها لم تعدم من الكنوز التي ما تزال مخبأة لم تمسسها يد العمل لاستخراجها •

ففي كثير من جهات الرمادي ـ هيت وعلى مبعدة خمسة كيلومترات غرب الرطبة وفي غيرها من المواقع توجد كميات وافرة من الاتربة الملونة (الديستنبر) بالاضافة الى معظم المركبات الخام التي تدخل في صناعة الزجاج •••

فلو تمت الاستفادة من هذه الخامات وقامت الى جانبها المصانع أو مراكز التعدين لكان ذلك عاملا آخر في استقرار البدو واقبالهم على جني ثمار صحراءهم عن طريق آآخر • بالاضافة الى كونها وسيلة جديدة لزيادة الدخل القومي والثروة الوطنية •

انها الان هنالك في تلك القفار تعبث بها الايدي الجاهلة التي لا تعرف عن قيمتها الحقيقية شيئا دون أن نقوم بعمل جدي للاستفادة من خبراتها لتنمية الحركة الصناعية في بلادنا •

هذا ما هو ظاهر بنفسه على أرض البادية وهو يدل دلالة قاطعة على وجود معادن أخرى فيما لو تم فحص تلك الاراضي بالآلات الحديثة التي تتيح للفاحص ان يعرف بكل دقة كل ما في باطن الارض من كنوز معدنية •

ان بلادنا مليئة بهذه الكنوز من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها فهذا هو النفط وهذا هو الكبريت فلماذا تعدم الصحراء من مثل هذه الخامات أو من غيرها وهذه الطبيعة تدلنا بنفسها على وجود هذه الثروات المخبوءة بين الرمال فتظهر لنا هذه الالوان التي لو كانت في بلاد الغرب لقامت حولها المصانع الضخمة ولباتت بين عشية وضحاها تزود اماكن كثيرة بمختلف الاصباغ • بالاضافة الى كفايـــة السوق الداخلية التي تستورد معظم ما تحتاجه البلاد من الالوان والاصباغ من الخارج بينما نستطيع أن نوجه العناية الى ذلك وتجهز البعثات والمخيمات والاختصاصيين ليكتشفوا الامر على الاقل فعند ذلك لن تسكت الشركات الكبيرة نفسها وستعرض العروض المغرية لاستغلال هذه الثروة الجديدة •

ان في متصرفية لواء الدليم كثيرا من التقارير المعنونة الى وزارة الاقتصاد وكلها توصي بضرورة ايفاد الخبراء الى مناطق هذه الاتربة لفحصها ومعرفة مدى امكانية الاستفادة منها •

حسنا •• لقد امتنع السكان والبدو عن الاستفادة من هذه الثروة المخبوءة فهل كان ذلك لتبقى في مكانها من الارض ؟ أم لتقوم عليها صناعة جديدة ورقي جديد وتنهض على دعائمها ثروة أخرى من ثروات البلاد وتعمل فيها أيد عراقية متعطشة الى العمل وتتحضر بواسطتهـا فئة تتعطش الى الحضارة والاستقرار ونساهم بها في تقدم هذا العالم •

أثر صناعة النفط على عملية الاستيطان

عندما انبثق النفط في كركوك ، كان على شركة النفط أن تجد الوسائل التي تستطيع بها أن توصله الى موانىء التصدير • والمفروض أن أقرب ميناء للتصدير بالنسبة للعراق هو ميناؤه الشهير ، البصرة • ولكن المسافة بين مناطق الانتاج والبصرة شاسعة جدا بالاضافة الى ضرورة التعرج التي كانت تتحتم على خط الانابيب فيما اذا أريد امراره من هذا الطريق وقورن بين هذا الطريق وبين طريق الصحراء الموصل الى مصبات فلسطين ولبنان فكانت النقاط التالية مدعاة لتفضيل الاخير :

١ ــ قرب الطريق الثاني بالنسبة لطريق البصرة وخلوه من العراقيل والموانع •

٢ ــ اختصار الطريق بالنسبة للباخرة فبدلا من أن تدور حول شبه جزيرة العرب قاطعة البحر الاحمر ثم قنال السويس يضمن الطريق الثاني انصباب النفط في موانىء البحر الابيض المتوسط نفسها •

وكانت الصحراء قبل ذلك امتدادا مخيفا واتساعا هائلا وفراغا يكاد يكون في الواقع لا متناهيا من الرمال واللهب والظمأ والوحدة ••

ولكن العمل كان قد بدأ بهمة لا تعرف الكلل وأيد صحراوية خبرت المفاوز والقفار وعرفت كل حجر فيها وكل ركن وكل كثيب من الرمال •

وعرف البدو لاول مرة في حياتهم نوعا من الحياة لم يألفوه من

قبل بل ما شاهدوه اطلاقا .. فقد انهمر سيل من آثار المدنية على الصحراء يملأها سيارات وأدوات ومعدات ومبانى ومحطات وأنابيب وكهرباء .. والتفت البدو بين عشية وضحاها فاذا بهم يرون فى صحراءهم هذه التى ما ظنوا سابقا أن فى استطاعة الانسان قهرها وعملاقهم الذى أخضعته الآلة ورمالهم الكاوية التى انبثق فيها الماء وذلك الجدب الذى حل محله الايناع والخصب وازدهرت فى أرجاءه الحدائق وأورقت فى انحاءه البراعم الخضر اذا بهم يرون فى صحراءهم هذه اليد الجبارة .. يد الانسان تعمل بلا هوادة ..

لا ينكر أمر العادة وسحرها فى النفس الانسانية .. ولا ينكر تقديس الانسان للاشياء التى يجدها أقوى منه وقد قيل قديما أن الانسان أدرك قبل ظهور الانبياء أن هذه الطبيعة القوية الجبارة لابد وأن تكون خليقة بالعبادة فعبدها ومثل لها بالاصنام فكيف بالبدوى فى صحراءه الجبارة الواسعة ..؟ انه مؤمن بالله .. أجل ولكنه يحمل للصحراء شيئا من هذه القدسية ويضعها فى مكان من قلبه حصين ..

لا غرو اذا لو نظر الى صحراءه نظرة الشك فى قوتها ومنعتها ولا عجب لو قل تعلقه بها . لقد بدأ يقارن .. لابد أنه بدأ يقارن بين عيشته والحياة الجديدة التى بدأ يراها فى ارجاء صحراءه .. بين خيامه الممزقة المهلهلة وبين النوادى المضاءة بالكهرباء المزودة بأحسن الاثاث يجلس اليها الانسان رافها مرتاحا ويقضى أوقات فراغه فيها سعيدا مغتبطا .. بين طعامه البسيط الخشن وبين هذه الاصناف من مختلف انواع الاطعمة التى باتت تحملها السيارات الضخمة الى مراكز العمل .. بين ملابسه الجافية القذرة وبين هذه البدلات الانيقة الملونة التى يهفهفها النسيم

فتماوج على الابدان النظيفة ..

لقد بدأ يقارن حقا وقد خرج من هذه المقارنة بأنه لا يحيا الحياة التى يجب أن يحياها الانسان ولا يحصل على ما هو ضرورى فى الواقع ..

وما لنا لا نلجأ الى التاريخ نسأله شيئا من هذا ؟ ألم يفد عرب الجزيرة الى هذه البلاد من قبل وكانوا على نفس هذه الحال والطباع رعاة فى الصحراء ومحاربين يغزو بعضهم بعضا قبل أن يوحدهم خاتم الانبياء ويوفدهم لينشروا لواء الدين فى مختلف انحاء الارض فجاءوا الى مصر والعراق والشام واحتكوا بالمدنيات المختلفة وتأثروا بها وسكنوا فى البيوت الثابتة ثم فى القصور وانتقلوا تمام الانتقال من فترة كانت كلها بداوة صرفة الى فترة أصبحت حافلة بالاستقرار بل الابداع والفن والانتاج ... كل ذلك حدث فى مدة وجيزة جدا ..

نعود الان الى هؤلاء البدو الذين شاهدوا ما شاهدوا من التغييرات التى بدأت تجرى على رمال صحراءهم وعرفوا ما عرفوا من موارد الرزق الجديدة التى تتيح للعامل أجرا جيدا وعيشة رافهة فأقبـلوا يعملون فى هذه المحطات عمالا وحراسا وتعلم منهم من تعـلم بعض الخبرات فصار فنيا وأرسلت وزارة المعارف المدرسين الى تلك المحطات فدخل أبناؤهم فى المدارس وبدأوا يغترفون من ينابيع العلم ويستقون من مناهل الثقافة .

ان أنابيب شركات النفط تمتد الى ما لا يقل عن خمسمائة ميل منبثقة من كركوك على النحو التالى :

١ ـ من كركوك قاطعة الطريق شمال تكريت على دجـلة مارة بحديثة على الفرات وتتألف هذه الخطوط من ثلاث محطات هى كى ١

وكي ٢ وكي ٣ •

٢ ـ ثم تنقسم الانابيب في حديثة الى قسمين حيث يبدأ خطان من الانابيب الرحلة عبر الصحراء •

أ ـ فالاول يتجه نحو طرابلس وبانيـــاس على البحر الابيض المتوسط مارا في طريقه بالمحطات تي ١ وتي ٢ وتي ٣ وتي ٤ •

ب ـ والثاني يتجه نحو حيفا مارا بالمحطات أيج ١ وأيج ٢ وأيج ٣ وأيج ٤ وأيج ٥ ومدينة المفرق في المملكة الاردنية الهاشمية •

وبالنظر لقرب محطة تي ١ من الفرات فقد مدت لها الشركة خطا من الانابيب يحمل لها الماء من هذا النهر فكان وجود هذا الماء في قلب هذه الصحراء مبعثا للحياة والخصب ودليلا على قابلية بعض تلك الاراضي على الزراعة وذلك واضح فيما يشاهده زائر تلك المحطة من الرياض والحدائق الجميلة الوارفة الظلال ••

وينطبق القول على محطات تي ٢ و٣ و٤ الواقعة في داخل الحدود السورية مارة بصحرائها ناشرة الخضرة والخصب هنـــا وهنالك في مختلف بقاعها •

أما خط حيفا فهو بالرغم من توقفه عن الضخ الان نظرا لوجود اليهود في فلسطين فانه مع ذلك ما زال يحفل بموظفيه وعماله وما زالت الحياة تدب فيه لحفظ وادامة المحطات والانابيب ويشاهد المار في طريقه الى سوريا هذه المحطات قائمة في قلب الصحراء شاهدة على قـــدرة الانسان • فبينما يضجر الرائي من خط الشارع الاسود الكئيب الذي تحيط به كثبان الرمل القاحلة تلوح له بين الحين والحين هذه المحطات التي تؤلف قرى صغيرة الا أنها حافلة بالماء العذب والابنية المريحـة

والاشجار الوارفة الظل والمدارس والمستشفيات والنـوادى • وحتى ركاب السيارات السريعة المريحة يلجأون اليها فيستقون الماء ويستريحون فى أفياءها فكيف بالبدو الرحل فى هذا الشواظ الملتهب من الرمال والصخور •• ؟

وقد حفرت الشركة بئرا قرب محطة أيج ٣ التى هى آخر محطة من هذا الخط فى داخل الحدود العراقية فأمنت حاجتها من المياه التى كانت كافية حتى لرى حدائقها بالاضافة الى الاستهلاك الداخلى الذى يعادل قرية كبيرة كاملة •

لقد عمل البدو فى مختلف هذه المحطات واستقروا فى أفياءها وضربوا لاخوانهم الباقين مثلا فى الاستقرار والحياة الرافهة الهانئـة بالاضافة الى الانتعاش الاقتصادى الذى عم تلك المناطق وذلك لان البدو وجدوا فى تلك المحطات أسواقا لترويج منتجاتهم فصاروا يحملون اليها ما يجنونه من ماشيتهم ودواجنهم ويبيعونه فيها بالاسعار التى يشتهونها فكانوا يحتكون بصورة مباشرة بمعالم الحضارة وصاروا يحملون الى الاخرين انطباعاتهم التى لابد وأن تكون جميلة عن هذه المنشآت التى تتحدى الصحراء • وصاروا أيضا يشترون من أسواق هذه المحطات ما يحتاجون اليه من أشياء كانت فى البداية بسيطة ثم تعقدت شيئا فشيئا مما قرب الشقة بين وسائلهم وأدواتهم البدائية الخشنة وبين متطلبات الحضارة الجديدة •

ولقد أصبح للمحطات طرق خاصة بها استهدفت من اقامتها تقليص المسافات بين بعضها البعض وعدلتها بالمكائن ورشتها دائما بالنفط الاسود حتى صارت أشبه بالطرق المبلطة وبدأ يستفيد منها سكان الصحراء أيضا

مما سهل اتصالهم بتلك المحطات •

انها بداية على الاقل وتجربة ناجحة أعلنت للملأ أن أى مشروع يهدف الى اعمار الصحراء سيكون ناجحا مائة بالمائة • وسيؤدى الى اغراء البدو الرحل على الاستقرار نظرا لما لمسوه من امكانية تحقيق هذا الحلم فى هذه المنشئات التى ما تزال قائمة هنالك فى قلب الصحراء ••

التوطين فى البلدان العربية الاخرى

البدو موجودون فى جميع أنحاء البلاد العربية ، ذلك لان الصحراء تمتد الى جميع تلك الانحاء ، كما أن المصدر هو دائما واحد وهو الجزيرة العربية التى طالما امتدت منها موجات القبائل المهاجرة بحثا عن الكلأ والخصب والاستقرار فاستقرت فى جميع أرجاء العالم العربى أو ظل بعضها يطوف فى الربوع الجديدة حتى صار من الرعايا عند تشكيل الحكومات العربية •

وقد قامت محاولات فى معظم الدول العربية لاسكان هؤلاء البدو وتحضيرهم مما يمكن الاستفادة منه كخبرة سابقة فى هذا الصدد يمكن أن تقدمها الينا الدول الشقيقة أو ما قدمته فى المؤتمرات التى عقدت لبحث الاحوال الاجتماعية فى العالم العربى ومن ذلك حلقة الدورة الرابعة للدراسات الاجتماعية •

وقد جاءت فى بعض تلك التقارير نتف عن هذه العمليات فمن ذلك أنه « لا يوجد فى سوريا مشروع خاص بالتوطين وانما تمكنت مديرية العشائر من توطين ٣٠ ٪ من عشائر محافظة الجزيرة كما أن مصر لا توجد بها مشكلة بدو وانما تقوم الحكومة بمعاونة سكان

الصحارى فى الاعوام المجدبة ـ ويلاحظ هنا أن المقرر استعمل كلمة سكان ـ حتى لا يتركوا أماكن اقامتهم كما تعاونهـم على الاستقرار باستنباط وسائل الرى المختلفة وتنظيمها وتحسين الانتـاج الزراعى بالواحات ولا يوجد نظام خاص بتوزيع الملكية الزراعية على البدو الا فى العراق أما فى باقى البلاد فتسرى القوانين العادية للتمليك وقد عالج المشروع مشكلة تركيز ملكية الاراضى فى أيدى رؤساء العشائر بتوزيعها على الأفراد مباشرة وتقوم جميع الحكومات بدراسة أحوال البدو وتقوم بمشروعات لتنظيم وسائل الرى بالصحارى ما عدا لبنان اذ لا توجد بها هذه المشكلة • وتوجد بجميع البلاد العربية ما عدا لبنان أراضى صالحة لتوطين البدو ولا ينقصها سوى تنظيم وسائل الرى ولا توجد أية صعوبة فى توطينهم بها • وتقوم الحكومات بتوفير الآلات الزراعية للبدو فى أماكنهم الجديدة وهم يقبلون على استخدامها وقد نجح البدو فى تعلم طرق الزراعة العادية والتقليدية ممن جاورهم من الفلاحين المستقرين •

وتعمل الحكومات على ربط أماكن توطين البدو بالمدن بشبكة من الطرق كما توفر مصر بعض الخطوط الحديدية الحكومية بين بعض الواحات والمدن القريبة منها •

ولا توجد احصاءات عن عدد العمال البدو فى صناعة البترول ولم تحدث أية مشكلات اجتماعية لاشتغال البدو بهذه الصناعة »[١] •

على أننا لا نستطيع فى الواقع الاستفادة فائدة تامة من مثل هذه التقارير المقتضبة التى قد تغلب عليها أحيانا روح الدعاية التى تقوم بها الحكومات لتبرير سياساتها الا أن الامر يتضح أكثر فيما لو تم درس

(١) من تقرير الاستاذ كمال محمود الحسنى ، من موظفى جامعة الدول العربية فى حلقة الدراسات الاجتماعية الرابعة المنعقدة فى بغداد.

هذه الامور من قبل اختصاصيين يقومون بالسفر الى تلك البقاع لقياس مدى التقدم الذى أصاب عمليات اسكان البدو لتحقيقه هنا فيما اذا كان ناجحا أو نبذه واتخاذ وسائل اخرى فيما اذا كان عقيما أو لا يتلائم وطبيعة بلادنا وان كانت الصحراء فى جميع الانحاء واحدة والبدو فى مختلف البلدان من منبع واحد وباخلاق وعادات تكاد تكون واحدة تقريبا .

ان هذا التشابه يدعو فى الحقيقة الى توحيد الجهود المبذولة فى هذا الصدد ولكن ذلك فى الواقع متعذر فى الوقت الحاضر لان كل حكومة تقوم ببرامج خاصة بها يقع مشروع اسكان البدو فى مرحلة لا يقع فى المرحلة المشابهة لها من مشاريع الحكومة الاخرى وعلى هذا فتقتصر أهمية هذا التعاون على عقد المؤتمرات وبحث الامكانيات ورسم الخطط مما له فائدة كبرى لتحقيق هذا الحلم اذ يتم بواسطته تبادل الآراء ومعرفة ما أمكن تحقيقه والاحاطة بالصعوبات التى قامت فى وجه حكومة ما لتلافى مواجهتها فى مشاريع الحكومة الاخرى .

فضلا عن ذلك النشاط والاهتمام الذى سيملأ الحقل الاجتماعى فتبقى مشكلة الاسكان ماثلة فى الاذهان مما يحفز ذوى القابليات على بذل جهودهم فى هذا المجال .

العشائر الرحالة وسجلات النفوس

سجلات النفوس لم تعترف بعد بوجود البدو ! ولهذا فيغلب على الظن اذا أن البدو لا يعترفون بسجلات النفوس التى تمثل جانبا مهما

من نشاطات الدولة لخدمة الفرد وتثبيته فى سجلات المواطنين والمطالبة به والاهتمام بأموره •

الا أنها مع ذلك تعترف بهم معنويا وتعتبرهم من الرعايا وترسل لهم من موظفيها وشرطتها من يقومون بحل مشاكلهم ورعاية شؤونهم ـ وان كانت رعاية غالبا ما تؤدى الى عكس الهدف المنشود ـ •

ويغلب على الظن العام اليوم أن تسجيل العشائر فى سجلات النفوس حلم مستحيل التحقيق وأمل من الآمال الخيالية وأن أى مجهود يصرف فى هذا الباب عبث ليس من ورائه طائل ومجهود ضائع مبعثر كما يتبعثر البدو انفسهم فى هذه الصحراء •

ان ذلك لخطأ عظيم ! والحقيقة هى انه يمكن القيام بمثل هذا المشروع فيما لو قامت به أيد قديرة أصحابها يفهمون نفسيات البدو تمام الفهم • ولن يخلو مثل هذا العمل من الصعوبات بل هو حافل بها ولكن ذلك سيكون فى الامكان تذليله فيما لو كانت البداية قائمة على خطة سابقة • خطة مدروسة بعناية وممهدات تسهل الطريق أمام الذين سوف يقومون بالتنفيذ • فمن ذلك مثلا أن يستثنى البدو لمدة من الزمن من خدمة الجندية وأن توضح أغراض التسجيل بواسطة مشائخهم وبواسطة الرواد المحليين الاجتماعيين الذين يجب أن يتم اختيارهم من محيط عشائرى يتقارب على الاقل ان لم يتشابه مع المجتمع البدوى • ويمكن أن توضح لهم أغراض التسجيل أيضا وتحصر فى النقاط التالية :

١ ـ يمكن أن يقال لهم أن عملية التسجيل ستسهل أمر الاهتمام باكتيالهم بشكل يتناسب وعددهم فى كل منطقة يحتمل أن يتم تجوالهم

فيها كما ويمكن أن تعطى لشيخ العشيرة صلاحيات بصدد التسجيل ، من ذلك احتفاظه بسجل خاص يفى بهذا الغرض تتم مطابقته مع السجل الرسمى دائما ولا بأس فى اعتباره كالموظف الحكومى وتقدير المكافآت المناسبة له على كل عمل يقوم به لخدمة أغراض الحكومة • والبدو يهتمون كل الاهتمام بمشكلة اكتيالهم لانه عليها ترتكز معيشتهم فى غالب الاحيان •

٢ ـ كما ويمكن أن يقال لهم أن ذلك هو لاغراض المستوصفات السيارة ولمعرفة مدى ما تحتاجه كل قبيلة منها • مع ارسال هـذه المستوصفات السيارة فعلا لتؤدى غرضين أولهما مباشر والاخر غير مباشر فهى ستخدم امورهم الصحية وهى ستؤكد لهم ذلك الادعاء •

٣ ـ ويمكن استغلال ذلك أيضا لمعرفة العدد الكافى من المعلمين لكل منطقة كخطوة أولى لارسال المدارس السيارة الى مناطقهم •

٤ ـ لغرض فتح آبار ارتوازية جديدة تتناسب مع وفرة عددهم فى كل منطقة فان ذلك حلم من أجمل أحلامهم وسيحاولون على الاكثر أن يضيفوا الى ما يستطيعون تقديمه من الاسماء لا أن ينقصوا منه وذلك رغبة فى اقناع الجهات المسؤولة بأن منطقة تجوالهم أحوج الى الماء من المناطق الاخرى •

٥ ـ ويمكن استخدام ذلك لغرض تعيين من يريد فى الشرطة الهجانة فان هنالك كثيرين من البدو ممن تستخدمهم الشرطة فى الوقت الحاضر وتزودهم بكل ما يحتاجون اليه مما يلائم طبيعة حياتهم ومعظمهم يملكون الجمال التى يستعملونها لاغراض الحكومة عن طيب خاطر •

٦ ـ بالاضافة الى جانب آخر ممكن الاستفادة منه فى استمالتهم

الى مشروع التسجيل ذلك هو وعدهم بمنحهم المساعدات المالية التى يحتاجون اليها خاصة بعد بيان عددهم وحالتهم الاجتماعية ودرجة الفقر أو الغنى •

ويحتاج ذلك بادىء ذى بدء الى نية خالصة مصممة وموظفين أكفاء عفيفى النفوس ذوى مواهب خاصة وخبرات تؤهلهم لذلك بالاضافة الى الرغبة التى يجب أن تتوفر فيهم باعتبار أن الانصراف للعمل فى الصحراء يعتبر تضحية من جانب الموظف باستقراره وراحته على أن ذلك أيضا يمكن أن يكافأ بالمخصصات •

ويكفى أن تبدأ العملية وحسب مهما اعتورها من الصعوبات ومهما بدت فاشلة أول الامر فان الزمن كفيل بان تؤتى ثمار هذا المشروع أكلها يوما ما • كما أن عملية تسجيل البدو لن تكون صعبة بهذه الدرجة التى قد يتخيلها من يفكر فى تنفيذها عمليا لان الحياة البدوية ليست معقدة التعقيد الذى لسكان المدن وهم ، على حالهم الان ، التى يتميز بها انحلال قبائلهم الى بيوت أو عشائر صغيرة لاسباب بيناها فى مكان آخر من الكتاب ، ممكن جدا أن تتم عملية تسجيلهم بمجرد النظر الى بيوتهم وتقدير عدد السكان القاطنين فيها (ان جاز اطلاق كلمة سكان على من يقيمون ، حتى ولو كان ذلك مؤقتا ، بين جدران أربعة ، وان كانت من الشعر) •

فى صميم حياة البدو الاجتماعية

١ ـ الحياة العائلية :

للبدو ميل عظيم الى كثرة الاولاد فهم الذين يرثونهم ويقومون

بأسمائهم من بعدهم وهم الذين يعضدونهم فى الحيـــاة الخشنة التي يحيونها في البادية • وهم على هذا يضعون المتزوج في مقام لا يضعون الاعزب فيه فاذا ما ولد له ولد أقيمت له الاحتفالات وأقبلت النسوة على أمه يقمن عندها أياما ونحرت الذبائح ، الا أن المرأة البدوية لم تختلف في شيء عن زوجها في الصبر والخشونة التى فرضتها عليهما الصحراء فقد تلد في الطريق وكثيرا ما تقوم بأعباء واجباتها في وقت هي أحوج فيه للراحة • ويؤمنون بالحسد فيعلقون الخلاخل والنقود لرد الاعين عنه فاذا ما شب الصبى عن الطـــوق وكبر انصرف الى الرعي وركوب الخيل والتمرن على الصيد •

ولباس البدو بسيط خشن يتألف من ثوب ابيض وقد يلبس بعض شيوخهم رداء آخر من أقمشة أغلى فوق الثوب • الا أنهم يشتركون جميعا في العباءة ويحملون كل ما تيسر لديهم من الاسلحة كالخناجر والسيوف والبنادق • أما النساء فيلبسن ثوبا أزرق من الخام طويلا ومنطقة يتمنطقن بها ويقاس طول الثوب وعرضه بمقدار غنى المرأة وقد يلبسن منديلا فوق رؤوسهن • ويتحلين بالخزامات والاساور والخواتم والقلائد وعقود النقود • والبيت خيمة من الشعر سهلة الانطواء الا أنها تختلف باختلاف حالة الرجل فالفقراء والبؤساء تكون خيمهم ذات عمود واحد وتقع دائما على جانب مخيم القبيلة حيث لا يزورهم ضيف وانما يوهبون دائما ما يقتاتون به وما يلبسون • وتزيد الاعمدة مع ازدياد الغنى • وقد يبلغ عدد أعمدة خيمة الشيخ الخمسة • وتحيك النساء هذه الخيم من شعر الماعز • وينقسم البيت الى أقسام منها ما يخصص لضيوفهم ومنها لشؤونهم الخاصة ونسائهم ويفصلون بعضها

عن البعض الآخر بقطع من الخيم أو بتكديس طعامهم وفراشهم وحوائجهم الاخرى فى الوسط • فاذا كان للرجل نساء كثيرات أفرز لكل منهن خباء وتنصب الخيام عادة على شكل دائرة أو مستطيل توضع فى داخله الحيوانات خشية سرقتها أو فقدانها • كما تكون خيمة الشيخ فى المقدمة ليهتدى اليها الضيوف • ولا يزيد أثاثهم عن الفراش واللحاف والوسادة والآنية النحاسية والخشبية وقد يقتنى الرجل بعض الابسطة اذا كان غنيا ليستقبل عليها ضيوفه • فاذا أقيمت وليمة ذبحت الغنم أو الابل ووضع لحمها على الارز أو البرغل وقدم للشيوخ أولا فيأكلون ثم ينهضون ليأتى بعدهم من هم أدنى منهم رتبة ومقاما فيأكلون وينهضون وهكذا حتى يأكل كل الرجال كل هذا وأصحاب الدار واقفون احتراما وخدمة للضيوف ثم تنقل الاطعمة الى النساء فيأكلن بحسب رتبهن أيضا •

ثم تعمل القهوة ويتذوقها صاحب البيت ثم يقدمها لضيوفه من الكبير الى الصغير وللقهوة مكانة ممتازة فى حياتهم وللصوت الذى يحدثه سحقها نغم شجى فى أسماعهم •

ان الحياة العاطفية حرة لدى البدو فان الفتى يستطيع مرافقة الفتاة منذ الصغر وهم بذلك كثيرا ما يتزوجون بناء على الحب الذى ينمو منذ الطفولة وكثيرا ما تكون زيجاتهم سعيدة لانهم يرون ويتزوجون وتكاد حياتهم أن تكون مفتوحة من هذه الناحية • ويتسابق الشبان لكسب ود الفتيات بألعابهم ومسابقاتهم • وتقوم الفتاة برقص الدبكة فى محضر القبيلة خاصة فى أيام الاعياد والمناسبات السعيدة كالزواج والميلاد وانتهاء النصف الاول من شهر رمضان • وبالرغم من أن الفتيان

والفتيات يرقصون معا الا أن البدو مع ذلك أهل عفة وطهر لا تخطر بالهم شرة ولا أثم •

فاذا أحب الفتى فتاة ولم يحظ بها فر معهـا الى احدى القبائل المجاورة حيث يحتفى بهما كل الاحتفاء وتقوم القبيلة الثانية بالوساطة وتضاعف المهر فاذا لم تحل القضية على هذا الاساس كان ذلك ايذانا بقتال مرير •

ويحمل العريس عادة ، بعد رضى والد العروس ، مهرا الى بيتها ويكون عادة من الماشية ثم يؤتى بالخطيب فيعقد لهما ويذهب العريس الى بيته مع عروسه ثم يتحرك موكب حاملا العروس الى بيت أبيها ثانية حيث يهبها هدية وأفرشة وعند عودتها الى بيت العريس تذبح الذبائح ويغنى المدعوون • فاذا كان العريس غير قادر على المهر سأل القبائل فتمده بكل ما يحتاج اليه ليتزوج •

٢ ـ الحرب والغزو :

للمحارب عند البدو منزلة عظمى يفخر بها كل الفخر ويفخر بها أبناؤه وحتى أحفاده • أما اذا كان على عكس ذلك فليس له الا المهانة والاحتقار والهزوء والسخرية •

والرجل منهم قوى بكثرة المواقع والغزوات التى اشترك بهـا وأوسمة البدوى جراحه فكلما زادت زاد معها قدره ومكانته فى القبيلة • فاذا هرب أحد من القتال رفضته امرأته ولم تقبله فى البيت وعيرتـه بالجبن •

وكثيرا ما يكون السبب فى الغزو ناتجا من حب الغزو نفسه المتأصل فى النفوس وقد يتسبب فيه حدوث الخطف أو المطالبة بالثأر

وقد يتخذون من الجمال دروعا يقيمونها حولهم اذا شعروا بان الدائرة ستدور عليهم • واما النهب فغالبا ما يتم بغياب معظم رجال القبيلة المنهوبة فينقسمون الى فرق تقوم فرقة بالنهب وأخرى بالمراقبة وهكذا • ويأخذون النساء معهم أحيانا لمداواة الجرحى وتعيير الهاربين وشد هممهم ولهم في الغزو عادات منها انه اذا سقط الفارس عن جواده فانه لا يقتل واما قتيل الحرب فأولاده مكرمون وعياله محترمون • وتستطيع القبيلة المغلوبة التي تبغي السلم أن تلجأ الى القبائل الاخرى التي تقوم بدور الوساطة فان فشلت فانها غالبا ما تشد أزر القبيلة المظلومة •

٣ ـ الضيافة :

للعرب شهرة واسعة كمضيفين كرام على الاخص البدو • وكرم النفس ورحابة الصدر ودماثة الخلق والنخوة واكرام الضيف صفات معروفة عنهم مشهود لهم بها •

وليس لفقر الرجل أو غناه سبب يمنعه من قبول الضيف بل ان ذلك واجب مفروض عليه اداؤه • واذا أقبل أحدهم على جماعة يأكلون شاركهم في الطعام دون دعوة ويسقى الضيف القهوة ثلاث مرات ثم يسأل عن حاجته وعشيرته وسبب قدومه • ولا يتأخر البدوي عن خدمة ضيفه والقيام له حتى اذا كان عدوه وهو متأهب لحمايته وافتدائه بنفسه والا فانه يعد لئيما وتتحدث القبائل ببخله ولؤمه • وهم يميلون ميلا عظيما الى الولائم والافراح والاحتفالات وهم لذلك يختلقون المناسبات اختلاقا لذلك ولا يدخر البدوي شيئا في سبيل راحة ضيفه فاذا كان يملك ناقة واحدة ذبحها غير مبال بما سوف يحدث ما دام يرضى بذلك

ضيفه ويقوم بواجب الضيافة الذى يعتبره واجبا مقدسا • انه بذلك يرفع رأس قبيلته ويبقى اسمه على كل لسان •

٤ ـ الموت :

لا يظهر البدوى حزنه على قتيل الحرب وانما يعد ذلك شرفا ومجدا وفخارا على أن النساء القريبات من القتيل يقصصن شعورهن علامة على حزنهن على فراقه •

واذا مات أحدهم موتا طبيعيا ندبته النساء ورقصن حوله بالسيوف ثم يحمله الرجال الى المقبرة ويوارونه التراب • فاذا كان الميت شيخا رصفت الحجارة حول قبره ونقشت حوله العلامات التى تدل على خلقه وصفاته فتنقش السيوف والخناجر علامة على شجاعة الراحل ، والاكواب والآنية والفناجين دلالة على كرمه • واما الجبناء فقد ترمى النساء نائحات بعض الحجارة على قبورهم • وتنتشر بينهم الخرافات • فاذا مات من اشتهر فضله وحكمته زاره الناس حتى يضحى فى مدة قليلة وليا تزوره العشائر الاخرى •

٥ ـ الشرائع والاحكام :

للشرع أو العارف ، وهو الرجل الذى يقضى بين البدو ، منزلة كبيرة ومقام عظيم لديهم أحكامه مطاعة من الجميع فاذا عصاه أحد طرد وعيره الجميع • ويذهب المدعى عليه عادة الى بيت لحمايته والدفاع عن حقوقه على أنه متى ما حكم عليه فان على حاميه تأديته الى غريمه • ويسمع الشرع الشهود ولا فرق بينهم رجالا ونساء وأولادا وغالبا ما يستند الحكم على الاحكام السابقة والتقاليد المألوفة وليس هنالك

استئناف لحكم العارفي • ومن الجرائم المنكرة عندهم اغتصاب الفتاة أو التعدي على العرض أو الازدراء بمن هم من المكرمين ولا يحكم على القاتل بالقتل لانه غالبا ما يذهب القاتل محتميا بقبيلة أخرى فتحميه وعند ذلك تتعقد الامور وقد تؤدي الى حروب طويلة • واذا ثبتت السرقة على أحد وجب عليه تأديتها ضعفين ولكن سرقة الاعداء مباحة لهم وكذلك قتلهم ولكن الرجل اذا سرق صاحبه وجب عليه تأدية المسروق أربعة أضعاف السرقة واذا عجز مديون عن الوفاء بدينه أخذ غريمه المال من أقاربه ولا يسأله في ذلك أحد • والبدو ذوو طاعة وولاء لشيوخهم الذين لهم أن يفرضوا عليهم كل ما يشاؤون من الاحكام • وفيما يلي بعض الاحكام المطبقة لدى البدو • وتقوم كلها على مبدأ التعويض •

يعوض دم القتيل بالفصل بخمسين بعيرا وينفى القاتل سنتين وتضاعف الدية اذا أخفى القاتل الجثة • فاذا حدث وثبت أن القتل كان عن غير قصد فلا تعدو الدية بضعة أباعر تستبدل بالنساء • وأما الجريح والمشوه فيحكم له بنسبة التشويه اللاحق به • ولاهل المرأة المعتدى عليها في وضح النهار وبالاكراه أن يقتلوا المعتدي فان لم يجدوه فأحد أقاربه الى الجد الخامس • ولهم أيضا نهب أموالهم •

واما اذا وقع ذلك برضاء المرأة فلا حق لاهلها بالمطالبة بتلك الحقوق ما لم تقتل المرأة • وأحكامهم على كل حال تمثل مبادىء الحكم الفطري الذي تكون فيه السلطة للقوي • • فالشيخ والامير والمولى انما هم حكام القبائل والعشائر ، وقد مر بنا أن البدو هم دائما بين عدو وصديق ونزيد الآن ان التضاغن والتصافي قد يبلغان عندهم حد

التحالف الفعلي وقد يتطرفان الى ما وراء ذلك بان تتحالف قبائل كثيرة تحت لواء واحد فمن ثم يصبح صاحب ذلك اللواء متسلطا عليهم جميعا ومثال ذلك عرب المنتفك • وقد ينفرد بين جماعة الشيوخ رجل واحد فيتسلط اما بقوته واما بحزمه وأما بدسائسه ومثال ذلك عرب شمر ولا يفضل عندهم الامير على الشيخ ولا الشيخ على الامير الا بنسبة مقامه فرؤساء[1] نجد أمراء ودونهم أمراء وشيوخ ورؤساء عنزة[2] والمنتفق[3] وشمر[4] شيوخ ودونهم شيوخ وأمراء • أما الرؤساء

---

(١) هم آل سعود ومقرهم الرياض قاعدة البلاد وسلطتهم نافذة في بدو نجد وحضرها ، وكانت الكلمة لهم أيضا في عمان ومسقط وقسم كبير من بادية العرب • أما الآن فلهم الولاية فقط على نفس البلاد ، بل على قسم منها فما خرج عن بلادهم استقل عنهم وانسلخ منهم قسم من اطراف البلاد منحازا الى شمر الجبل واستضمت الدولة العلية قسما كبيرا أيام ولاية مدحت باشا على بغداد وجعلته متصرفية كبيرة قاعدتها بلدة الاحساء القديمة وهي تشمل كل بلاد الاحساء وقطر والقطيف وما جاورهما من سواحل خليج فارس •

(٢) هم اكثر قبائل البدو عدا وأقلها ائتلافا • اكثر اقامتهم في بادية الشام ومنهم فرق كثيرة في كل بادية العرب • ينقسمون الى بطون وافخاذ كثيرة لكل فئة منهم شيخ يحكمها فيرجع بعضهم الى حكم شيخهم الاكبر محمد الدوخي ويخرج بعضهم عن طاعته وبعض البطون تجاهر بعدائه • وللدولة العلية نظر خاص على الشيخ الموما اليه فهو داخل في طاعتها وله منها معاش سنوي لقاء خدمة يقوم بها •

(٣) يطلق اسم المنتفق على القبائل المجاورة لنهر الفرات مما دون الحلة الى ما يلي مصب الفرات في شط العرب وهو تصحيف قولهم المنتفق وقد يقال المنتفك أو المنتفج جريا على لفظهم بجعل القاف جيما فارسية

وقد اتفقت هذه القبائل لوحدة المنزل لا لوحدة المنشأ كعـرب عنزة فلكل قبيلة رئيس منها وكن جميعا يعترفن برئاسة آل سعدون خصوصا وان الدولة العلية كانت تنصب دائما رجلا منهم لتولي الرئاسة العامة وقد تعاقب على هذا المنصب في الاعوام الاخيرة منصور باشا =

المعروفون بالموالى فليس منهم احد فى بادية العرب وهو لقب اتخذه بعض الرؤساء فى الغرب ورئيس عرب الحويزة[1] فى العراق •

وللشيوخ الامر والحكم المطلق والنفوذ المفرد فسلطتهم اذن نافذة ، يقضون بما يشاؤون معتمدين على الشرع المعروف والعرف المشروع وما من شافع لديهم الا ذمتهم وما حملت ••

والبدو من حيث الطمع والقناعة جامعون بين الضدين فاذا غلت ايديهم عن التحامل وضاقت بهم الحيل قنعوا باليسير ورضحوا كل الرضوخ ، وان تبينوا سبيلا الى الاستطالة هبوا اليه • ويطلق هذا الحكم على الرفيع منهم والوضيع وهو نتيجة كل سلطة مطلقة • ولهذا لم يكن الشيوخ فى مأمن من فتك اقاربهم الا اذا استتب لهم كل الامر • والحكم عندهم ورائى للارشد ولكنهم لا يراعون ذلك الا حيث تجلت قوة الراشد

وليس لهم قوانين مكتوبة ومجالس معقودة ومع ذلك يقوم العرف احيانا مقام القانون النافذ فيرجعون بالتقاضى اليه فالقتيل مثلا يقوم اهله

= الذى جعل بعد ذلك عضوا فى شورى الدولة ثم أخوه ناصر باشافلبث مدة متصرفا ثم أقيم واليا للبصرة ونصب مكانه ابنه فالح باشا ابن عمه باشا وهو آخر من حكم المنتفق من السعدون اما الآن فيعهد بأمر الحكم الى متصرف تنفذه الدولة العلية •

(٤) قبائل شمر مجتمعة الكلمة اكثر من عنزة وان تكن دونها عددا وعزة ومقاما عند العرب وهى جميعها منقادة الى شيخين احدهما محمو بن الرشيد وهو الاحقر رتبة والانفذ كلمة ويقيم فى جبل شمر فى البادية والآخر ابن عبدالكريم وينزل بقومه على شواطىء دجلة فيما يلى الموصل • « **البدو للعلامة سليمان البستانى** »

المقتطف ١ شباط ١٨٨٨

(١) عرب الحويزة وما يليها من بلاد فارس من بقايا القبائل التى سارت بقيادة سعد بن ابى وقاص لفتح بلاد الفرس ككنانة وربيعة ومضر وهم لا يزالون على اخلاقهم ولغتهم العربية •

واقاربه للاخذ بثأره وان كان القاتل من حليفه فبينهم الدية توزع على العاقلة (أى على اقارب القاتل) وتدفع لاهل المقتول وان اختلفوا فى أمر أشكل عليهم ولم يشاؤا ان يحكموا السيف رفعوا امرهم الى العوارف والعارفة عندهم بمقام القاضي يحكم بما اكتسبه بالاختبار مما جرى عليه العرب فى كل زمن وهو بمقام الفيصل او الفارق فى العهد القديم وله عندهم منزلة كبرى •

والبدو جميعا منطبعون على حب البذل والسخاء وهو شأن كل القبائل البادية « والمضايف » أو منازل الضيوف مستقلة فى كل قبيلة بل فى كل جماعة سواء قلت أم كثرت • والمضيف الاكبر للشيخ أو الامير يحل فيه القاصد والشارد من ابناء السبيل يقضى ما شاء من الايام واذا اولمت له الولائم بادر اليها كل من حضر بلا دعوة ولا تكلف • وحيث لم يكن شيخ فكل البيوت تكاد تكون مضايف ولهم فى ذلك مصطلحات عامة • فالغريب حيث حلّ بادر أهل البيت الى اكرامه بحيث لو أتى منزلا ولم يكن صاحبه به فمن حضر يقوم مقامه ولا يسوغ لغيره ان يدعوه الى منزله فيحسب اهانة لصاحب البيت • وقد تثور بينهم مشاجرات ومنازعات فى التسابق الى ايواء الضيوف • والنساء ان غاب الرجال يقمن مقامهم وان اعتذرت احداهن عن الواجب لقيت اشد العقاب من زوجها أو وليها والقهوة عندهم لابد منها فى كل مضيف ولا يقدم للضيف منها الا ما حمس ودق بالحضرة ولهم فى دقها تفنن غريب بحيث يجعلون الدق موزونا اوزانا تكاد تكون شعرية

ومن قبيل السخاء بالمال سخاؤهم بنفوسهم ومراعاة الجار ومن استجار بهم فاذا « فزعوا » أو استنجدوا هبوا الى الغارة كما لو كان

العدو مقبلا عليهم وقد لا يراعون فى ذلك تحالفا سابقا و « الفزعة » أو النجدة لابد منها لكل مستجير وقد تكون أيضا لغير المستجير اذا كان حليفا بحيث لو سمعوا « الهوسة » أو غناء التحمس عن بعد وعلموا انه من حلفاء لهم بادروا الى اغاثتهم ومدهم وان لم يدعهم احد • ولا يضنون بشيء من المال والجهد الا بجياد خيلهم فان لها عندهم مقاما لا يتصوره الحضر ، فقد يجود البدوى بكل ماله ولا يجود بفرسه اذا كانت اصيلة مهما بذل له فيها من مال •

ولهم فى الطب والجراحة المام مخصوص بهم يداوون مرضاهم بما عرفوه بالاختبار والارث فاكثر الطب للنساء وأكثر الجراحة للرجال على ان خشونة معيشتهم وكثرة تنقلهم تمنعان عنهم الامراض فانهم لا يتنشقون الا الهواء الصافى ولا يكثرون من خليط المآكل وان أبلاهم المرض تحملوه بالصبر والتجلد • وهم مع ذلك يحسنون المعالجة فى بعض الاحيان باتخاذ أدوية فعالة يستخرجونها من عقاقير الارض فى البر أو يستجلبونها من الديار العامرة وقد شهدت لهم أعمالا جراحية وطبية ذات شأن • فمن ذلك مثلا انه فى بعض الغزوات شقت جلدة بطن واحد منهم فبرزت الامعاء ولم تنثلم بالقوة على ظهره فاستقرت الامعاء فى محلها فاتوا بأبرة من أبر الخياطة وخاطوا بها الجلدة وحفروا حفرة فى الرمل واروه فيها الى قرب العنق ثم حفروا على بعد يسير منه خندقا صغيرا على شكل دائرة حوله وأتوا بالحمض والقتاد اليابس من نبات البر وأضرموا النار فى الخندق الى ان خمد اضطرامها فردوا عليها التراب وتركوه وشأنه زهاء ساعتين فأخرجوه وبادروه بالمرق ولبن النياق وهو مستلق على ظهره وما لبث مدة يسيرة

حتى نال الشفاء التام • ولهم فى معالجة الداحس طريقة غريبة فانهم يأتون ببعير ينيخونه ويفتحون فمه ويجعلون المصاب يدخل فيه ويجعل الاصبع المصابة تحت لسان البعير ويشدون فم البعير لئلا ينطبق ويسحق اليد فتبقى الاصبع أقل من ربع ساعة ثم تخرج والمادة ممتصة منها فتطلى بالدهن وتربط مدة فتذهب العاهة • والكى عندهم شائع الاستعمال فيعالجون به الناس والخيل والابل وسائر الحيوانات على انه انجع الادوية فى داء المفاصل والامراض العصبية وأكثر اعتمادهم فى الطب على الصلبة الذين تقدم ذكرهم •

ولبعض شيوخهم ولع فى قنص الغزلان والارانب وطير الحبارى يخرجون اليها فرسانا بالبازى والشاهين على ايديهم فوق أكف من الجلد لئلا تؤذيهم المخالب وتتبعهم الكلاب السلاقية فاذا ترأت الحبارى للبازى ويراها قبل الناس طلب الانفلات من يد صاحبه فيطلقه ويغير وراءه حتى يدركه فوق الحبارى يمتص من دمها ويأكل من لحمها فنزل عن فرسه ويأخذه ويأخذ الحبارى ويستأنف المسير اما الارانب فتقتنصها الكلاب والطير معا فيطلق عليها الطير ينقرها فى رؤوسها وعيونها حتى يعمى ابصارها وتتأثرها الكلاب فتبطش بها • ولهم طريقة أخرى فى قنص الغزال لا يطيقها غيرهم • فاذا قل الماء من البر فى الصيف حفروا حفرا عميقة عند موارد المياه واستكنوا فيها ببنادقهم دون ان يستروها بشيء من حرارة الشمس لئلا تنفر الظباء فاذا قاربت الشمس الهاجرة واشتد القيظ طلبت الظباء الموارد لتروى ظمأها وأتتها أفواجا فيرمونها وقد يطرحون منها عدة بطلق واحد •

اما اللغة فهى فى انحطاط عظيم عن ذى قبل وان كان الكلام فى

عامة البدو اصح منه فى سائر البلاد التى غلبت فيها اللغة العربية ٠ فاللفظ اضبط والكلام نقى من خليط الالفاظ الاعجمية الا فيما جاور البلاد العامرة وأكثر الحروف ينطق بها على وضعها الأصلى فى أكثر البدو ويشذ بعضهم شذوذا خاصا فى بعض الحروف الا الضاد التى هى سمة العرب فالشذوذ فيها عام ويلفظونها جميعا بلفظ الظاء ٠ اما الثاء والذال والظاء فجميعهم ينطلقــون على مخارجهــا الوضعية ولهــم اختلافات كثيرة بلفظ الجيم والقاف والكاف ٠ فالجيم ينطق بها فى قبائل المنتفك على الفرات بلفظ الياء فيقولون « يبل » أى جبل ٠ وينطق بها فى لام على دجل وبعض قبائل المغرب بلفظ أهالى سورية ٠ وفى سائر البادية كالجيم الفارسية أو بصوت ممتزج من الدال والجيم ٠ والقاف فى كثير من الكلام تلفظ جيما فى المنتفك فيقولون « جليب » أى قليب و « عشج » أى عشق وبلفظ يكاد يكون مزدوجا من التاء والزاء فى قبائل نجد وتميم على شط العرب « تزليب » وكالجومل السريانية أو الكاف الفارسية فى سائر البدو وقد ينطق بها على مخرجها المعروف ٠ وليس أثقل على آذانهم من لفظها همزة كعامة سوريا ومصر ٠ والكاف فى كثير من الالفاظ كالـ (چ)الفارسية وهو حتمى فى ضمير المخاطبة فلفظها كذلك علامة فارقة بين المذكر والمؤنث أما قبائل نجد وتميم فينطقون بها من مخرج التاء والسين معا كالـ Z الايطالية ٠ ويؤخذ من هذا التباين أمور كثيرة لا محل لايرادها ٠

أما الشعر فانحطاطه من جهة اللفظ اكثر من جهة المعنى لان البدو ولعون فى كل زمان ومكان بالاساليب الشعرية ولهم فى صفاء جوهم وخلو بالهم اكبر مساعد ٠ فشعراؤهم كثيرون يقولون القصيد ويتفننون

به كل التفنن من قبيل الالفاظ والاوزان ولكنهم لا يزالون يوردون المعانى التى تواتر سردها من اقدم ايام الجاهلية • يتغزلون ويتشببون ويمدحون ويهجون ويذكرون الآثار والمنازل الدارسة والديار العافية اضمحلت ويكثرون من وصفها حتى يخـال السامع انها حصون دكت ومدائن اضمحلت وماهى الا منازل حلوها اياما وغادروها لا بناء فيها ولا غرس • فلو قرأ القارىء مثلا وصف الرقمتين فى الشعر الجاهلى وما تلاه فى زمان المولدين والمعاصرين من البدو والحضر لتوهم انهما حديقتان تفردتا ببهائهما وانتظامهما وما هما الا بقعتان صغيرتان تجتمع اليهما المياه فى زمن الشتاء واذا جف الماء نبت فيهما العشب فى زمن الربيع وهما أشبه ببيدرين من بيادر البقاع • فالحضرى لا شك يحتقر الوصف ان لم ينظر المشهد على انه لو رآهما بنضارتهما فى البر القفر تأثر تأثر البدوى وأكثر • وهم لا يزالون يكثرون بشعرهم من وصف الخيم والخيل والابل والماء والسراب الى غير ذلك مما شهدته ابصارهم ووافق معيشتهم من الامور الحسية على ان لهم ايضا فى الامثال والحكم والاستعارات الفطرية تصورات بديعة يصعب الاتيان بمثلها على من أثقل دماغه بابخرة البلاد العامرة • وقد ينظمون « القصيد » الارتجالى كما ينظم « القوالون » « المغنى » فى جبل لبنان • ولهم احاجى ومعميات وألغاز يلقونها ويتناقلونها ونذكر منها لغزا فى القهوة :

عشيرتى يا وىّ وى من عشيرة ... عشيرة لولا الزعل مالها مثـال

حماقـة حين التدنى السعيره ... فى حرقها جابت الدمع احمـال

ذمامها يبـدى علينا زفـيره ... تلقى بمجلسها أجاويـد وأنذال

واحـد تدناهـا بليـا خسـيره ... وواحـد على قربها ينفذ المـال

أشار الى أنها اذا أدنيت الى النار اشتدت حنقا وأهمت الدمع ببخار فورانها والباقى واضح • أما هيئتهم الاجتماعية واخلاقهم وعاداتهم فهى اقرب ما امكن الى الحالة الفطرية لا يتكلفون فى شىء عن اطوارهم واحوالهم واعمالهم ولا يتناقلون من الامراض والنوائب وهم اقل مبالاة بالحياة من الحضر فلا يحزنون على الميت الا ريثما يدفن ولكنهم يكمنون الغيظ فى صدورهم ولا يعفون عن الاساءة ويترقبون الفرص للاخذ بالثأر ولو مضت عليه اعوام وسنون • وهم قليلو الاعتناء بانفسهم ولا يضر بهم عدم الاعتناء حتى ان الحوامل لا يتخذن الا القليل من اسباب المداراة وقد يضعن وهن سائرات فى الطريق وليس من يعولهن بشىء فيجرين بانفسهن كل ما تجريه القوابل ويلففن المولود ويسرن بـه والافراح والمآتم كثيرة الضجة ولكنها قصيرة المدة والرجال والنساء يشتركون فيها معا ففى الافراح يقيمون الهوسة ويكثرون الغناء ويطلقون البارود ويرقصون ويطربون وليس عندهم من آلات الطرب الا الربابة وهى أشبه « بالكمنجة » ونوع من المزمار والدفوف • والنساء أيضا يتخذن لهن محفلا خاصا يغنين ويرقصن وينقرن فى الدفوف • ويؤثرون الزيجة فى الاقارب ولا يأتيهم بأقل الضرر خلافا لمذهب اكثر الاطباء وهى عادة قديمة فيهم وان قال قائلهم :

تركت ابنة الاعمام وهى حليلتى

مخافة أن تضوى علىّ سلائلى

أما المآتم فأكثر الضجة فيها للنساء •

وليس عندهم شىء من المعارف وهم مع ذلك يدركون امورا كثيرة بالسليقة يراقبون سير النجوم ويتخذون منها ادلة فى رحلاتهم واذا

ألقى عليهم أمر لم يتعلموه فقهوه حالا • والقراءة والكتابة مجهولتان في البادية الا بين ابناء الشيوخ ونزر قليل غيرهم يستقدمون « ملالى » للتعليم ومن ختم منهم القرآن الشريف أقيمت فى بيت أهله مأدبة واحتفال كاحتفال الزفاف ومرّن من ثم على ركوب الخيل وشن الغارات « والملالى » ايضا هم الكتاب عند الرؤساء والائمة فى الصلواة والعقود ولهم بينهم منزلة كبرى واكثرهم من الحضر • اما الصناعة فيعرفون منها بعض ما هو خليق بلوازمهم كنسج البيوت من الشعر ويعتمدون فى ما سوى ذلك على البلاد التى يسابلونها • والزراعة مستعملة فى القبائل التى سبقت الاشارة الى بعضها ولا يأتونها عن رغبة بل عن حاجة « والحاجة ام الاختراعات » فمنازلهم هى التى تسوقهم اليها فعلى شواطىء الانهر يزرعون الحنطة والشعير والعدس والماش والهرطمان والسمسم وسائر انواع الحبوب وحيث فاضت المياه كالهندية والعمارة وزعوا الارز وحيث زاد الفيضان وكثرت الاهوار اكثروا من تربية الجواميس والاعتناء بها حتى انهم على بعض سواحل الفرات حيث يكثر ويكبر الذباب و « البق » (البعوض المؤذى) يصطنعون « كللا » أى ناموسيات مخصوصة لجواميسهم يسترونها بها ليلا خوفا على جلدها الرقيق • والذين قدم عهدهم بالزراعة كادوا يتحضرون وتحضر منهم كثيرون فيما مضى فتدرجوا من سكنى الخيم الى « الصرايف » المبنية من سعف النخل وغيره ومنها الى بيوت الآجر والحجر ويا حبذا لو كثر عدد المتحضرين فى البلاد المجاورة لهم الكانزة جواهر مدفونة فينقلب شرهم خيرا وينفعون وينتفعون »[1]

---

(١) البدو للعلامة سليمان البستانى ـ المقتطف ١ شباط ١٨٨٨

كلنا يقول أن العراق غني وأهله فقراء ، وكلنا يعلم أن خيرات البلد كثيرة وفي امكان الحكومة أن تفعل المستحيل لتنظيم شؤون البلد على أحسن وجه وباسرع وقت وأن توفر الاراضي الاميرية وطاقة مجلس الاعمار المالية وما يمكن أن تصرفه الحكومة من ميزانيتها ومن ميزانية مجلس الاعمار - في امكان مصادر الصرف هذه أن تذلل الصعاب في حل مشكلة اسكان العشائر الرحالة ولهذا فقد أصبحت هذه المشكلة وغيرها من المشاكل الاخرى التي ما زالت بدون حلول موضعا للنقد ومثارا للجدل والحديث .

فقد قال لي يوما أحد أهالي لواء الدليم بمناسبة الحديث عن وعورة الطريق وعدم تعبيده بين الرمادي وعنه حتى ناحية القائم « ان سبب عدم تعبيد طريق الرمادي - عنه ناشيء من عدم توفر الزفت والصخر في هذا اللواء ! » وفي هذا ما فيه من تهكم مر وانتقاد لاذع يوجه الانظار الى أن الوعي العام في البلاد يكاد يكون شاملا وان عدم الاهتمام الجدي بنواحي الاصلاح يؤول الى نتائج غير حسنة .

ان في البلد امكانيات كثيرة تمكنه من تعبيد الطرق واسكان العشائر بعد بناء المساكن لهم من قبل الوحدات الادارية والمؤسسات التي يعتمد عليها في عملية التوطين ويجب أن يلاحظ أن من الخطأ جعل مدراء شرطة البادية - بصرف النظر عن قابليتهم وثقافتهم - هم المكلفون بهذا المشروع الهام الذي يتطلب ثقافة ممتازة وخبرة واسعة في شؤون العشائر مع قابليات خاصة ، وفي نفس الوقت يجب أن تشرف وزارة الداخلية على أعمال التوطين ووضع الخطط اللازمة للتنفيذ .

اننا نرى أن الوقت قد حان للاهتمام بشؤون هذه العشائر اهتماما جديا اكثر من السابق اذ أنها تؤلف عشر سكان المملكة .

ونعتقد أن الخطط الاولى لهذا الاصلاح هي الغاء التشكيلات الادارية الحالية في البادية والحاق هــذه البوادي برؤساء الوحدات الادارية في المتصرفيات المجاورة لهذه البوادي لتلتقي نظم البداوة ونظم الاستقرار على صعيد واحد في هذه الصحراء المترامية الاطراف فتوضع الخطط في العاصمة نتيجة درس وتمحيص ونتيجة أخذ رأي الخبراء ورؤساء الوحدات الادارية « المجاورين لهذه البوادي » في الوقت الحاضر فتوضع الخطط الاصلاحية اللازمة ثم تنفذ تلك الخطط في الجهات المذكورة .

ولابد لمثل هذا العمل أن يستعان من أجله بهيئة من الخبراء والمهندسين والموظفين الزراعيين ممن لهم اطلاع واسع في شؤون هذه البوادي ، والا فان ترك هذه البوادي على حالتها الحاضرة يسبب عدم ادخال أي نوع من الاصلاحات في تلك الاماكن وبالتالي حرمان سكانها من المنافع والمشاريع المثمرة والخدمات العامة التي تعود عليهم بالنفع الجزيل .

ان الامر يحتم احداث وحدات ادارية في تلك المناطق وجعل وظائف مدراء الشرطة في البادية قاصرة على وظائفهم الاصلية في حفظ الامن والنظام في هذه البوادي واناطة هذا العمل بلجان تؤلف لهذا الغرض باشراف رؤساء الوحدات الادارية برآسة المتصرفين والقائمقامين تتولى دراسة شؤون هذه العشائر من شتى وجوهها وعلى الاخص كيفية تأمين الاراضي الصالحة للزراعة الكافية لافراد العشائر وكيفية توزيع

المياه بعد أن تؤمن كميات كافية منها للري والشرب ووضع منهاج لتعليم افراد العشائر البدوية وتأسيس القرى العصرية وكل ما تراه هذه اللجان مفيدا لهؤلاء البدو ومشجعا لهم على الاستيطان •

لقد اعترفت الحكومة السورية بهذا كله في صميم دستورها فعندما نالت استقلالها التام وحريتها الكاملة وأقرت الجمعية التشريعية بتأريخ ٥ أيلول سنة ١٩٥٠ دستورا جديدا للبلاد أفردت مادة خاصة بالبدو فيه نصت على ما يلي :

« ١ ـ تعمل الحكومة على تحضير البدو •

٢ ـ يوضع قانون خاص يرعى التقاليد البدوية بين البدو الرحل ويحدد العشائر التي تخضع لاحكامه ريثما يتم تحضيرهم •

٣ ـ يوضع برنامج على مراحل لضمان تحقيق تحضير البدو ويقر مع اعتماداته بقانون •

٤ ـ يوضع في قانون الانتخاب أحكام مؤقتة خاصة بانتخابات البدو الرحل تراعي فيها أوضاعهم من حيث السجل المدني وكيفية التصويت • »

ويجب أن تجرى عملية الاسكان بصورة تدريجية اذ أن نقل هذه العشائر من حياة البداوة والترحال الى حياة التحضر والاستقرار عمل صعب كل الصعوبة فنحن أمام مجتمع بدوي متمسك بعاداته وتقاليده نريد أن ننقله الى حياة التحضر ونصهره في بوتقة الوطن ونربطه بالارض ليفيد ويستفيد فيجب أن يتم ذلك على فترات ومراحل مناسبة مع ضرورة سن تشريع للبدو الرحل يتضمن تعيينهم وحصرهم وتعيين مواقع سكناهم وتعيين المبالغ التي تصرف سنويا على تحضيرهم

وتخصيص المبالغ الكافية للامور التالية :

١ ـ لتأسيس مدارس ابتدائية مجانية تهدف الى مكافحة الامية ونشر التعليم بين ابناء البادية مع تأسيس مدارس ثابتة أو سيارة لتأمين هذه الغاية ٠

٢ ـ تأسيس مستوصفات ثابتة وسيارة ٠

٣ ـ تأسيس دوائر نفوس فى هذه البوادى ٠

٤ ـ توزيع الاراضى الصالحة للزراعة على أفرادهم بنسبة معقولة ٠

ان كافة العشائر التى لا زالت مستمرة على حياة التنقل والترحال والتى لا تزال حتى يومنا هذا ترحل وتجوب مختلف أرجاء البادية بحاجة ماسة لتأمين توفير المياه لها ولماشيتها بحفر آبار خاصة بمناطق تجوالها ٠ اذ أن قضية المياه فى البادية قضية حيوية ويجب أن يبذل لها كل الاهتمام والعناية لغرض تحقيقها وذلك بتطهير الآبار القديمة وفتح الآبار الجديدة كلما كان ذلك مستطاعا والتوصل الى فتح هذه الآبار من الوجهة الفنية بعد أن تذللت لها الامكانيات المالية ٠

كما أن الامطار الهاطلة فى هذه البادية شتاء تنساب مياهها الى الوديان فتغذى الآبار (والخبرات) المنتشرة فى ربوعها المختلفة وتفيد البدو فى تأمين حاجتهم من الماء والكلأ فاذا أضيفت الى كل ذلك آبار مستديمة أمكن السكنى حولها طيلة أيام السنة ٠

فاذا اقترن ذلك باجراء كل تسهيل لئلا يصطدم المشروع فى بداية تكوينه بعراقيل تؤخره أو تقضى عليه لمدة من الزمن فان ذلك كفيل بحل مشكلة البدو ٠

امكانيات الزراعة فى الصحراء

- ١ -

الميـــاه

توفر المياه والزراعة أمران متلازمان ، ثم يتفرع عن ذلك درجة خصوبة الارض المرادة زراعتها والنباتات التى تلائم مناخها وظروفها الطبيعية الاخرى .

ولابد للتفكير فى أمر زراعة الصحراء من التفكير أولا فى دراسة موضوع توفر المياه الجوفية واستخدام الاراضى الزراعية المنبتـة فى المناطق الصحراوية التى تبشر تربتها بالخير ، بالاضافة الى دراســة امكانيات ايصال مياه بعض الانهار أو البحيرات القريبة من الصحراء اليها عن طريق القنوات . كما أن الامطار ، وان كانت قليلة ، ستؤثر تأثيرا لا بأس به فى المساعدة على تنفيذ مثل هذه المشاريع . فالحقيقة ان الصحراء لا تخلو الان من المناطق الرعوية التى يعتمد عليها البدو فى رعى حيواناتهم فى مختلف مناطقها وكل تلك المراعى تعتمد بالدرجة الاولى على الامطار . كما أن تنظيم الرى بفتح الترع الكبيرة أو حتى بحفر الآبار وانشاء المخازن الفنية لمياه السيول والامطار للاستفادة منها عند الجفاف وفى فصل الصيف كل ذلك يلوح ممكن التطبيق بالنسبة لغزارة المياه ووجود القابلية التى تتطلبها مثل هذه المشاريع الكبيرة .

ولما كانت الحيـاة العشائرية فى كل مكان واستقرارها يتطلبان وفرة المياه وايجاد المراعى لغرض توطينها ومن ثم ادخال الوسائل الحديثة فى الحياة والعمل لها كان الواجب ولا زال يدعونا الى بذل الكثير فى سبيل الاراضى الصحراوية وشبه الصحراوية التى تسقط فيها امطار الشتاء والربيع والتى اعتادت عشائرنا التجوال والتنقل فيها وذلك اولا : بحصر مياه السيول الجارفة داخل الوديان التى تسلكها والتى تفرغ مياهها فى نهر الفرات بغزارة وبسرعة ويتم ذلك كما أوضحه الخبراء بانشاء عدة سدود تقطع بعض الوديان وخصوصـا العميقة منها بحيث تستطيع المياه الزائدة أن تتخطى أعالى السدود الى الاجزاء الاخرى فتكون بذلك مخازن للمياه وافرة أشبه بالبحيرات المستطيلة وتستطيع غزارة هذه المياه بين السدود أن تقاوم حرارة أكثر أشهر الصيف فلا تبخر بسرعة لعمقها كما أنها لا تغور فى داخل الاراضى سيما اذا علمنا أن أكثر هذه الاراضى تكون ذات قعر وجوانب صخرية صلدة وبهذا تستطيع العشائر أن تسد حاجتها من مياه هذه البحيرات الاصطناعية ومن استعمالها فى الزراعة وتنمية وادامة المراعى بواسطة استعمال المضخات ولا ننكر أن هذه الانجازات المهمة تتطلب من السلطات بذل الكثير من المال والخبرة الفنية والتحرى عن هذه الوديان ودراستها دراسة مستفيضة قبل اقدامها على تنفيذ هذه المشاريع التى تتصل مباشرة بحياة ومستقبل بعض العشائر العراقية ، ولا ننسى أن ذلك سيخفف كثيرا من مخاطر الفيضانات الفجائية والتى تسبب فى كثير من الاحايين تدميرا كبيرا للثروة الزراعية والعمرانية . ثانيا : بانشاء السدود الترابية حول الاراضى المنخفضة فى البوادى وانشـاء

الفتحات لها لغرض تجمع مياه الامطار فيها واسالة الميـاه الفائضة الى المنخفضات الاخرى القريبة من الاولى فتجمع المياه مدة أطول يجعل العشائر فى نجوة من الجفاف مدة أطول أيضا كما يساعد على جعل تلك المنخفضات من الاراضى بعد جفاف مياهها مراعى مزدهرة كثيرة الاعشاب والحشائش وبنفس الوقت من الممكن توجيه تلك المياه الى الاراضى المجاورة لسقيها لغرض توسيع مساحات المراعى عندما تتوقف الامطار لمدة طويلة •

ثالثا : بالتفتيش الدقيق فى طول البوادى وعرضها عن المياه الجوفية المختزنة تحت طبقات الارض لحفر الآبار فيها • كما أن وجود مياه داخل الارض صالحة للشرب وللزراعة المحدودة فى متاهات البوادى أمر على جانب كبير من الاهمية لان ذلك يساعد الى حد كبـــير على الاستيطان الدائم وثم على بناء مراكز عمرانية تصبح على مر الزمن نواة لقرى مهمة وحياة عصرية سعيدة لابناء العشائر وبالاخير تستطيع هذه المراكز أن تجتذب الى خصبها عددا كبيرا من العشـــائر للعيش بظلها واستغلال منافعها ونكرر مرة أخرى أن هذه المشاريع الوطنية بالرغم من احتياجها للمال الكثير والخبرة الفنية والتضحيات التى لا مفر من بذلها لا تسمح لنا بالابطاء والتردد فى تحقيقها وسرعة انجازها كما وان العشائر نفسها مدعوة للمساهمة فى العمـل من أجلها باقـرار تشريعات جديدة لكى لا نسمح لها بالتهرب من هذه المساهمة أو الهرب خارج الحدود العراقية ودفعا لهذه المحاذير لابد من توسيع مجهودات الدولة فى سبيل تغلغل وسائل المعـرفة بين العشائر وتطوع الشباب والطلاب فى فترات معينة من السنة للقيام بهذه المهمة •

ان الثروة المائية لاى مكان تنقسم الى قسمين الاول منها هو الماء الذى يمكن أن يوجد فى بطن الارض والثانى هو الماء الذى ينزل من السماء ، ومع أن الامطار التى تهطل فوق الصحراء والاراضى شبه الصحراوية قليلة نسبيا فهى لا يستفاد منها تماما بل يستفاد من جزء يسير جدا منها والباقى يذهب دون أى فائدة لا بل يكون عاملا فعالا فى اتلاف التربة الصالحة وذلك بجرفها ورميها فى البحار وبهذا تكون الخسائر مضاعفة •

لقد برهنت التجارب التى أجريت فى المملكة الاردنية الهاشمية على أن استثمار مياه السيول هو من أهم الاشياء التى يمكن أن تساعد على تحسين المناطق المختلفة حيث انه أتى بنتائج طيبة أدت بشكل فعال الى جعل الاراضى شبه الصحراوية منتجة انتاجا لا يستهان به اذا ما طبقت تلك التجارب بشكل أوسع وقد أعدت المملكة الاردنية الهاشمية بالاشتراك مع الدائرة التعاونية لتحسين المراعى والحراج عدة مشاريع هدفها المحافظة على الثروة المائية واستثمارها وذلك لتحسين احوال القبائل البدوية بشكل خاص والنهوض باقتصاديات البلاد بوجه عام • أما المشاريع التى أعدت للغاية المذكورة فيمكن تلخيصها فيما يلى :

١ ـ تنمية المراعى عن طريق حفظ مياه السيول فى التربة بواسطة انشاءات توزيع المياه •

٢ ـ تعمير البرك القديمة الواسعة لحفظ مياه السيول لخير الاهالى والماشية •

٣ ـ انشاء حفر كبيرة تشبه الغدران الطبيعية لحفظ مياه السيول لخير الماشية •

٤ ـ انشاء السدود الكبيرة لحفظ مياه السيول للاستفادة منها للزراعة ولخير الماشية •

٥ ـ دراسة امكانية وجود المياه الجوفية في الارض واستثمار هذه المياه حيثما وجدت •

ان المشاريع مارة الذكر مكملة بعضها للبعض الآخر وتكون بمجموعها صورة كاملة عن كيفية استثمار المياه والاراضي الطيبة في المناطق المختلفة والتي تتوفر بها شروط سنذكرها في بحث هذه المشاريع •

١ ـ حفظ مياه السيول في التربة بواسطة انشاءات توزيع المياه :

ان الامطار اذا ما نزلت على الارض تجمعت في المجاري والوديان وانسابت بشكل سيول قوية وضعيفة تبعا للكمية التي هطلت مخترقة مساحات واسعة وانواعا مختلفة من الاراضي واذا ما وجدت هذه السيول ما يعيقها عن الجريان ذهب القسم الاعظم منها دون أي فائدة ، حاملة معها الكثير من التراب الخصيب الذي يلقى به في البحر ولهذا يجب اقامة الحواجز عبر هذه السيول لايقاف الماء وتجميعه ومن ثم توزيعه على الارض المحيطة به بواسطة حواجز ترابية يختلف حجمها تبعا لقوة السيل المنهمر • أما المرحلة الاولى لعمل مثل هذه المشاريع فهي الدراسة الطبوغرافية أو دراسة مستوى سطح الارض التي سيجرى عليها التوزيع حيث يجب أن تكون تلك الارض نسبيا مستوية أو بانحدار أقصاه (٥ر١) درجة كما يجب أن تكون الحواجز الترابية المنشأة مستوية أيضا لانه اذا زاد الانحدار قوى جريان الماء وزادت امكانيات انجراف التربة وهكذا تصبح تكاليف المحافظة على هذه الانشاءات باهظة وأما

المرحلة الثانية فهى تقدير أو معرفة أكبر قوى لاندفاع الماء فى الوادى ويمكن معرفة ذلك من حجم الوادى الذى كونه السيل مع مرور الزمن وكل ذلك لكى نعرف مقدار ارتفاع السد الذى يجب أن يقام عبر الوادى ومن ثم معرفة ارتفاع وعرض وطول الحواجز الترابية التى يجرى بواسطتها التوزيع على سطح الارض والمرحلة الثالثة فى هذه هى فحص التربة لكى نتأكد من أنها خالية من الاملاح التى تسبب عدم نمو النباتات وقد وجد أن أحسن أنواع الاراضى ملائمة لعملية توزيع المياه هى الارض التى يتكون سطحها من طبقة طينية رملية عميقة لحد المتر ويليها طبقة طينية كثيفة وذلك لكى يتعذر على الكثير من الماء الانسياب الى باطن الارض وكل ذلك لكى تبقى معظم الرطوبة فى السطح العلوى كى تستفيد منه النباتات •

يمكن أن يمتد طول الحاجز الترابى الواحد الى بضع مئات من الامتار أو لعدة كيلومترات ويكون ذلك دائما حسب المهمة التى يؤديها ذلك الحاجز غير أنه يجب أن لا تزيد المسافة بين الحاجز الترابى والارض على مسافة أكثر من نصف كيلومتر وذلك لكى يسهل توزيع المياه ولكى تنال كل قطعة من الارض المعنية حاجتها من الرطوبة • وعند بناء هذه الحواجز يجب شق الارض التى يقام عليها الحاجز ثم البدء بوضع التراب وجمعه فوق تلك الشقوق على أن يؤخذ التراب من ناحية الحاجز الخلفية لكى تتكون حفر جامعة للماء تمتلىء فى بادىء الامر ثم تفيض على ما يليها من الارض فاذا أغلق جانب الحاجز الترابى الاول من الجهة اليمنى ثم أغلق حاجز الجانب الترابى الثانى من الجهة اليسرى وسير فى هذا التبادل الى نهاية هذه المجموعة من الحواجز

الترابية نرى أن الماء قد أخذ ينساب ببطىء كبير وبشكل متعرج وذلك لكي يبقى أكبر مدة ممكنة فوق سطح الارض كي تخزن الارض ما يمكنها من الماء في سطحها • ان عملية توزيع مياه السهول بواسطة السدود والحواجز الترابية بالاضافة الى كونها أعظم أداة لمقاومة انجراف التربة واستثمار مياه السهول فهي تعتبر من أجدى الوسائل المستعملة في اصلاح المراعى التى أتلفت وضعفت مع مرور السنين •

لقد أجريت انشاءات توزيع المياه بواسطة الحواجز الترابية والسدود في بادية الاردن وقد برهنت التجربة على نجاح كبير حيث أقيم ثلاثة وستون حاجزا ترابيا وبضعة سدود بلغ طولها خمسة وستون كيلومترا أعلى مساحة تساوى سبعة عشر الف دونم وانتج الدونم الواحد أربعة أطنان من العشب الاخضر أو نصف طن من العشب المجفف والطن منه يساوى ٥ دنانير وقد بلغت تكاليف اصلاح الدونم الواحد بواسطة الآلات الحديثة ما يقارب دينارين كما اصبحت قيمته تساوى حوالى عشرة دنانير بعد ان كان بدون أى ثمن لعدم انتاجه أى شىء •

لقد روعيت الامكانيات المحلية فى اقامة هذه الحواجز الترابية فقام بانشاء بعضها عمال اردنيون من أبناء البادية بواسطة الادوات البسيطة مثل المجرفة والطورية والقفة وغيرها وقد ظهر في النتيجة انه يمكن للعمال المحليين ان يقيموا مثل هذه الانشاءات غير ان تكاليف اقامتها ترتفع الى عشرة اضعاف تكاليفها عندما تستخدم فى انشائها التراكتورات والجرافات الضخمة الحديثة •

يوجد فى المملكة الاردنية الهاشمية ما لا يقل عن مليون وستماية الف دونم من الاراضى التى يمكن تحسينها بواسطة مشاريع توزيع مياه

السيول ولاشك فى ان اصلاحها سيكون له أكبر الاثر فى تحسين أحوال سكان هذه المناطق غير ان مثل هذا الاصلاح يتطلب الوقت والمال الكافيين لانجازه ولهذا رؤى ان يجرى الاصلاح تدريجيا لكى يتفق وتثقيف الجماعات الذين سيسكنون المناطق المصلحة من البدو وغيرهم •

٢ ـ انشاء الحفر التى تشبه الغدران الطبيعية :

عندما تسيل بعض الوديان وينتهى سيلانها يبقى فى بعض الاحيان شيء من الماء فى حفر مستطيلة وعميقة نوعا ما فى بطن الوادى يطلق عليها البدوى اسم غدير وقد وجد ان الماء يبقى في هذه الحفر احيانا لمدة تتفاوت بين الستين والسبعين يوما حسب طبيعة الارض وشدة الحرارة • لقد درست هذه الحفر ووجد ان ايجاد مثل هذه الحفر يساعد على ابقاء الماء فى أماكن عديدة وقريبة من المراعى ولهذا فقد حفرت عدة حفر بواسطة الحفارات الكبيرة وذلك بالقرب من الاماكن التى أقيمت عليها مشروعات توزيع المياه بواسطة الحواجز الترابية لحفظها فى التربة لتنمية الكلأ • ان هذه الطريقة توفر الماء والكلأ بالقرب من بعضهما البعض لانه يقل نفع كل منهما عند ابتعاده عن الآخر • لقد جرب هذا المشروع فحفرت اربع حفر كبيرة فكان مجموع سعتها حوالى المليون جالون وكان نفعها عظيما اذ شرب منها عدد كبير جدا من الماشية اثناء وجودها فى المراعى الجديدة ولهذا فقد تقرر التوسع فى عمل مثل هذه الانشاءات •

٣ ـ تعمير البرك القديمة :

ان قضية وجود الماء فى البوادى قديمة جدا وقد عرفنا ذلك من

الآثار الاسلامية والرومانية الباقية ليومنا هذا حيث وجد العدد الكبير من البرك الكبيرة المبنية من الحجر في أماكن مركزية في البادية وعلى ما يظهر ان ابناء البادية في العصور السالفة حاولوا حل قضية الماء بتشييد هذه البرك وملئها بمياه السيول ومن الجدير بالذكر ان هذه البرك تقع على الطرق الرئيسية مثل طريق الحج القديمة وبالقرب من القصور القديمة التي وجدت في الصحراء مثل قصر عمر والخراند والمشتى وغيرها. هذا وقد وجد ان تعمير هذه البرك هو خير وسيلة لحفظ كميات هائلة من مياه الامطار التي لا شك في انها خير اسعاف لابناء البادية الذين هم وماشيتهم بأشد الحاجة للماء ولذلك فقد تقرر اصلاح جميع هذه البرك على ان يشترك الذين سيستعملونها في هذا الاصلاح وذلك بان يقدموا العمال اللازمين للعمل على ان تقدم الهيئات المسؤولة جميع المواد والادوات والفنيين . وقد كان الهدف من وراء ذلك الاشتراك ابعاد أهل البادية عن الاتكالية وتدريبهم على أعمال العمران التي ينتفعون منها وقد اصلحت اربع برك تبلغ سعتها مجتمعة خمسة ملايين جالون وقد امتلأت جميعها بالمياه من أمطار هذه السنة .

٤ ـ انشاء السدود الكبيرة لحفظ مياه السيول :

ان انشاء السدود يعد من أهم الوسائل المستعملة للاستفادة من المياه المتدفقة في السهول والسد بابسط معانيه هو الحاجز الذي يقام عبر مجرى الماء لكي تتجمع المياه امامه ومن ثم يمكن الاستفادة منها في سقاية الحيوانات وفي أعمال الري الزراعية على مختلف انواعها اذا كانت كميات المياه تسمح بذلك . ان السدود تختلف باختلاف الموقع وبنسبة هطول الامطار فيه اذ منها ما هو مبنى من التراب ومنها ما يصنع بالحجر

الصخرى بعد اقامته كما يوجد منها ما هو ضخم وما هو صغير نسبيا ومنها ما له فتحات تتحكم بمصير الماء المتجمع امامه ومنها ما هو بدون هذه الفتحات غير انه يجب ان يكون لجميعها حواجز طبيعية كي لا تتأثر من قوى اندفاع المياه في حالة حدوث عاصفة كبيرة ينتج عنها تدفق كميات كبيرة من الماء •

ان عمل أي نوع من هذه السدود يتطلب دراسة ودراية هندسية مع الكثير من التعقل والتفكير اذ يجب ان تدرس طوغرافيــة الموقع ونسبة انحداره ويجب ان يعرف أقصى حد لكميات المياه التى يمكن ان تتدفق في ذلك المجرى أو الوادى لاننا من هذه المعلومات نقدر ان نعرف كميات المياه التى ستجمع والقوة التى سيقاومها السد وكل ذلك لتأمين بناء مثل هذه الانشاءات • ان أهم شيء في عملية اقامة أى سد كان هي ايجاد المطاف لذلك السد أو المنفذ الذى سينفذ منه الماء الذى سيزيد عن حجم الماء الذى يمكن ان يحجز ويعتبر هذا المطاف عادة كمفتاح الامان حيث يفضل ان يكون طبيعيا كل ما امكن •

ان فوائد هذه السدود عظيمة وعديدة فهي من أحسن الوسائل لحفظ مياه الامطار التى تتجمع في الوديان ومن أهم العوامل الفعالة في مقاومة انجراف التربة وذلك بايقافها المياه التى تحمل الوف الاطنان من التراب الخصيب الذى يترسب في اماكن توزيع تلك الكميات من الماء • لقد جربت عملية انشاء السدود في بادية الاردن في الآونة الاخيرة حيث انشيء عدد منها في مواضع مختلفة وقد كانت كميــات الماء التى جرفتها هائلة وتقدر ببضعة ملايين من الجالونات استعملت جميعها لخير الماشية •

٥ ـ المياه الجوفية واستثمارها :

ان الجزم في وجود مياه جوفيـة في بطن الارض في جميـع الاماكن لشيء يتطلب المعرفة والخبرة الواسعة وبذل الكثير من الاموال في التجارب العملية وذلك للتأكد من وجود الماء أو عدمه ولذلك فان هذا العمل يتطلب وجود الخبراء الذين يقومون بدراسة المناطق المختلفة من حيث تركيـها الجيولوجي وما هنالك من عوامل أخرى يمكن ان ترجح وجود الماء أو تنفي ذلك ولهذا يجب الاستعداد الكافي لمثل هذا المشروع قبل البدء فيه لتأمين الفائدة المتوخاة منه •

٢ـ توفر الاراضي الصالحة للزراعة

منذ مدة طويلة خطرت على بال الشيخ محروث الهذال رئيس عشائر عنزة فكرة تحسين أحوال عشائره واسعادها نظرا لما رآه من مشقتهم وعذابهم فى حصولهم على ما يسد الرمق وقد علم أن هـذا المشروع لن يتحقق الا عن طريق المشاريع الزراعية وارشاد البدو الى مزاولتها بصورة عملية وبدأ عمله بمشروع زراعى فى أراضى الهبارية الواسعة والتى تقع على بعد خمسين كيلومترا غربى مخفر شرطة النخيب فى البادية الشمالية .

ومضت على زراعة هذه الاراضى الواسـعة ما يقرب من العشر سنوات والتى استخدمت فى حراثتها المكائن الحديثة أى (الكاروبات) ولكن هنالك أسبابا لم تزل تدعو الفلاح هناك الى عدم الاستقرار فمن ذلك قلة الماء مع العلم أن الزراعة هناك قد نجحت نجاحا باهرا وهذا النجاح هو الذى ساعد عشيرة عنزة على الاستمرار بالزراعة وان لم يكن ذلك على نطاق واسع لقلة الماء .

وهكذا تمكن الشيخ محروث من تعمير المسـاحات الشـاسعة بالزراعة بعد أن بذل جهودا كبيرة ولاقى مصاعب غير هينة فى سبيل تطهير الارض من الاعشاب الضارة لجعلها صالحة للزراعة فقد تنازل عنها لاحدى فرق عشيرة عنزة المسماة (الحبلان) وقام بعد ذلك بتعمير

أراضي أخرى بالزراعة وتسمى الشفاويات والتي أصبحت منطقة صالحة للزراعة بفضل تشجيع رئيس العشيرة لعشيرته لمزاولة هذه الحرفة •

وان أراضي الهبارية والشفاويات وكافة أراضي الوديان في البادية الشمالية أراضي صالحة للزراعة وذلك بفضل خصوبة أرضها واستمرار هطول الامطار الديمية عليها والتي يعتمد عليها الزراع في شمال العراق بزراعتهم وامطار الديم هناك غزيرة حيث تنحدر في الاودية كالانهار الجارية وقد يبلغ ارتفاع بعض مجاريها المتر الواحد وتستمر هذه المياه بالجريان لسقي الارض التي تمر عليها حتى تنتهي في بحر الملح في لواء كربلاء • وهكذا قامت هذه الآبار بمنافع جمة حيث أروت الاكباد الصادية وأزالت المحن الشديدة بالنسبة للكائنات الحية وخففت من وطأة العطش عن عشائر عنزة وساعدتها على تربية المواشي بصورة منتظمة •

وقد ساعد تشجيع الحكومة بحفرها الآبار في تلك الجهات على التفاف أفراد العشيرة حول الشيخ محروث الهذال فطالب بحفر سبعة وعشرين بئرا للاستفادة منها في زراعة الارض وقد اثمرت المراجعات فقد قررت الحكومة تأييد الطلب وحفر الآبار في منطقة (عشائر الجبل) من عنزة وقد عهد الى شركة اميركية بحفرها فانجزت لحد الآن اربعة آبار يبلغ عمق البئر الواحدة منها سبعمائة قدما ومتى تم انجاز هذه الآبار فسوف تكون تلك المنطقة قد أمنت على سلامة مواشيها من العطش والهلاك بعد أن طمأنت سكانها •

لقد استطاعت معظم الدول أن تحول الصحارى الى أراضي زراعية بواسطة مشاريع الري ، كذلك الامر في البادية الشمالية التي لا يمكن

أن يقال عنها أنها قاحلة وذلك لصلاحية أرضها للزراعة ولا ينقصها سوى الماء .

كما أن أي تخطيط اجتماعي يحاول توطين القبائل والعشائر ورفع مستوى حياة الشعب وفتح سبل جديدة للحياة باستثمار واستغلال المساحات الواسعة من الاراضي القابلة للزراعة يجب أن يقترن بل يبدأ بمشروعات الري لتوزيع المياه واقامة السدود والسيطرة على مياه الفيضان وخزنها وفتح الترع والجداول . كما ان لمهمة التسوية في هذا الامر فوائد عظمى لانها في الواقع ستعمل على استتباب الامن والاستقرار بين العشائر المختلفة وحسم كثير من المشاكل المتأتية من قضية التصرف بالاراضي . وقد أدت فوائدها الى التوسع الزراعي والاقبال على اعمار واستثمار الاراضي الزراعية بعد أن تثبتت الحقوق ولم يعد في الامكان أن يفقد الانسان الارض التي يبذل فيها جهوده وأمواله . كما أن مهمة التسوية تكشف عن الاراضي الصالحة للزراعة مما يمكن استغلالها مباشرة وحفر الآبار فيها واعطاؤها الى بعض العشائر الرحالة . وهكذا تعمل التسوية على اسكان هذه العشائر والعشائر الاخرى التي سبب عدم اطمئنانها السابق تجوالها الدائم ولكنها استقرت الآن عندما تمت تسوية أراضيها .

أجل ، في الامكان زراعة الصحراء ، واكتشاف كثير من الاراضي القابلة للزراعة فيها في حالة توفر الماء ، وقد شاهدت بنفسي امكانية ذلك فهناك مثلا كثير من أنواع الشجر الموجودة في الصحراء أعرف منها شجر (الاثيل) المنتشر في صحراء الزبير بكثرة متناهية وقد أقيمت منه هناك غابات ممتدة بين الزبير وصفوان في منتهى طريق الزبير —

الكويت الصحراوية • وهو صالح على ما اعتقد لزراعته فى الصحارى بالنظر لانه يحتاج للسقى مرتين فقط عندما تشتل هذه الشجرة فى موسم الشتاء أو أوائل الربيع وهذا ما جربناه فى بعض طرق لواء الدليم الصحراوية وطريق عين التمر فى كربلاء وفى مفترق طرق مهمة كطريق النجف أيضا ومن الممكن القيام بحملة واسعة لتشجير بعض المناطق فى البوادى وفى مناطق الآبار ومن المنتظر أن يكون هذا التشجير نواة لغابات كبيرة يتواصل تشجيرها خلال السنين القادمة •

احوال البدو الاقتصادية

لا يمكننا أن نحدد هيكلا اقتصاديا للبدو بالمعنى المفهوم فى اقتصاد المجتمعات ، فان دقائق جوهر السلوك الاقتصادى معدومة فى مجتمعه الصغير فيجب أن يرادف الاقتصاد الاجتماعى الحالة السلمية فى الوقت الذى نجد فيه هذه الحالة غير المستقرة التى يتميز بها المجتمع البدوى والتى يتعلق بها فى بعض الاحيان وذلك لميله الى الغزو •

كما أن النظام الاقتصادى يجب أن يتصف بالانتظام والنشاط المتصل فى حين أن المجتمع البدوى قائم على الفرص النادرة وان اقتصاده متوقف على الطبيعة أى أنه خلو من المنظم ومن رأس المال كما أنه خام لا يعدو أن يتكاثر طبيعيا أو أن تصيبه ضربة من الضربات فينهار فجأة من أساسه • وعلى هذا فما نجد فيه أى عنصر من عناصر الاقتصاد بالمعنى المفهوم •

ان نفقات الاسرة البدوية تقل كثيرا عن نفقات الاسرة الريفية ان لم تنعدم فى بعض الاحيان كما أن البدوى نادرا ما يتعامل بالنقود ولذلك فأن حياته الاقتصادية قائمة على أبسط طرق التعامل التى عرفها البشر ، تلك هى المبادلة فهو يحمل ما يفيض على حاجته من منتجات ابله وماشيته فيبادلها بما يحتاج اليه من الاقمشة والتمر • وذلك ملحوظ على نطاق واسع فى الرطبة مثلا فهى تعتبر مركز تموين بالنسبة للبدو وأهم ما

تتعامل به هو الخام والرز والتمر ، المواد الضرورية بالنسبة للبدوى •

ان الاسرة البدوية تحصل على ما يسد كافة احتياجاتها السنوية من بيع بضعة رؤوس من الابل تعوض طبعا عن طريق الزيادة الطبيعية فى عدد القطيع وهو حين يبادل هذه المبادلة يكاد لا يخلو من شعور الأسف والندم على ابله فهو يعتبرها عماد حياته ويود لو كثر عددها حتى ولو صارت آلافا فانها مقياس الثروة لديه ولكنه بالاضافة الى ذلك لا يتورع عن ذبحها كلها اذا احتاج واجب الضيافة ذلك فهو من هذه الناحية غير محدود أبدا وهذا جانب مهم من مشكلة فقدان الحياة الاقتصادية بالمعنى المفهوم لدينا • فان التقاليد التى درج عليها تتيح له الحصول على كل ما يحتاج اليه من اخوانه ورفاقه دون الحاجة الى شراء وانما عن طريق الضيافة • بينما نجد أخاه ساكن المدينة يلجأ الى مطعم يأكل فيه ويدفع ثمن ما يأكل مما يؤلف جانبا من جوانب اقتصاد المجتمع مثلا •

اننا نستطيع من وجهة اقتصادية اعتباره منتجا للمنتجات الحيوانية لانه فى الواقع يقوم بذلك العمل بكل دقائقه ومتطلباته على أكمل وجه ولكن بصورة طبيعية غير منتظمة وبدائية غير معتمدة على الوسائل الحديثة فى الانتاج ولا على نطاق واسع كما يحدث مثلا فى البلاد الاخرى حين تقوم حقول تربية الحيوانات بتزويد مصانع التعليب باللحوم والحليب بصورة منتظمة شأنهم فى ذلك شأن عمال المناجم الذين يزودون مصانع الآلات بالحديد والفحم • أما البدوى فان غايته فردية استهلاكية بالنسبة اليه فقط ولا يعدو اهتمامه بما سيأكله هو

وعائلته وما سيأكله ضيفه ولو أتيح له أن يحصل على ما يحتاج اليه من التمر والخام بطريقة أخرى لما هان عليه ان يهب ابله أو تتاج ابله من أجل ذلك وهو لذلك يحتقر وسائل المدنية فى بيع الطعـام مثلا كل الاحتقار ويعتبرها اهانة بالغة وانحطاطا •

لذلك ، يخطىء كل من يحاول أن يطبق النظريات التى تطبق فى حقل النشاط الاقتصادى على حياة البدو • ان البدوى لا يعرف شيئا عن المستقبل وهو لا يستعد له ولا ينظم شيئا نتائجه بعيدة وهدفه واسع وانما هو طبيعي يفكر فى يومه فقط • ونحن نؤمن بأنه لو أتيح له ، لو أتيح له ! أن يجد الخصب دائما فى مكان واحد لما فكر فى الترحل مطلقا • ولو فكر بذلك فانما كحنين الى عادة تأصلت فى نفسه نرى أن الايام قادرة على أن تزيلها منها كما زرعتها فيها على مر العصور•

ان اعماله لا تتطلب الاناة والابتداع الواعى وانما تتضمن كلها نوعا من التقاليد درج عليها ورأى آبائه يفعلونها •

لقد دفع هذا الاسلوب فى الحياة الذى يقتفيه معظم سكان الجزيرة العربية والصحارى المتاخمة لها من البلدان العربية الاخرى الى زوال أثرهم فى الحقل الاقتصادى والاجتماعى سواء كمنتجين أو كمستهلكين مما عطل التطور الاجتماعى فى الشرق الاوسط •

ان انعدام الطمأنينة ، وسنوات القحط ، وطبيعة الحياة فى البادية والاعتراف بالغزو كوسيلة شريفة للحصول على الضروريات فى سنوات الحاجة ، كل ذلك سبب موت كثير من القرى الصغيرة المتاخمة للصحراء وكلف الفلاحين الصغار الذين حاولوا أن يستغلوا الاراضى الصالحة

للزراعة فى تلك المناطق كثيرا من الخسائر بموجات الغزو التى كان البدو وما يزالون يقومون بها دائما • فان هنالك خصومة كبيرة بين البدو الرحل وبين الفلاحين المستقرين • مما أدى الى تأخر الاقتصاد الوطنى تأخرا لا يمكن التعويض عنه ما لم تستقر الامور بالنسبة الى البدو ويجدوا ما يحتاجونه من مراعى دائمة الخضرة دون الحاجة الى غزو الآمنين المستقرين •

التجارة فى الصحراء

لم تكن وسائل المواصلات قديما قد نظمت على النحو المعروف الآن وانما كان الناس ينتقلون من مكان الى آخر على ظهور الابل أو الدواب أو فى العربات التى كانت تجرها الدواب أما الاموال التجارية فكانت تنقل على ظهور الجمال فكان هنالك مورد دائم من الرزق لهؤلاء الاعراب من البدو حيث كانت قوافل الجمال هى أسطول الصحراء المترامية الاطراف فكانت هذه الجمال تنقل الاموال من سوريا الى العراق وأحيانا من العراق الى ايران وكانت للجمل أهميته وقيمته المادية •

كانت الحمولات تنقل على ظهور الجمال بأثمان تضاهى أثمان الجمال نفسها فكان ثمن الحمل من الشام الى بغداد قبل الاحتلال البريطانى فى العراق وعقب هذا الاحتلال حتى سنة ١٩٢٢ أو ١٩٢٣ يبلغ ثلاثين ليرة عثمانية وهو ثمن الجمل نفسه • فكان من يشترى عددا من الجمال وينقل عليها الحمل من الشام أو حلب مثلا يستوفى ثمن الشراء فى بغداد وعند وصولها الى بغداد تصبح الجمال أرباحه الحقيقية لهذا السفر الطويل الشاق فاذا أعاد الكرة مرة أخرى وأكثر من مرة ربح فى كل مرة ثلاثين دينارا عثمانية الى أن تم فتح طريق سوريا مارا بكبيسة وتدمر وكثر النقل بواسطة اللوريات فكسد النقل على الجمال

بعض الشيء لان هذه اللوريات كانت من القلة بحيث لم تتمكن من سد حاجة النقل ثم تضاءلت قيمة الجمل كلما كثرت هذه اللوريات هذا بالاضافة الى تيسر النقل بواسطة طريق بغداد ـ الشام ، بعد فتح طريق الرطبة الحالى فتكاثرت السيارات نتيجة اختصار الطريق واهتمام الحكومتين العراقية والسورية بهذا الطريق وتنظيمها أمور السير فيه وتعيين مواعيد للسفر من كلا البلدين واخراج دوريات مسلحة لمحافظة قوافل النقل .

بماذا استعاض البدو عن الغزو الذى منع بتشريع ؟

« لقد كانت القرصنة في البحار فضيلة تمثل فيها عدة خصال كالشجاعة والتضحية ... فالانسان الذى يقطع الطريق على قافلة تنوء بالزاد وبالخير ثم يسوقها الى قبيلته وقومه ، رجل فاضل وشجاع »[1]، نقول عندما حرمت القوانين الدولية القرصنة نتيجة اتفاقات دولية أدمج هؤلاء القراصنة فى القوات البحرية لتلك الدول فأصبحوا بحارة وربابنة سفن أما هؤلاء البدو فقد حرمنا عليهم الغزو الذى تجيزه أعرافهم وقوانينهم المتداولة فيما بينهم غير أننا لم نعوضهم عن ذلك بشيء فلا اتخذناهم حرسا للامن فى (الجيش والشرطة) ولا أسكناهم فى أرض يزرعونها ولا فرضنا على شركات النفط تشغيلهم فى أعمالها ولا ساعدناهم وعوضناهم بشيء يتمكنون به من سد أودهم وقد كان بعض هؤلاء البدو يمتهنون نقل الاموال التجارية فقضت وسائل النقل الحديثة على مهنتهم وكان فى الامكان تسليفهم بالمال ليقتنوا السيارات التى تعوضهم عن جمالهم التى زال مجدها واندثر شأنها فتركناهم يتأرجحون

---

(١) خالد محمد خالد ، ص ١٠١ (هذا أو الطوفان) .

بين وضعين متناقضين المدنية التي غزتهم في صحراءهم وبداوتهم التي يتمسكون بها نتيجة محافظتهم على ما درجوا عليه من حالة ليس في وسعهم تغييرها وهكذا تركناهم في وضع مضطرب فاذا أقدمت الدولة على توطينهم وتشجيعهم ومنحهم الفرص الكافية للانتقال من دور البداوة الى دور الحضارة فان ذلك أقل تعويض يمكن أن يعطى لهم على ما فقدوه نتيجة هذا التطور المخيف بالنسبة اليهم والمفيد بالنسبة الى أفراد المجتمع الاخرين فقط • وان حق المواطنة يقضي على الجميع أن يفكروا في حالة هؤلاء واتخاذ العلاج السريع لانتشالهم مما هم فيه من بؤس وشقاء •

وأعتقد أن صرف بضعة ملايين من الدنانير للتوسع في عملية حفر الآبار الارتوازية والاستفادة من المياه الجوفية وتنظيم الوديان التي تزدحم بالمياه في أربعة أشهر من السنة مع احداث مراعي وغابات اصطناعية وتأسيس دوائر حكومية لتأدية الخدمات الاجتماعية اليهم هو أقل ما يجب أن تقوم به الدولة تجاههم •

أرقام ناطقة
عن قابلية البدو الصناعية

انه لمنظر مشجع ، فياض بالامل ، منظر البدوى بمظهره المألوف يقف الى الآلة فيديرها ادارة الخبير ويتطلع الى دقائقها تطلع المسيطر العارف بأسرارها • ولم لا ؟ أليس هو نفسه من جاء من البادية قبل آلاف السنين فعمر وبنى وشيد وأقام وخلق تراثا فنيا ما تزال تفخر به متاحف العالم •

ويقولون ، وما أكثر من يقولون بدون حق ، أنه بدوى وكفى ! لا يعرف ولن يعرف كيف يدير الآلة ، ولم ؟ أليس انسانا ؟ ألا يملك هذا العقل الجبار ؟ بل ليتهم يملكون ما يملك من الحصافة والذكاء والمقدرة •

ان شركة نفط الكويت تشغل ٣٨ ٪ من عمالها وموظفيها الفنيين من البدو الذين قهروا الآلة وتحكموا فيها وبرعوا فى ادارتها ويكفى ان نعلم أن عدد أولئك البدو العاملين يبلغ ٩٠٠ عاملا يسكن العزاب منهم فى مساكن مشتركة بينما يجرى العمل لبناء مساكن خاصة بالمتزوجين منهم • أما الآخرون فيسكنون فى القرى المجاورة أى أنهم مستقرون يتمتعون بفوائد الاستقرار والمدنية الحديثة • كما أنهم عمال دائميون يبدون تقدما كبيرا فى عملهم من حيث الكفاءة والفهم وقد كان

للاجور المنتظمة الدفع والعناية الطبية ووجبات الطعام الجيدة تأثير أخذت تظهر نتائجه فى رفع مستوى الحياة الاجتماعية للبدو •

انهم فضلا عن ذلك يشتركون مع الحضر فى التدريب فى المدارس الصناعية ويظهرون رغبة كبيرة فيه سيما بعد أن لمسوا آثار ذلك فى رفع مستويات معيشة اخوانهم •

أما نسبة العمال البدو فى شركة « الامنيول » التى تشتغل فى منطقة الحياد فتبلغ ٣١ر٦ ٪ ومعظمهم يعملون سائقى لوريات أما الحضريون فيعملون عمالا مساعدين فى الكراجات !

ولا يختلف السكن الذى يقدم الى البدوى عن ذلك الذى يقدم الى الحضرى فى شىء •

وقد ذكرنا فى مجال آخر حقائق أخرى عن أعمال البدو فى شركات النفط فى العراق مما يوحى كله بمستقبل زاهر للبدو فى الاعمال الصناعية وبالتالى فى الاستقرار والطمأنينة وتغلغل المدنية الى نفوسهم ومجتمعهم •

الحياة الفكرية البدوية وتطورها

تتكون مميزات الانظمة الاجتماعية للكتل البشرية من طبيعة الحياة الخاصة لهم والتى تفرضها الظروف الحياتية المنبعثة من ماديات الحياة ، فالعائلة البدوية ، أو العائلة العشائرية المستقرة ، تتماشى روابطها ومشاعرها العامة ، واخلاقها ، ومعتقداتها ، وافكارها السياسية ، ومعاملاتها اليومية ، مع الوضع السياسى والاجتماعى للعشيرة وهذه بطبيعة الحال انعكاسات ثابتة للظروف المادية التى تخلق مجتمعا انسانيا معينا ... ولما كانت الحياة تتطور بفعل الزمن كأى كائن حى ، بفعل عوامل اجتماعية معينة ، تكون مدنيتنا الحالية قد مرت يوما من ايام التاريخ الماضى بأوضاع بدائية كالتى تعيشها القبائل البدوية والنصف مستقرة فى بلادنا اليوم كما وستجتاز هذه القبائل مراحلها الحالية الى مراحل اكثر تقدما واكثر حضارية حتى تصبح يوما ما هذه الحياة البدائية فى مطاوى التاريخ .

وليس من الصدف ان يقوم الباحثون والمفكرون بأمر تطوير حياة البداوة ويعنون العناية كلها بأدخال هذه المجموعات البشرية الى عالم الحياة الحديثة ، الى عالم استغلال الارض ومكتسبات العلم ، الى وجوب استخدام الطبيعة وكنوزها لخير الانسان وتقدمه وسعادته ، لان ابقاء هذه القوى البشرية الهائلة عاطلة جامدة ، بعيدة عن المساهمة فى

انجازات الخير العام لخسارة واية خسارة ، لاسيما فى بلد واسع الرقعة، زاخر بالثروات كثير الامكانيات ، قليل السكان كبلدنا هذا •

وفى عصرنا هذا أصبح وجود تباين هائـل بين مجتمعين متجاورين لامة واحدة بل ولدولة واحدة ، ذاك فى قمة التقدم ، وهذا فى مهاوى الانحطاط والتأخر ، لنشاز يتغاير وطموح الشعب ، ومثـله العليا ، وروابطه الدولية •

واذ نذكر هنا وفى مختلف بحوث هذا الكتاب بعض معالم المجتمع البدوى والعشائرى نرغب فى التطلع الى اللحظة الحاسمة التى نقوم بها شعبا وحكومة لبذل المساعى وتطبيق الحلول العلمية التى وجدناها كفيلة بانهاض وتقدم البدوى نحو الحياة الحضارية التى نمارس كثيرا من معالمها فى بلدنا • لخلق المجتمع المنشود والذى تسوده وحدة الفكرة ووحدة الهدف • فالعلم الذى صار يكيف جل شؤوننا ويوجه مختلف نشاطنا ويحقق كل انجازاتنا واعمالنا معدوم لدى البـــدو والعشائر المختلفة بشكل يكاد يكون تاما ، حتى ان الامية تنتشر جدا بينهم فهـم لا يكادون يعرفون شيئا من القرآن الكريم أو يحفظون سورة منــه وبذلك فاتتهم معارف لابد منها لهم تتضمنها الافكار والتشاريع والاخلاق القرآنية ، فمعرفتهم بامور الاسلام منسوخة ، بعيدة عن واقعه والقرآن الكريم بوجه خاص يقوم بتنظيم الوضع البدوى الذى كان سائدا يوم نزوله والمنطبق تمام الانطباق على حياة عشائرنا البدوية فى هذا الزمان ، وبذلك ايضا خسرت العائلة البدوية والمرأة البدوية رائدها فى تنظيم حياتها وتطوير حقوقها وهكذا تركزت التقاليد الموروثة المنافية اكثرها لروح الاسلام واهدافه وقد اصبحت المرأة فى كثير من القبائل كجزء

من ممتلكات رب الاسرة بينما تقوم فى الواقع باكثر اعمال العائلة المرهقة ، وراح الرجل يقتل وقته مع بقية اخدانه فى ذكر بطولاته واحتساء القهوة وحراسة خيمته والدفاع عن قبيلته وقت شدائد الغزو والسلب والنهب الى عهد قريب وقبل سيطرة الدولة على مواطن البدو ، واصبحت (على ممر الازمان) الحالات الاجتماعية والعادات تختلف كثيرا بين عشيرة واخرى بل بين افخاذ العشيرة الواحدة ايضا كما سادت الفكر البدوى غرائب الخرافات والاساطير منها ما اورثه اياها الجهل الشامل بحقيقة الامور والمعارف ومنها ما اوحته اليها بها ضراوة الطبيعة وقساوتها ومعالم الكون وتبدل الفصول ، ولانعدام العناية الصحية الحديثة بينهم نظرا لكثرة تجوالهم وبعدهم عن المدن تفشت فى اجسادهم الامراض المختلفة واخذت تفتك بهم باستمرار وهم يقاومونها بشتى الاساليب الفطرية البدائية ومختلف التعاويذ والاوهام وبشكل اكثر وضوحا نجد نسبة وفيات الاطفال عندهم عالية • ان خشونة عيش هؤلاء وبقائهم فى الهواء الطلق النقى والشمس المطهره لاجسامهم طيلة ايام السنة كانت عونا مهما لهم لحفظهم من الموت الاجماعى سواء كان بسبب الامراض أو سوء التغذية أو الفقر ولهذا نرى الطفولة عندهم ترعى نفسها بنفسها فيشب الطفل وينمو بفعل الهواء والشمس وطبيعة العيش الخشنة واذا ما بلغ الخامسة أو السادسة أوكلت به بعض الاعمال لانه مدعو للقيام بها ومساهمة الكبار فيما يتطلبه واقعهم •

ولهذا نجد بعض الامراض تسود مجتمع البدوى لانعدام العناية الصحية والاساليب الوقائية فالجدرى والبجل والتدرن الرئوى وامراض العيون والامراض الجلدية والملاريا تكاد تزامل العشائر البدوية دائما

وهى السبب فى ارتفاع نسبة الوفيات بين الاطفال على وجه الخصوص •

ونحن لا ننكر وجود صفات كريمة سامية كثيرة لدى البدو الا اننا نفهم ان حياتهم الجافة القاسية خلقت عندهم العادات والاعتقادات الشاذة الغريبة التى لا تساير تطور البشر وتقدم الحياة العصرية • فحياة هؤلاء حياة تشردية بكامل المعنى وهذا التشرد الاجماعى هو الذى صير من البدوى انانيا يعبد الانتقام ويلجأ الى النفرة من التنظيم الاجتماعى والرضوخ للقوانين والانظمة ، ولذا كان يعتبر الغزو والسلب والنهب من مظاهر الشجاعة والاقدام وكمال الرجولة ولا يعتبر اطفاله شيئا الا عندما يصبحون قادرين على حمل السلاح •

كما لا ننسى ان البدو والعشائر الاخرى تهيمن على مناطق واسعة من الاراضى البور والبوادى التى يخلو اكثرها من الانهار والقنوات والآبار ولا تبللها غير مياه الامطار ، فخسارة الدولة مزدوجة عظيمة الاثر فنحن نخسر جزءا من ارض الوطن وجزءا من الشعب ، وهذا الوضع الخاص بهذا الجزء من الوطن كان سببا اضطراريا لوجود هذه الطبقة المهمة من القبائل البدوية والعشائر الرحالة فى بلادنا تنتقل من مكان لآخر طلبا للمراعى والماء فتطور هذه القبائل الى وضع حضائرى يجب ان يرافقه تطور فى طبيعة ارضهم الواسعة بان تصبح صالحة للزراعة وتصبح معظمها مراعى لتنمو فيها الثروة الحيوانية المؤلفة من الالبان ومشتقاته والاصواف واللحوم وغير ذلك • فالاهتمام الواجب توجيهه نحو هذه القبائل يجب ان يوجه كذلك نحو ارضهم وحيواناتهم •

وبالرغم من خشونة البدوى الظاهرة وجفاف طبعه وبدائية

أفكاره واخذه بكثير من الامور الخرافية وتنقله الدائم فى بطون البوادى واطرافها وبالرغم مما هو عليه من تخلف فى امور المدنية المتطورة المتقدمة وبعده عن مجالات الحياة المنظمة الرتيبة ذات المسؤوليات والحقوق والواجبات • اقول على الرغم من كل ذلك فهو يستطيع بسرعة وبقابلياته المختزنة ان يتمثل كل اوجه الرقى والتقدم واسباب الحياة المهذبة ، وكل ما تتصف به المدنية العصرية من مظاهر وأوجه واختراعات وهذه حقيقة يؤيدها تاريخ الشعب العربى نفسه •

ان اهم مشكلة يجب حلها بالنسبة للقبائل البدوية لحمايتها وتطويرها وادخالها الى معترك الحياة الزراعية المستقرة هى معالجة الناحية الفردية المتأصلة فى طبيعة افراد هذه القبائل ، وبسبب هذه الفردية نرى الانسان البدوى فى وضعه الراهن لا يفهم معنى الاخلاص للمصلحة العامة المشتركة للامة لانه لا يستطيع فهم هذه المصلحة العامة ، وجل همه الابقاء على حياة أسرته وحيواناته ، فهو يغالب اقرب جيرانه على ماء البئر والغدير و « الخبارى » والعشب لان ذلك مرتبط اشد الارتباط بالابقاء على حياته وحياة افراد اسرته كما قلنا • واذا ما لاذ بقبيلته وشيخه فلانه يدفع بها عن نفسه اكتساح جيرانه له واستيلائه على عشبه وغديره وحيواناته والتى هى كل ما يمتلكه فى الحياة ، ولهذا نرى البدوى عندما يترك حياة التنقل ويستقر فى ارضه الزراعية تنمو لديه روح التضحية والثأر والدفاع عن المال والنفس بشكل اكثر وضوحا واثرا عندما كان يمارس حياة البداوة ، بل نراه يندفع اكثر فاكثر نحو الحياة الجديدة حتى ليأخذ ، باسباب الترف والبذخ ومباهج الحياة الى آخر جهد يستطيعه بل ربما اوقع نفسه فى مهالك ومآزق تؤدى به

الى الفقر والحرمان من جديد •

ولنظام (المشيخة) عند هذه القبائل اكبر الاثر فى الابقاء على الروابط القبلية ونظام الاسرة والعلاقات الجماعية لديهم ، ولا سبيل يوصلنا الى النجاح اذا نحن حاولنا ضرب هذا النظام وتحطيمه لان ذلك يورطنا فى مشاكل صعبة تذهب بكل المحاولات التى نقدمها لتطويرهم سدى وعلينا فيالمراحل الاولى تغذيته وجعله أداة نافعة وكمواطن يساهم فى المجتمع ، وترك أمره لمراحل التطور التى ستمر بها هذه القبائل ، اننا نرى القبائل الكثيرة التى تركت البداوة من ازمان بعيدة ودخلت ميادين الحياة الجديدة لا تزال تساس من الناحية الرسمية بروح عشائرية الى حد ما كما انها لا تزال ايضا تتعلق بشيخها مهما جار وخرج على المألوف لان استئصال الروح القديمة لا تتم بسرعة ولا تتطور دفعة واحدة وهذه بعض المدن العراقية التى استوطنت من القبائل منذ مئات السنين لم تنعدم فى اوساطها تلك الروح بعد او لا تزال فى نفوس اهلها عواطف النظام القبلى والعادات العشائرية ، كما نرى ان هناك من انفصمت عرى روابطه القديمة بالقبيلة منذ اجيال ولا يزال يعتبر علاقة دمائه وخط بيان نسبه من الامور التى تحدد مكانته الاجتماعية وشرف محتده ونبل منزلته ومبعث فخره •

ونعتقد انه ليس بوسع أحد مؤاخذتنا على واقع آرائنا هذه لانها مستمدة من هذا الواقع الذى نعيش فيه ، والذى يؤيده البحث العلمى ، فجل ما نتوخاه قبل كل شىء طبعا تمكين هذه القبائل من الاستقرار فى مجالاتها الحالية وانشاء مجتمع أولى لها يكون الخطوة الاولى فى سبيل تطويره وتقدمه وبالتالى « تصنيعه » بالمستحدثات الزراعية الجـــديدة

وبذلك تنعدم بصورة تدريجية معالم بداوتهم الحالية فيربحهم وطننا ويربح أرضهم وثروتهم الحيوانية ، فالفكر العلمي المنظم هو الكفيل وحده باجراء تطبيقاته التي ننوه عنها في هذا الكتاب مستعينا بالخبر الكثيرة المكدسة لدى خبرائنا وخبراء غيرنا من الامم التي سلكت نفس السبيل .

ومن المفهوم ايضا ان ذلك يتطلب بداهة الى تشاريع جديدة والنظر بصورة دقيقة الى تعديل اغلب التشاريع الحالية التي وجدت في السنوات الماضية بفعل بعض الظروف الخاصة وجعلها جميعا تتماشى مترابطة كوحدة قائمة بذاتها لتنمية العهد الجديد لهذه القبائل وفق هذه الاهداف المعينة ، وان يكون رائد هذه التشاريع التضحية المادية من قبل الدولة وبذل المعونة الفنية ودفع بعض فئات الشعب والافراد للمشاركة في هذا المضمار على اساس اعتبار ذلك من الخدمات الاجتماعية الاجماعية التي تتعلق بمصالح كافة الطبقات في الوطن وخصوصا جملة المثقفين والمفكرين في تطوير المجتمع ، وتدريب الشباب بفتح بعض المدارس الخاصة للقيام بهذه المهام الدقيقة الحساسة . وان بذل الدولة المال الوفير في مجالات نشاطها بين القبائل واعفاء هذه القبائل من كثير من الرسوم والضرائب والمسؤوليات المدنية ، وتقنين تشاريع مستمدة من وسط وعادات ومستوى القبائل البدوية ، وتعمد تغذية وازدهار الصفات الكريمة الكثيرة المستقرة لديها كل هذه من مستلزمات انجاح مشاريع الوضع الاجتماعي الجديد لقبائل البدو وللقبائل العراقية الرحالة الاخرى .

ان وجوب تقدم وتطور الحياة الفكرية البدوية الحالية تستلزم اتباع هذا التاكتيك العلمي وتطبيقه بحذر وتأمل . كما تستلزم قيام

الدول العربية المجاورة وبالاخص الشقيقات سورية والاردن المتقاربة في اوضاعها مع العراق بتطبيق الخطط الملائمة والتي تراها مناسبة في أوساط قبائلها البدوية وعشائرها الاخرى اما المملكة العربية السعودية فيجب ان يكون لها منهج خاص بها في هذا السبيل ويا حبذا لو أخذت الجامعة العربية على عاتقها تحقيق أمثال هذه الانجازات الوطنية ذات الاوجه الانسانية ، لتستطيع هذه القبائل في دنيا العرب جميعها ادراك حقيقة أهداف هذه الامور وانها لا تقوم الا على أساس تنمية وافادة مصالحها ذاتها •

ان وجود هذه المجتمعات البدائية لدى هذه القبائل العربية دون بذل المساعي لتغيرها وتطورها في وسط دول عربية متحضرة حتى بعد منتصف القرن العشرين ليحد من مكانة هذه الدول في المجالات الدولية والمؤتمرات العالمية وقد شاهدنا ذلك ولمسناه في بعض المناسبات عندما طعنت بعض دول هيئة الامم المتحدة عددا من الدول العربية بوجود الرقيق في بلادها ورأينا صموت بعض الشقيقات ازاء تلك الحملات • سيما اذا ما وجدنا اسرائيل متيقظة لاستغلال كل ما يشوه سمعتنا ويحط من مكانتنا ويعدم رغبتنا في الاصلاح في الاوساط العالمية المتمدنة •

الروابط الاجتماعية عند البدو

تبلور الروابط الاجتماعية لدى البدو فى الاسرة وما يتفرع عنها من بيوت متقاربة النسب وكثيرا ما يضم البيت الواحد الجد والابن وابن الابن كلا مع زوجته أو زوجاته يعملون معا ويأكلون معا . وتتضامن الاسرة كلها فيما اذا وقعت غرامة على أحد أفرادها كما انها تأخذ معه المغانم التى يستحقها ويسرى ذلك على الفخذ والعشيرة والقبيلة بالتعاقب.

اما المشيخة فهى لمن يمتاز بالشجاعة والكرم وقد تكون للاولاد .

« ان المعيشة البدوية فى صحراء العرب فى عهد الجاهلية وخضوع القبيلة لرئيسها خضوعا تاما ، وتنظيم الحياة على أساس الاسرة ، كان له أثر عميق فى حياة المجتمع العربى حتى بعد أن أسلموا وتحضروا ... وان أفراد الاسرة فى المحيط البدوى أكثر ارتباطا منهم فى المحيط الحضرى فيشعر البدوى بالمسؤولية نحو أبيه وأمه واخوانه بل اعمامه وعماته وأخواله وخالاته وهو يعتز بعزة الاسرة ويذل بذلتها وهم يقولون عن الشخص أنه من بيت فلان أو ابن عم فلان ... ومن خير الامثلة على الافراط فى العلاقات العائلية ووجوب الحد منه ما كان فى الجاهلية من سيرهم على مبدأ (أنصر أخاك ظالما أو مظلوما) فهذا نتيجة لشدة الترابط ، فلما جاء الاسلام أراد أن يحد من هذا المبدأ وفسره بأن نصرة الظالم هى بان يمنع من ظلمه وينصر المظلوم

بدفع الظلم عنه ، أى أنه يفضل العمل بمبدأ الحق على الانقياد للترابط العائلى أو القبلى »[1] .

« ولكل قبيلة من قبائل البدو أسرة تتوارث مشيخة القبيلة كما تنحصر وراثة الملك فى الاسر المالكة لدى الممالك المتحضرة . مثال ذلك مشيخة عنزة فى آل هذال ومشيخة شمر فى آل محمد ، ومشيخة الضفير فى آل سويط وهكذا .

وانتساب الأفراد الذين لا عشيرة لهم أو العشائر الصغيرة الضعيفة الى عشيرة معروفة قوية شائع عند البدو . وقد تتحد عدة عشائر أحيانا فتؤلف حلفا بينها »[2].

والشيخ مطاع من قبل العشيرة فى كل الامور وهو مرجع أفراد العشيرة فى شؤونهم كما أنه هو الذى يملك حق الامر بالرحيل وبالاستقرار وهو الذى يأمر بالصلح وتنفيذ الاحكام وأخذ المغانم واعطاء المغارم على انه ملزم باستشارة كبار العشيرة ورجالها المحنكين فان لم يفعل ذلك لم يحترموه وتفرقوا عنه . والبدوى ميال بطبعه الى حب العدالة .

ان كبير الاسرة البدوية هو أكبر أعضاءها سنا وهو مسموع الكلمة مهيب الجانب يستشيره أولاده وأحفاده فى كل أمر ينوون القيام به .

---

(١) الشرق والغرب ـ احمد أمين (ص ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٩) .
(٢) العراق الحديث ـ الدكتور متى عقراوى (ص ٢٥٣) .

منهج حفر الآبار الارتوازية
ومصادر المياه الاخرى

مما لاحظته أن المنطقة الكائنة بين عين التمر والنخيب خالية من الآبار الصالحة للشرب والارواء وهى من الطرق التى اعتادت السيارات على سلوكها واذا ظلت هذه الطريق خالية من آبار تؤمن حاجة المارة من ركاب السيارات والعشائر الاخرى فان حياة الناس ستتعرض للخطر خاصة فى موسم الصيف واشتداد الحر فى هذه الصحراء الجافة ولقد طلبنا من وزارة الاقتصاد حفر آبار ارتوازية بالقدر المستطاع لدفع الخطر وتأمين الحاجة ٠

أما لواء الدليم فتنقسم حاجته الى الابار الارتوازية الى قسمين :

١ ـ آبار ارتوازية على الطريق المبلط بين المحمدى والرطبة ٠

٢ ـ آبار ارتوازية فى صميم البوادى للمراعى ٠

وحيث أن القسم الاول مهم جدا لانه يؤمن عدة منافع كتأمين السير بهذا الطريق ودفع أخطار العطش عن ركاب السيارات وتموين الغنامة ومواشيهم بالماء فى موسم الصيف وانقطاع الامطار كما انه سيكون أساسا لقرى صغيرة تقوم حول الابار فى هذه البادية المترامية الاطراف وصيانة الامن وحيث أن وادى المحمدى فيه آبار فمن الممكن انشاء

قرية هناك فتبقى المسافة بين المحمدى والرطبة (٢٤٥) كيلومترا من الممكن حفر أربع آبار ارتوازية فيها على فرض ستين كيلومترا بين البئر والاخرى •

ان العشائر البدوية فى هذه الصحارى القاحلة الواسعة تعانى مشقة وصعوبة كبيرتين فى عدم توفر مياه الشرب لها ولابلها وخيولها وما تملك من بقية الانعام واذا حصلوا على الماء من بعض الحفر الكبيرة التى ينبع فيها بعض الوشل ـ فهو عرضة للجراثيم المختلفة مما يعرض صحتهم للمرض ـ أقول اذا حصلوا على هذا الوشل من المياه فانهم ليشعرون بسعادة لا تضاهيها سعادة فى حين أن فى الامكان انشاء مخازن للمياه واسعة وكثيرة فى مواطن كثيرة من الوديان المنتشرة فى الصحراء •

لقد شاهدت فى الكويت أن السلطات هناك أحدثت منخفضا فى الارض على شكل بحيرة صغيرة فى طرف المدينة وسلطت مياه الامطار على هذه البحيرة (المصطنعة) وعند هطول الأمطار بكثرة واستمرارها لبضعة أيام فان هذه البحيرة تستفيد من مياهها بكميات كبيرة فتأتى سيارات خاصة على غرار السيارات الخاصة برش الطرق التى تستعملها البلديات وفوق كل واحدة منها ماكنة صغيرة مع أنبوب من النوع الذى يستعمله رجال الاطفاء فتمد هذه الانابيب الى هذه البحيرة فتملأ السيارات بهذا الشكل ، هذا بالنسبة الى مجموع السكان • أما بالنسبة الى الدور فقد أقيم فى كل دار خزان ماء مسلح وقد زفتت سطوح الدور وسلطت (ميازيب) الدار الى خزانها فحين تهطل الامطار على سطوح الدور تنقلها الميازيب الى الخزانات رأسا وفى الامكان تطبيق

هذه الطريقة بشقيها في كثير من البوادي في حالة استقرار بعض هذه العشائر الرحالة •

والحقيقة أن سقوط الامطار وهطولها بغزارة كبيرة في بعض المواسم يسبب ارتياحا عاما لدى سكان البوادي الذي يستبشرون ويتوسمون خيرا فيها ويتوقعون نفعا كبيرا لهم ولمواشيهم لان ذلك يؤدي الى رفاه اقتصادي محسوس لدى سكان البوادي ومن المعلوم أن العشائر تتجه حيث تجد المراعي الخصبة لتستفيد منها مواشيها ومن أهم هذه المراعي تلك التي تقع ضمن البوادي الشمالية والغربية وبادية الجزيرة ومما لا شك فيه أن العناية بهذه البوادي ضرورية جدا لكونها مركز تجمع العشائر من ناحية ووجود المراعي فيها ولكونها المرجع الرئيسي لتجمع هذه العشائر في أغلب فصول السنة ومن هنا تظهر أهمية توفير الآبار الارتوازية لتأمين ما تحتاجه هذه العشائر في سني المحل والجفاف •

وهناك منهج مقرر يرمي لحفر عدد من الآبار الارتوازية في البوادي الثلاث وتعميم هذه الآبار في انحاء البادية لتشجيع الاستقرار بين العشائر الرحل وتوطينها في الاماكن الصالحة للزراعة •

وهناك بعض القوانين النافذة في الوقت الحاضر وهي تهدف الى اسكان البدو والترفيه عنهم بعد ذلك ، والحاجة ماسة لانشاء مدارس سيارة لتعليم ابنائهم على أن تقام هذه المدارس جنبا الى جنب مع مخيماتهم مع ترجيح البدو على غيرهم في توزيع الاراضي • ان هذا ما يجب أن تعنى الحكومة القيام به لتشجيعهم على استثمار الارض بكافة الوسائل الممكنة من توفير المياه لهم ومنحهم السلف والقروض الطويلة والقصيرة

الاجل كما ان في استطاعة الحكومة ان تزيد عدد المزارعين الموجودين في الحاضر بينهم زيادة كبيرة اذا ما استطاعت اسكان البدو الضاربين في البادية ٠

ليس هناك في الحقيقة احصاء مضبوط لعدد أفراد البدو الرحل في العراق بالنظر الى تنقلهم الدائم ، وكل ما هنالك من احصاءات هو من قبيل الحدس والتخمين ٠

ان المصلحة تتطلب العناية بالعشائر الرحالة من كافة الاوجه مع احصاء عدد البدو بأية صورة من الصور قبل الاقدام على الاجراءات الضرورية الرامية الى اسكانهم والترفيه عنهم ٠

لا نكران في ان البلد سيستفيد فائدة كبرى من زيادة الثروة القومية بزيادة الايدي الزراعية العاملة القوية ، اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الامكانيات المالية الموجودة والتي تسمح بمثل هذا التوسع وذلك بالاضافة الى الفوائد الاخرى التي ستعود على البدو أنفسهم باستقرارهم وتركهم لحياة التنقل سعيا وراء العشب والمطر ليعيشوا عليه مع انعامهم على الصورة البدائية المعروفة ٠

ولا شك في ان معظم العشائر العراقية متوطنة في أرض معينة يستغلونها في الزراعة منذ أجيال بعيدة الا القبائل الرحل (البدو) التي تنتقل من مكان الى آخر تبعا لمواسم الامطار حيث جل اعتمادهم في حياتهم على المطر فهذه العشائر هي التي ينبغي توطينها في أراضي تمنحها اليهم الحكومة للاقامة الدائمة فيها وان قانون التسوية قد عالج هذه الناحية في الفقرة (هـ) من المادة (١١) منه وذلك بأن خول مجلس الوزراء حق منح اللزمة في الاراضي الاميرية الصرفة لغرض اسكان

العشائر بنظام خاص يعين فيه كيفية المنح وطريقة التوزيع وفق الشروط الآتية :

١ ـ ان تسجل الارض التى تمنح باللزمة لغرض الاسكان باسم الفرد من العشيرة المراد اسكانه فيها •

٢ ـ ان توصف اللزمة التى تمنح لهذا الغرض فى سجلات الطابو انها ممنوحة لغرض الاسكان •

٣ ـ ان تحدد مساحة الارض التى تمنح لزمتها لاسكان فرد من من العشيرة ولا يجوز أى تصرف فى الاراضى الممنوحة على هذا الوجه يخرجها عن الغرض الذى منحت من أجله بما فى ذلك البيع والرهن والايجار خلال خمس سنوات من تاريخ منح اللزمة كما لا يجوز الحجز عليها لايفاء دين خلال المدة المذكورة عدا ديون الخزينة وفقا لما نصت عليه الفقرة (و) من المادة المشار اليها •

ويبدو مما تقدم ان الاراضى التى تمنح لغرض توطين العشائر يجب ان تكون من الاراضى الاميرية الصرفة التى تعود ملكيتها للدولة وهذا الصنف من الارض يعد بالملايين من الدونمات وهى ما تزال بورا بسبب عدم ايصال الماء اليها لبعدها عن الانهر الرئيسية وعدم وجود مشاريع رى لتنظيم وسائل اسقاء هذه الاراضى كما لم تتخذ الاجراءات الفنية لاستصلاح غير الصالح منها للزراعة •

ونعتقد ان المشاريع الكبرى للرى التى ستتم كمشروع الثرثار ومشروع بخمة ومشروع سدة ديالى وسائر مشاريع الرى الكبرى التى من الممكن القيام بها ستساعد كثيرا فى اصلاح الاراضى التى من

هذا القبيل وجعلها صالحة للزراعة فى مساحات تعد بملايين الدونمات ومن الممكن المطالبة بتوزيعها على القبائل المتنقلة وسائر الافراد من الفلاحين الذين ليست لهم أراضى لتوطينهم وانقاذهم مما يعانونه فى الوقت الحاضر من الاتعاب والعناء من جراء تنقلهم من مكان الى آخر سعيا وراء الكلاء والمرعى فى مواسم الزراعة •

هذا ولما كان توزيع الاراضى لهذا الغرض قد جرى فى مجال ضيق للسبب المتقدم لذلك ليس فى الوسع تبيان أى فكرة أو انطباع عن أثر قوانين تسوية الاراضى فى توطين العشائر اذ يصعب أو يتعذر تحديد آثار هذه القوانين وفوائدها فى توطين العشائر ما لم يجر التوزيع بنطاق واسع وبعد ان تكون مشاريع الرى الكبرى قد تم انجازها وهيئت لتنظيم الرى فى هذه الاراضى وعندئذ يكون فى الامكان توزيع هذه الاراضى على العشائر ومن ثم الحكم على مدى النتائج والفوائد التى ستجنيها البلاد من ذلك من نواحى مختلفة زراعية كانت أم عمرانية ام اجتماعية أم اقتصادية وغيرها مما تعود الى البلاد وأفراد هؤلاء العشائر انفسهم بالنفع الجزيل والهناء الشامل •

كما ان التحضير لا يتم بتشريع قانون يستهدف هذا الغرض بل يتم بالعمل المجدى المفيد •

ان التحضير لا يكون بالقانون فقط ولا يكون بتدوين الفكرة على الورق وانما يكون بتهيئة أسباب التحضير واعداد وسائله واقناع العشائر المراد تحضيرها فمتى هيئت هذه كلها للعشيرة امكن اجراء التحضير •

واما أن تستمر العشيرة لتعيش وفق اصول البداوة فلا يتحقق التحضير ولا يسير خطوة فى تنفيذ أغراضه •

نعم هناك نظام خاص يرعى التقاليد العشائرية يطبق على العشائر الرحالة وغير الرحالة وهو قائم وقد سارت الدولة خطوات كبيرة لتقليص احكامه في فترات من عمرها ويجب أن تحدد احكامه بحيث يبقى نافذا بحق العشائر التي تحافظ على تقاليدها البدوية (فيما يخص البدو الرحل) وتحدد أحكامه بالنسبة الى العشائر التي تخضع له ريثما يتم تحضير هذه العشائر •

فعملية التحضير هذه لا شك أنها لن تتحقق ما لم تهيأ الاسباب التي تنقل البدو من حالة البداوة الى حالة الحضارة •

معجزات تحققت ! ••••

قد ينظر المرأ الى الصحراء نظرة اليأس والقنوط عندما يجدها كالبحر المتلاطم ••• حين يراها عالما شاسعا ومتاهة واسعة مترامية الاطراف من الرمال ولكن الانسان أعظم من الصحراء وأقوى من الطبيعة بدهاءه وحكمته •

اننا لا نريد لهؤلاء البدو الا بعض هذا الشعاع الذي يسلطه العلم على الاشياء فيراها على حقيقتها ••• اننا نريد لهم بعضا مما حققته لامثالهم الشعوب الاخرى ••• ان صحارى اميركا شاهدة على عظمة الانسان فقد اصبحت بفضل العلم والآلة والمال جنات تجري من تحتها الانهـار •

وهل ينقصنا العلم ولدينا بعض الاختصاصيين • وهل تنقصنا الآلة أو المال وهذا المنبع الكريم ••• هذا النفط المغدق يتدفق في بلادنا •

الا نستطيع مثلا انجاز مثل هذه البحيرة التي انشأتها ادارة النقطة

الرابعة فى اراضى مشروع (البرقع) لنشر المياه فى صحراء الاردن الشرقية .

فى هذه الصحراء الداكنة المترامية الاطراف ، فى شرقى المملكة الاردنية ، التى لم تكن قبل شهور خلت سوى ارض فضاء تصليها اشعة الشمس بسعيرها لا يرى الناظر اليها من الجو سوى مدينة مؤلفة من ١٠٠٠ خيمة شعر سوداء قائمة على حافة بحيرة متلألئة من الماء العذب ويشاهد ايضا عبر السهل الصوانى قطعانا من الماشية يربو عددها على ١٥ الف رأس من الغنم والماعز والجمال هى ملك الخمسة الآف اعرابى القاطنين فى مدينة الخيام هذه فكان ان صمم مشروع (البرقع) وهو أحد مشروعات النقطة الرابعة الهامة حيث انتزع هذا المشروع حوالى ٢٥ الف فدان من الاراضى القاحلة الواقعة بالقرب من تقاطع الحدود الاردنية ـ السورية ـ العراقية من براثن الصحراء السوداء وصيرها اراضى منبتة بعد ان كانت لا تصلح لشىء .

بدأ العمل فى هذا المشروع فى شهر تشرين الاول سنة ١٩٥٤ عندما توجه مهندسان اميركيان و ٢٠٠ اردنى الى لسان الصحراء الشرقى للبحث عن أثر يوحى بوجود المياه أو الرطوبة فى هذه المنطقة مستعينين بأجهزة دقيقة فائقة الحساسية فوقع اختيار المهندسين بعد البحث على بقعة كان الرومان قد اقاموا عليها مثل هذا المشروع منذ مئات السنين ونجحوا فيه نجاحا تاما . فشيدوا على واد قليل الغور سدا ترابيا بعد ان أزاحوا منه حوالى ٢٠٠٠ متر مكعب من التراب والصخور . وبعد ذلك شيدوا حواجز متعرجة طولها اربعة كيلومترات ممتدة على أرض الصحراء

(١) مجلة الاخبار : ١٦ حزيران ١٩٥٥ .

وربطوا هذه الحواجز بشبكة من الخنادق والقنوات والانابيب • ثم طفقوا ينتظرون سقوط الامطار • وهطلت الامطار وامتلاء الخزان بالماء • ويحتوى الخزان اليوم على أكثر من ١٥٠ الف متر مكعب من الماء الباعث للحياة • وبينما كانت مياه الامطار – بين عصر الرومان القدماء ومشروع النقطة الرابعة الحديث – تضيع هباء فى السهول فقد أمكن حفظ هذه المياه الآن ونشرها عبر الاراضى عن طريق شبكة الحواجز فتمتصها الارض حتى عمق متر أو أكثر •

وفى هذه المصطلحات الطينية وغيرها يستنبت مهندسو النقطة الرابعة احواضا واسعة من بذور الحشائش لزراعتها فى المواسم التالية • كما زرعت فيها بنجاح مشاتل شجر الحور والكينا •

وقد استحق مشروع انتاج البذور بصورة خاصة ثناء المستر جيرالد كير أحد كبار موظفى مكتب ادارة الاراضى التابع للحكومة الاميركية وكان قد زار المشروع بصحبة السفير الاميركى المستر مالورى ومدير النقطة الرابعة فى الاردن بالوكالة كارل اولسون •

بقى ان نقول ان مشروع البرقع هو واحد من مشروعات ستة لنشر المياه فى الاردن وكل منها شاهد حى على نجاح جهود الانسان لتعمير الصحراء وتحويلها الى ارض منتجة مزدهرة •

كذلك الحال فى مصر التى لا تملك من الاراضى الزراعية ما نملك نحن • وانما تتخذ الأرض هنالك شكل الصحراء كلما ابتعدت عن النيل • ولهذا فلم يكن هناك بد من غزو الصحراء بالمشروعات العمرانية والاقتصادية وقد جاء فى مجلة الجمهورية أن العمل جار لافساح المجال أمام الافراد والهيئات والشركات لارتياد هذه المناطق والاستفادة

بخبرة وامكانيات الوزارات المختلفة كل فى دائرة اختصاصها للنهوض بتلك البقاع • لقد تم تفريج أزمة المعيشة عن البدو بصرف كميات كبيرة من الاذرة مما نقلته قطارات الرحمة وتعيين كثير من البدو خفراء فى المنشئات والشركات ولدى المقاولين •

وقد استغلت المناطق الصالحة فى منطقة سيناء بقدر الاستطاعة وبقدر ما تتوفر فيه المياه الصالحة للزراعة فظهر الحوض الرومانى والمسالك المائية بعين الجديدات وعنى بحدائق التجارب الزراعية وغرس الفواكه والخضر ولاسيما أشجار التفاح وكوفحت أسراب الجراد مكافحة فعالة •

وفى ميدان التعليم وتشجيعا لسكان الصحراء على استيعاب أكبر قدر ممكن من المعرفة تقرر قبول ابناء الحدود بالمجان فى جميع مراحل التعليم مع التجاوز عن شرط السن واهتمت وزارة الصحة بتعميم المستشفيات وتزويدها بالاطباء والاخصائيين والعقاقير الطبية والممرضين فضلا عن العيادات الخاصة بالمستشفيات التى تتبع بعض الهيئات والشركات •

ولما كانت منطقة جنوب سيناء غنية بالآثار ويقع فيها دير سانت كاترين الشهير بما فيه من روائع الآثار فقد اهتمت شركات السينما العالمية فأوفدت مصوريها • واستغلت منطقة العريش كمصيف •

كذلك انشئت فى صحراء مصر عشر مدارس ابتدائية وأربع مدارس صناعية اولية لاستغلال الثروة الحيوانية ولصناعة الصوف ودبغ الجلود ومدرسة ثانوية جديدة فيها قسم داخلى • وفى منطقة سيناء انشئت حمامات شعبية واصلاحية للاحداث فى العريش •

واصلح مستشفى العريش الحالى وانشئت مجموعات صحية وعيادات خارجية وقسم لرعاية الطفل ومستشفى للولادة ومصحة للامراض الصدرية فى العريش ومستشفى فى الطور • وتقوم وزارة الزراعة بانشاء حقول للتجارب الزراعية وتزويدها بمرشدين زراعيين مع صرف التقاوى والبذور • وسيعاد تنظيم شبكتى المياه والنور فى العريش وتخطيط بلدة العريش وتوصيل المياه والنور لبلدية الطور •

لما كان السبب الواضح لازمة الاغذية فى مصر يرجع جانب منه الى عدم استغلال اراضى الصحراء وواحاتها فقد تقدمت الحكومة ببرامج لاشاعة النهضة الزراعية فى هذه الصحارى وتحويل رمالها القاحلة الى مروج خضراء فبدىء باستصلاح الاراضى البور فى منطقة رأس الحكمة واجراء تجارب زراعية عليها بوساطة اخصائيين من مشروع النقضة الرابعة واشراف بعض الضباط واستحضرت آلات الحفر والحرث الحديثة وتنفيذ هذا المشروع سيكثر المراعى الخصبة لرعى الاغنام والابل وغرس أنواع الفواكه والمحاصيل التى تصلح للزراعة فى هذه التربة • ونفذ مشروع الشجرة فى العامرية لتكوين غابات بها والانتفاع بأخشابها وشرع فى زراعة مساحات من أراضى واحة سيوة للخضر والفواكه لسد حاجة المواطنين وصار استغلال وادى النطرون وانشاء مزرعة للدواجن وتربية الحيوان فى مزارع الخضر والفاكهة حيث يقوم سكان المنطقة بزراعة أشجار الجوافة والنخيل والزيتون الى جانب انتاج البطيخ والنباتات الطبية ونفذ مشروع مد ترعة النوبارية الى العامرية على بعد خمسة كيلومترات من ارض الصحراء لرى ثلاثين الف فدان تقرر زراعتها بالبنجر واستغلالها لصناعة السكر •

ويدرس الآن مشروع مد الترعة الى العامرية أى نحو (١٨) كيلومترا لتكملة المشروع الاول وستساعد خصوبة الارض فى هذه المنطقة على تقليل كمية المياه اللازمة للرى كما ان البدو على استعداد للمعاونة بمجهودهم فى حفر الترعة • ونظرا لجودة اراضى الصحراء الغربية للنباتات الصحراوية قام قسم البساتين فى وزارة الزراعة باقامة مزارع للتجارب لزراعة النباتات الصحراوية فى برج العرب ومرسى مطروح وسيوه وعمل على نشر وتشجيع زراعة الزيتون والتين كما قام هذا القسم بتجارب لزراعة اشجار اللوز والخرنوب والصنوبر وقد نجحت التجارب نجاحا يبشر بالخير • ومن التجارب التى أجريت على تربة الصحراء تجربة قام بها أحد خبراء النقطة الرابعة يعاونه بعض المهندسين من مجلس الانتاج القومى لاستخدام جهاز حديث يمكن بواسطته معرفة عمق المياه ومقدار تدفقها وقد أدت هذه الابحاث الى أن المياه العذبة بمنطقة الذراع البحرى تصلح لرى النباتات وهى متوفرة جدا • وسيستفاد من الآثار الاخرى فى الصحراء لجلب الزائرين والسواح وسيعاد تخطيط القرى على أساس صحى سليم وتوليد الكهرباء من العيون فى الواحات للانتفاع بها فى الانارة • وسيتم تعيين زوار وزائرات اجتماعيين ومندوبين لمصلحة العمل لمراقبة الشركات وبحث شكاوى العمال • وعرضت لاول مرة بعض الأفلام السينمائية على من لم يسبق لهم مشاهدتها وكان بعضهم يقطع عشرات الكيلومترات سيرا على الاقدام ليشاهدوا هذه الافلام حيث كانت الوسيلة الوحيدة لنقل ما يدور فى داخل البلاد من نهضة الى هذه البقاع النائية •

مواطن العشائر الرحالة
في البوادي الثلاث

عندما كان العراق جزءا من الامبراطورية العثمانية وليس هنالك أية حدود بين ولايات هذه الامبراطورية فان عشيرة عنزة بشتى فروعها وأفخاذها كانت تتجول في البادية التي كانت تعرف ببادية الشام وبعد أن فصلت البلاد العربية وتكونت فيها دول دخل قسم من هذه البادية ضمن الحدود العراقية وبالنظر لسعة هذه المنطقة وامتدادها من بادية الرطبة وحدود العراق مع سورية وشرقي الاردن شمالا الى الصحراء العراقية الكويتية السعودية جنوبا مما يلي الاراضي المعمورة من ألوية الدليم وكربلاء والديوانية والمنتفك ولغرض حفظ الامن في هذه البادية المترامية الاطراف فقد قسمت الى باديتين اصطلح على تسمية الاولى منها البادية الشمالية والثانية البادية الجنوبية •

وحيث أن الباديتين الشمالية والجنوبية كانتا منذ القديم موطنا لعشائر عنزة وهي (ديرتهم) منذ مئات السنين فقد أقرت وزارة الداخلية منذ أمد طويل جعلها منطقة تجوالهم أما البادية الشمالية ومقرها الرطبة فقد جعلت موطنا لعشيرة العمارات من عشائر عنزة التي يرأسها الشيخ محروث الهذال الذي هو الرئيس العمومي لعشائر عنزة • أما

البادية الجنوبية ومقرها (نقرة السلمان) فقد جعلت موطنا لعشيرة الدهامشة التي هي فخذ من عنزة •

اما بادية الجزيرة التي أحدثت سنة ١٩٤٥ بموجب بيان وزارة الداخلية فقد جعلت موطنا لعشيرة شمر وفي موسم الرعي يجوز اختلاط الجميع في البوادي فيما اذا أجدبت الصحراء في جهة وأينعت في جهة أخرى • ولكن الغالب أن عنزة ترتاد وتصطاف في الشامية • وشمر ترتاد الجزيرة وهذه الترتيبات وضعت من قبل وزارة الداخلية خوفا من احتكاك العشيرتين فيما اذا اجتمعتا معا على صعيد واحد أما في حالة عبور احدى العشيرتين الى منطقة نفوذ الاخرى بلا سبب ملجيء فانه يعطي فكرة أن هناك نية مبيتة للاحتكاك والاصطدام •

أما عشيرة الضفير فانها ترتاد المنطقة الواقعة بين المنتفك والبصرة ونجد ضمن البادية الجنوبية وهذه (ديرتها) منذ مئات السنين •

ومن المشاكل الاخرى التي تشغل بال السلطات الادارية الآن ما يحيق بطراز سكنى عشيرة عنزة من اضطراب ظل يلازمها منذ أن وجدت على ظهر الارض ولم يتسن لها أن تجاري أبسط مظاهر الحضارة فبقيت تحيا حياة البداوة وتعيش في القفار والبراري ، منها من آثر السكنى في البادية الشمالية وهي قبيلة (الجبل) ومنها من لازم البادية الجنوبية وهي قبيلة الدهامشة واتخذت من بادية السماوة وصحراء النجف والصحاري المتصلة بلواء كربلاء مستقرا لها بعد أن قصرت حياتها على تربية الابل والخيل والمواشي شأنها في ذلك شأن قبيلة الجبل وهي تنتقل بمواسم وظروف شتى حسب حاجتها للكلأ ونحسب أن الوقت قد حان لمسايرة رغبة هذه العشيرة في التوطن

والانصراف الى الزراعة وقد أعرب رئيسها الشيخ محروث الهذال عن رغبته هذه ورغبة عشيرته في التوطن والزراعة غير مرة في مراجعاته العديدة لمختلف الدوائر الرسمية ذات الاختصاص • ويبدو أن هذه الرغبة تستقيم مع المصلحة العامة في اسكان هذه العشائر الرحالة وتحضيرها ومن دراسة الموضوع من نواحيه المبدأية فان أراضي البادية الشمالية والجنوبية حيث هي موطن قبيلة الدهامشة من عشائر عنزة كما ذكرنا ، صالحة للاستيطان اذا ما توفرت المياه •

توطين لا اسكان !

اميل الى استعمال كلمة (توطين العشائر) بدلا من كلمة اسكان العشائر لان كلمة (توطين) أقرب الى الحقيقة وادعى الى الصراحة من التعبير الثاني ذلك لان الاشخاص أو الجماعات المحـــرومة من الاستقرار والتي تنتقل من بادية الى أخرى طلبا للكلأ ومن نهر الى صحراء ومن صحراء الى بيداء بحثا وراء الحياة لا تنطبق عليها كلمة (التشرد) بحق واستحقاق • ويلوح لي اننا اذا اردنا ان نستعمل كلمة (الاسكان) بدلا من (التوطين) فقد يغلب على الظن ان هناك جماعة تسكن لدى قوم آخرين كضيوف (ثقلاء) وغير (ثقلاء) أو انها تسكن عندهم كدخلاء بصورة وقتية أو بأي شكل من اشكال (الاشغال) سواء أكان ذلك مشروعا أو غير مشروع في حين ان توطين العشائر يختلف كثيرا عن الحالات التي ذكرناها آنفا •

ولما كان أفراد العشائر هم من أهالي البلاد ولا ريب في ذلك ومن سكانها المفروض فيهم انهم مواطنون لهم سكن (معين) فيها لا ان (يسكنوا) في بقعة من البقاع تطفلا أو تفضلا • لهذه الاسباب التي أوردناها بشكل عابر وبصورة مقتضبة اراني أميل الى استعمال كلمة التوطين بدلا عن كلمة الاسكان • فكلمة (التوطين) أكثر انطباقا على الواقع لان الذي لا يستطيع ان يملك بقعة من الارض مهما بلغت مساحتها في الكبر أو الصغر لا يعتبر مواطنا بالمعنى المفهوم ولذلك نجد

كثيرا من الدول لا تمنح حق المواطنة أو حق التملك الا لرعاياها فقط، اما لذا منحته للاجانب فذلك بشكل استثنائي وبسيط للغاية ويعامل المقابلة بالمثل • فحق التملك والحالة هذه خاص بالمواطنين من رعايا الدولة دون سواهم •

بعد هذا التهيد للموضوع الذي أريد البحث فيه أقول :ـ

ان من أهم العشائر الرحالة في العراق عشيرتا ـ شمر وعنزه ـ واكثرها عددا وعدة ولزعماء كل منهما المكانة المرموقة سواء في المدن أو البادية تبعا لما لهما من نفوذ واسع على اتباعهما وقد اتخذت كل من العشيرتين من صحارى العراق مناطق للتنقل تبعا للكلأ وجريا وراء الحياة التي تعتمد على وجود الماء الكافي لها ولأبلها وما لديها من مواشي وحيوانات ، وبسبب الخصومة المتأصلة بين العشيرتين كثيرا ما كانت تصطدم احداها بالاخرى بسبب أو بغير سبب وتتجدد حالة التوتر بين الافراد في مثل هذه الاحوال ردحا من الزمن ولا تزال قضاياهما في هذه الناحية تعد معضلة كبرى يستعصي بشأنها الحل الحاسم •

لذا فان من المشاكل التي تشغل بال السلطات الادارية ما يحيق بطراز سكنى هذه العشائر من اضطراب ظل يلازم حياتها على الفطرة منذ ان وجدت على وجه الارض ولم ينسها ان تجاري أبسط مظاهر الحضارة فبقيت تحيا حياة البداوة وتعيش في القفار والبراري وتنتقل من محل الى آخر تبعا لمواسم مختلفة ، وظروف شتى مدفوعة بحكم ما يتطلبه أسلوب حياتها ونظام معيشتها •

وحيث ان عشيرة شمر قد باشرت منذ عقدين من السنين بهجر حياة البداوة والترحل واخذت تميل في حياتها نحو التوطن والاستقرار

وذلك بسبب ما خصصته الحكومة لقسم منها من الاراضى الصالحة للزراعة والاستيطان فى مناطق نفوذها • فستتناول فى هذا المقال أفراد عشيرة « عنزة » دون غيرها •

ولما كان البحث فى هذا الموضوع يتعلق بمجموعة كبيرة من نفوس العراق وجب التفكير الجدى فى مسألة توطين هذا العدد من الافراد ليمارس حياته الزراعية ويقترب شيئا فشيئا من المدينة التى اصبحت عنصر الحياة الهام فى القرن العشرين وليس من الحق فى شيء عدم الاهتمام فى هذه الكتلة الضخمة من النفوس أو اهمال شؤونها واستقرارها وتأمين معيشتها وتولى تهذيبها وثقافتها •

ويغلب على الظن أن الوصول الى حل مرض فى هذا الشأن سهل يسير فهنالك ميل كبير فى نفوس هذه العشائر الى التوطين وملازمة الريف للتعايش السلمى المستقر بممارسة الزراعة والعمل ضمن حدود الامكانيات التى تستطيعها بشوق ورغبة وقد حدثت عدة مراجعات لمختلف الدوائر الرسمية ذات الاختصاص حول هذا الموضوع ، والواقع ان هذه الرغبة وليدة الظروف الحاضرة التى تستقيم مع الرخاء الاقتصادى وتنسجم مع المصلحة العامة • ولا شك ان دراسة الموضوع من كافة نواحيه أصبحت أسهل بكثير من السابق نظرا للتقارير المرفوعة من الهيئات المسؤولة عن دراسة مثل هذه المشاريع العامة النافعة ضمن مناهج مجلس الاعمار •

وأول واجب فى هذا الشأن هو الاكثار من حفر الابار الارتوازية فى مختلف المناطق الصحراوية وعلى طرق السابلة لتوفير المياه الصالحة للشرب وعدم نضوبها فى مواسم الصيف وحالات انقطاع الامطار ،

واذا ما وجدت حول هذه الابار أو على مسافة قريبة منها مراع خاصة يتمتع بالاستفادة منها أفراد العشائر فسيكون ذلك عاملا مهما من عوامل انشاء القرى حول تلك الابار المنتشرة فى البادية المترامية الاطراف بالاضافة الى ما يحققه المشروع من تأمين طرق المواصلات فى الجزيرة سواء للقوافل المارة من أفراد العشائر أو لركاب السيارات والوسائط النقلية الاخرى •

ان من الضرورى القيام بتنفيذ مشروع اسكان العشائر فى محلاتهم وتحضيرهم وحفر الابار لتأمين المياه لاجل الشرب والبناء وهم مستعدون لان يساهموا بحفر الابار اللازمة فى المواقع التى تثبت من قبل الجيولوجيين •

وقد نجحت فكرة حفر الآبار وشق الاماكن حيث ظهر الماء فيها حلوا وعذبا وغزيرا للغاية بحيث ان جميع العربان المجاورة لهذه الآبار أخذوا يردون اليها ويستقون الماء منها دون ان تقل كميته • وقد ظهرت المياه فى بعضها عن عمق يتراوح بين ١٠ و ٢٠ مترا من سطح الارض • وقد اثبتت التجارب ان جميع المياه التى ظهرت فى الآبار الارتوازية فى كثير من المواقع انها عذبة وغزيرة •

وهناك عشائر كثيرة يميل أفرادها الى حفر الآبار وتهيئة الوسائل لبناء الدور على نفقتهم حسب الخرائط المنظمة للقرى •

ان أقصر الطرق لتأمين استفادة العشائر الرحل من الخدمات العامة يتوقف أولا وآخرا على اسكانهم والحيلولة دون هذه التنقلات المألوفة التى هى الرمز الخالد لعهد البداوة • ان سياسة اسكان العشائر الرحل فى العراق ليست من الامور الصعبة التحقيق • وبالنظر لضآلة نفوس

العراق • ووفرة ميـــاهه واراضيه الخصبة وقابليته الممتازة للزراعة والاستيطان غير ان وجه الصعوبة في ذلك كان يتجلى عندما تتم المفاوضة مع رئيس العشيرة وتعطى الاراضي باسم رئيس العشيرة ـ فالرئيس يحبذ فكرة الحكومة ويتخذها وسيلة لا بل غنيمة ـ يقتص مساحات كبيرة من الاراضي فتسجل باسمه وبعد التسجيل تستمر عشيرته على التنقل اذ لم تبق أرض في حوزتهم يستمرونها ولا مرعى تحت تصرفهم ضمن الاراضي المسجلة باسم الرئيس والتي من حقهم الاستفادة منها ـ وعلى هذه الصورة تبقى العشيرة خضعة لرئاستها مباشرة ولربما كان العدد الاوفر من أفراد العشيرة لا يعرفون شيئا عن الحكومة وقد قضى مشروع توزيع الاراضي الاميرية لغرض الاسكان على هذه الطريقة فصارت تعطى الاراضي الى أفراد العشائر مباشرة • والى ان يتم توطين العشائر أو اسكانهم فان العناية بأمرهم تتطلب

أولا ـ العناية بشؤونهم ثقافيا •

ثانيا ـ العناية بشؤونهم صحيا •

ثالثا ـ شمولهم بالخدمات الاجتماعية •

أما العناية بشؤونهم ثقافيا فأمر يتطلب ايجاد منظمات تتولى تعليم أفراد العشائر وارشادهم الى بعض المعارف والمعلومات الاجتماعية التي تتطلبها أوضاعهم وتنظيم حملات واسعة النطاق لمكافحة الامية بوسائل محببة لنفوسهم كأن تؤسس مدارس تقوم هيئاتها بتوزيع الاغذية وقسم من أنواع الكساء على التلاميذ مجانا أضافة الى ما يجب الاكثار من توزيعه عليهم من وسائل الايضاح وكتب الدراسة والتعليم والمواد القرطاسية الاخرى •

أما العناية بهم صحيا فيتطلب تزويد العشيرة بمستوصف سيار مع موظف صحى خاص يلازم العشيرة فى تنقلاتها ويكون من جهة ثانية مرتبطا بمؤسسات صحية ثابتة تبنى بالقرب من مناطق الارواء أو الآبار الارتوازية ليكون دافعا للافراد فى حب الاستيطان والسكنى وباعثا فيهم الرغبة الى تكوين مجموعات من البيوت التى لن تلبث ان تكون نواة القرية تحتل منطقة جميلة من مناطق الصحراء الواسعة. والعناية بصحة هذه الجماعات من قبل هيئات رسمية ستساعد كثيرا على تقليص فكرة التداوى بواسطة الادعية والتعاويذ وتقضى على نشاط الدجالين المضللين المنتشرين بين أفراد هذه العشائر •

وعلى السلطات الصحية التى تمر فيها تلك العشيرة ان تقوم بملاحظتها صحيا ومن الضرورى ان تكون لدى رئاسة صحة اللواء هيئة مهمتها ارشاد أفراد العشيرة الى كيفية انتقاء مياه الشرب فى اثناء التنقل ومحافظة هذه المياه من التلوث بواسطة المواشى أو غسل الملابس والحاجيات الاخرى •

ان امثال هذه التدابير الصحية لن تخلو من فائدة وخاصة اذا ما اتخذت شكلا دوريا فى كل سنة من شأنها القيام بخدمة اجتماعية لمثل هذه العشائر تعويدها على اقتباس الصالح من منافع المدنية •

وستؤول الحالة حتما بعد ان يلمس البدوى فوائد هذه الخدمات الى انه هو نفسه سيطلبها بينما نراه يعزف فى الوقت الحاضر عن قبولها بدافع من جهله وبداوته ، وسيسعى حتما الى تبنى فكرة التوطن التى يكون قد رغب اليها بدافع نفسى خاص وحس اجتماعى عام •

أما شمولهم بالخدمات الاجتماعية ، فقد اصبح من الواجبات التي تقضي الظروف الحاضرة ان تعتبرها الحكومة جزءا من مسؤولياتها • فليس اليوم بين أفراد هذه العشائر من يخطيء فهم الخدمات الاجتماعية التي تسديها الحكومات كافة لافرادها ، والعشائر الرحل اكثر رغبة في أي قت مضى في ان تشملهم جل هذه الخدمات • ولا شك ان هذا المشروع سيمهد السبيل أمام تحضيرهم وتوطينهم خاصة اذا انصرفت تلك الخدمات الى تهيئة الاسباب التي تجعل كل فرد من اولئك الافراد عضوا حيا في جسم الامة ينال فرص النجاح في حياته على قدر استعداده للعمل وما يحظى به من توفيق ، فعلى فرض ان ينتشر التعليم بين هؤلاء السكان وتنظيم وسائل تثقيفهم فان ذلك ليس بكاف لان ينصهروا في بوتقة المدنية ما لم تسايرهم الخدمات الاجتماعية على نهج واضح من الاختصاص حتى يتهيأ لكل منهم من المعرفة ووسائل النجاح ما يتلاءم وكفاياته الخاصة ومواهبه الموروثة وبذلك تزال عن طريق توطينهم كثير من العقبات •

فالبدوي مجبول على نزعة روحية تحفزه الى بعض الاعمال التي يشعر بضرورتها في البادية لمسايرة طبيعة الحياة المتنقلة الامر الذي يجعل انتزاعه من البـــادية وتوطينه على شيء من الصعوبة ولن يتم الا بالتدرج بصورة يألف معها الحياة الهادئة المطمئنة ويأخذ قسطه من أسباب المدنية الصحيحة ويجدر في هذا الصدد ان تتولى الحكومة تخطيط قرى صغيرة بالقرب من منابع المياه أو الآبار الارتوازية على نمط يكفل لهذه العشائر الراحة والذوق والجمال واحداث مــراع اصطناعية في امثال هذه المحلات وبذلك يتسنى ان تقضي على عيشة

الترحل والبداوة ونجاح هذه الخطة المحكمة معناه ضم عنصر جديد الى السكان وبناء مجتمع تعتز به البلاد •

* * *

منذ عصور خلت كان عدد سكان هذه البلاد ثلاثين مليون نسمة وكان هذا العدد الضخم من البشر يعيش عيشة الرفاه على الموارد الطبيعية في ارض هذه البلاد • أما اليوم ففي العراق مساحات واسعة من الاراضي قاحلة صحراوية لعدم وجود من يعتني بها العناية اللازمة هذه الاراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات والتي تبلغ مساحتها آلافا من الافدنة يمكن ان تدر على البلاد ثروات طائلة باستعمال الوسائط الزراعية الحديثة • وفي كثير من جهات العراق أنهار يرجع عهدها الى العصور الغابرة كانت تسقي مئات الالوف من الدونمات •

وقد اظهرت الكشوف ان أكثرها يصلح لأن يتخذ أساسا لمشاريع ري جسيمة يكفي لاحياء عشرات الالوف من الاراضي الموات • وان قسما منها لا يحتاج في حالته الحاضرة غير اعمال فنية جزئية لا تتعدى في الغالب اعمال الاصلاح ليعود الى صلاحيته في الارواء •

وفي عدد من ألوية العراق تكثر العشائر الرحالة التي تعيش على رعي الاغنام والمواشي وهي في حالتها تعاني شظف العيش وشدة الفقر لان الرعي لا يؤمن لها حياة هادئة مطمئنة كما ان المراعي تتوقف على مياه الامطار ، ففي السنين القاحلة لا تنبت الاعشاب الكافية لرعي المواشي فيحل الجدب فيها وتموت أكثر مواشي البدو فهم لذلك مهددون بالفقر المدقع واحيانا بالمجاعات •

فلو فكرت الجهات المسؤولة في توزيع قسم من الاراضي التي

تحييها المشاريع الآنفة الذكر على العشائر الرحالة الذين نعتقد انهم مستعدون كل الاستعداد للاستيطان لكانت قد امنت وجود مراع كافية للمواشي وحقولا واسعة لحاجة البلد على أن تستهدف في توزيع هذه الاراضي اصلاح الوضع بين أفراد تلك القبائل واسكانهم فيها وتحسين أحوالهم وتنظيم معيشتهم بتعويدهم على مهنة الزراعة ليتخلصوا من حياة الترحل التي ظلوا خاضعين لها اجيالا طويلة • فاذا ما تحققت هذه الفكرة فلا شك انها ستنقذ حياة الآلاف من رجال البداوة من حالة الترحل وعدم الاستقرار الى عيشة التحضر التي تتميز بالطمأنينة وهدوء البال •

وسيأتي هذا الاصلاح الاساسي بثمرات بعيدة الاثر في رفع مستوى الايدي العاملة في الزراعة وبذلك ستحقق بسهولة فكرة انشاء القرى العصرية والمساكن الصحية ، وبدون ذلك لا يمكن التعليم ولا مكافحة الامية بين اولئك الافراد فضلا عن رفع مستواهم الادبي والسياسي وان توطين القبائل في الاراضي الحكومية وتخصيص مساحة منها لكل عائلة تزرعها بواسطة الري المنظم أو الآبار الارتوازية واسكان عدة عوائل في قرية عصرية حديثة تؤسسها الحكومة وما يستلزم ذلك من اصلاح النظام الاداري في البادية سيوقظ في النفوس غريزة حب الوطن واذا توصلنا الى هذه النتيجة فقد توصلنا الى اقرار النظام واستتباب الامن في تلك الربوع[1] •

ان عملية توطين وتحضير العشائر الرحالة واسكانهم وتحسين حالتهم انما هي عملية صعبة تحتاج الى تظافر الجهود وقيام اغلب مؤسسات الدولة بالمساهمة فيها وانها ليست من العمليات السهلة التي تقوم بها وزارة

(١) نشرت للمؤلف في جريدة الحرية • في ١٩٥٥/٦/١٤ •

من الوزارات أو مؤسسة واحدة من المؤسسات بامكانياتها المحدودة وميزانيتها القاصرة فهى فوق مستوى هذه الامكانيات ولو قامت تلك المؤسسة بصرف مجموع ميزانيتها لما خرجت من هذه العملية الا بنجاح ضئيل لا يتجاوز امكانية توطين بضعة افخاذ من عشيرة واحدة وحفر عشرة آبار ارتوازية وتأسيس بعض المؤسسات العامة بينما العدد يبلغ عشرات الالوف من أفراد العشائر فالامر اذن يتطلب توحيد وتنسيق هذه الجهود وتوزيع العمل على قسم كبير من مؤسسات الدولة ومرافقها ممن لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بهذا المشروع وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر :

من المهم ان تتعاون بعض وزارات الدولة فى النهوض بهذا الحمل الثقيل والمهمة الصعبة فوزارة الداخلية تقوم بواجباتها المفروضة عليها فى قانون ادارة الالوية وهى واجبات كثيرة ومتنوعة كتأسيس وحدات ادارية فى هذه البوادى على ان تهيء لها امكانيات العمل •

وتقوم وزارة الاعمار بانشاء عشرات الآبار الارتوازية اينما امكن انشاء هذه الآبار وتقوم وزارة الزراعة بانشاء مشاريع رى اذا ابدت جهات الفن امكان القيام بمثل هذه المشاريع كما تقوم بانشاء المراعى والغابات الاصطناعية وايفاد الموظفين المختصين والمرشدين الزراعيين الى مواطن الاستيطان •

كما تقوم وزارة الاشغال بفتح الطرق العامة الصالحة للسير فى أهم المناطق من هذه البوادى وتربطها بالمدن والقرى المتاخمة للبوادى وتقوم هذه الوزارة بتأسيس دوائر للبريد والبرق فى شتى منـــاطق الاستيطان تثبيتا للامن وتسهيلا لمصالح المستوطنين •

وتقوم وزارة الصحة بتعميم شتى الخدمات الصحية فى هذه المواطن •

دور رؤساء هذه العشائر فى عملية الاسكان

اذا كانت الحالة بين كثير من العشائر المتوطنة قد قللت من قيمة شيوخ هاتيك العشائر بنتيجة اختلاط افراد عشائرهم بسكان المدن وبنتيجة نوالهم شيئا من المعرفة فأن هذا الدور لم يمر بعد بالنسبة الى العشائر الرحالة • فهى فى جهل مطبق والامية تبلغ بين هذه العشائر ما نسبته مائة بالمائة اذ قلما تجد احدا من افراد هذه العشائر من يحسن القراءة والكتابة وليس عندهم الا الذكاء الفطرى والارتباط الصميمى بشيخ العشيرة وعليه فان اول واجب فى موضوع اسكان هذه العشائر يتحتم ان ينبثق من رؤساء هذه العشائر والذى اعرفه شخصيا ان لرؤساء عشائر شمر وعنزة عشرات بل مئات من العرائض التى يطلبون فيها تخصيص اراض لهم ولعشائرهم وعرائض اخرى حول حفر آبار ارتوازية فى مناطق سكناهم ولا بد انعشيرة الضفير لها مثلهذه التشبثات وعليه فان اول واجب يجب القيام به فى هذا المشروع هو ابداء كافة التسهيلات الى هذه العشائر والبذل بسخاء فى تنفيذ مطاليها اذا كانت تتضمن تأمين حقوق منتسبى عشائرهم وتبيان الفوائد التى تلحقهم وتلحق عشائرهم نتيجة قيام الدولة بتأمين بعض المشاريع لغاية اسكانهم ويجب فى بادىء الامر تأمين مصالح رؤساء هذه العشائر بالشكل الذى يؤمن مصالح افراد العشيرة فاذا خصص الى افراد العشيرة آبار فعلى الاقل يجب ان يخصص الى الشيخ واله وذويه واتباعه نصف هذا العدد ليشعر

بأن له امتيازا على افراد عشيرته • ويلي بعد ذلك تأييد نفس الحقوق والصلاحيات التي يتمتع بها الشيخ في الوقت الحاضر في مشاريع الاسكان وان لا يستهدف المشروع بادىء بدء اكثر من تأمين مياه الشرب في مناطق هذه العشائر مع المراعي الاصطناعية وبعض الخدمات التي يستفيد منها الشيخ وعشيرته وان ينص بعدم مساس هذه المشاريع بحقوق وصلاحيات هؤلاء الرؤساء •

اما اذا شعر رؤساء هذه العشائر بأن عملية الاسكان ستخفف من حدة سطوتهم وهيمنتهم على عشائرهم فان هذه العملية عدا انها ستبؤ بالفشل فأنه لا يستبعد ان يحدث رد فعل عنيف يؤثر على هذه العشائر فيجعلها تلتجيء الى مناطق خارج المملكة وفي ذلك ما فيه من اضرار كثيرة •••

ان في وزارة الداخلية مديرية عامة تحمل عنوان « مديرية العشائر العامة » بقسمها (شعبة الاسكان والاراضي) حددت وظائفها بموجب نظام وزارة الداخلية المرقم ٣٦ لسنة ١٩٥٣ بما يلي: (تقوم بجميع الاعمال المتعلقة بالتدقيق والبحث في اسكان العشائر وتوطينهم ورعي مواشيهم وايجاد المياه الصالحة للشرب وللزراعة بالوسائط المناسبة ومراقبة تنقلاتهم وتهيئة الوسائل لمكافحة ما ينتابهم من الامراض والنظر في وسائل تهذيبهم وايجاد الاحصاءات عن نفوسهم ومواشيهم واسلحتهم واحضار الخرائط والسجلات والاحصاءات اللازمة الاخرى) •

اذن فهناك نواة للقيام بمشروع اسكان العشائر تحتاج الى توسيع وتحتاج الى فعاليات كثيرة لتقوم بواجباتها على الوجه الاكمل •

وفي وزارة الداخلية من الاضابير ومن التقارير التي تخص العشائر

بصورة عامة والبدو بصورة خاصة مع الخرائط الشيء الكثير وفى الامكان الاستفادة من هذه الاضابير ومن التقارير لان ذلك يغنى عن الاشتغال مجددا • ففيها القديم وفيها الحديث كما ان مناطق تجوال العشائر الرحالة معروفة ومقررة بأوامر صادرة من نفس هذه الوزارة وعليها ان تطالب بتنفيذ ما اشتمل عليه النظام موضوع البحث وتظهر فعالياتها بشكل يجذب هذه العشائر الرحالة لقبول دعوتها •

ان قضية تحضير واسكان البدو المتجولين فى البوادى وحملهم على الاستقرار حول موارد المياه بعد الاكثار من حفر الآبار الارتوازية واحداث مراعى اصطناعية لهم تكفى لابلهم موضوع يحتاج الى معالجة واسعة لانه ليس من اليسير اقناع عشائر شمر وعنزة والضفير وفروعها الكثيرة المتجولة على الاستقرار وهم على وضعهم الحاضر وان كانت العلائم كلها تدل على ان هذه العشائر تميل الى الاستقرار والسكنى فى محلات ثابتة •)

مساهمة وزارة الشؤون الاجتماعية فى توطين العشائر الرحالة

لوزارة الشؤون الاجتماعية رسالة طويلة عريضة فى المساهمة بالاصلاح الاجتماعى وفى اسكان البدو عليها تحقيقها لرفع مستوى هذه الطبقة من الشعب من الوجهة الجسمية والنفسية والاجتماعية • ومعالجة النقص فى حياة المجتمع البدوى بكل وسيلة ممكنة •

ان هذه الوزارة هى أقرب الوزارات الى الشعب واوثقها اتصالا به ذلك انها كما يدل عليها اسمها وزارة شؤون الشعب • الشعب الذى لا ينبغى ان يسقط من الحساب فهو القوة الحقيقية للدولة •

ان اولى غايات الوزارة اعانة كل فرد من الشعب على رفع مستوى حياته ماديا وتحسين حاله صحيا وروحيا وخلقيا • فان الفرد خلية حية في جسم المجتمع في عطبها اعتلال الجسم كله •

ومهمتها اعداد الاذهان للتشبع بمبادىء الاصلاح الاجتماعي واستنهاض همم القادرين على التضافر في هذا السبيل •

هذه الوزارة لا يمكن ان تقوم بمفردها وبموظفيها وحدهم بكل العبء هنالك دعامة قوية من الدعائم التي ترتكز عليها دائما اعمال الاصلاح • هذه الدعامة القوية هي التطوع لبث حركة الاصلاح فيجب بث الدعوة في أوساط الشعب لايجاد المتطوعين للاصلاح • فالبلاد في حاجة الى تجنيد اكبر عدد من هؤلاء المتطوعين •

ويجب احداث فرع في هذه الوزارة بحيث يتخصص لمعالجة مشكلة العشائر الرحالة كحد ادنى لتحقيق الاصلاح •

واول ما يجب عمله بهذا الصدد هو الغاء مديرية شرطة البوادي• لان هذا الاحداث يتجافى مع طبيعة الاشياء وانه شذوذ لا مبرر له وليس له مثيل الا في الشعوب البدائية التي لم تتطبع بعد ولم تألف التقسيمات الادارية والعراق ليس منها اطلاقا لانه تمتع بهذه الادارة منذ صدر الاسلام حتى الان بالتنظيم الاداري الذي اناط ادارة الاقاليم بعمال وولاة في المناطق لا بمدراء الشرطة الذين يجب ان يقتصر عملهم على وظائفهم الاصلية وهذا لا يمنع اختيار الشرطة للوظائف الادارية وانما الاعتراض منصب على اناطة ادارة مناطق مهمة باسم شرطة البوادي وتخويلهم حق الحكم •

ويتصف مدراء شرطة البوادي في الوقت الحاضر بصفتين فهم

كمدراء شرطة مربوطون بمديريتهم العامة وهم بصفتهم موظفين اداريين مخولون بسلطة عشائرية غير محدودة ومسؤولون عن ادارة وحدة ادارية مربوطة بوزير الداخلية رأسا وهم بصفتهم رؤساء بلدية في مراكز عملهم مربوطون بمتصرفي الالوية (في الموصل والدليم والديوانية).

أقول يجب بادىء ذي بدء الغاء هذه التشكيلات واحداث ثلاث قائمقاميات مع عدد من النواحي في هذه البوادي وتعيين معاوني شرطة من الدرجة الاولى وممن لهم خبرة ودراية بشؤون العشائر في هذه البوادي وربطهم بأولئك القائممقامين مع عدد من الموظفين الذين لا يقلون عنهم خبرة ودراية في مثل هذه الشؤون لينصرفوا الى معالجة قضايا الامن في هذه البوادي وآنئذ تصبح التشكيلات الادارية في العراق موحدة في المملكة وكلما زيد في عدد النواحي بما يتبعها من تشكيلات في هذه البوادي كلما تضاءلت الشقة بين السكان ومكنا العشائر البدوية من أن تألف الحضارة ونزعنا عنها صفة البداوة ومكناها من الاستفادة من خدمات الدولة •

فأهل البادية عالم خاص منفرد فهم لا يشبهون أهل المدن في كثير من الاشياء فهم لا يشبهونهم في عاداتهم ولا في تقاليدهم الموروثة ولا في طراز حياتهم واسلوب معيشتهم فالبدوي الذي يسكن الصحارى المترامية الاطراف يتنقل من مكان الى مكان ولا يعرف من البيوت غير الخيم ومن الاكل الا ما هو خشن جاف ومن الدين الا اسسه الرئيسية• ان شخصا كهذا لا يمكن ان يهضم ما يتصف به المدني من رقة وترف وكماليات ولا يستطيع ان يستمرىء الترف الذي ينعم به المدني • فهو لهذا لا يشبه المدني في نوازعه وطباعه ودقائق نفسه ولا اكون مبالغا

اذا قلت ان ادارة هؤلاء البدو وتنظيم امورهم هى من أشق الامور واصعبها الامر الذى يجب معه ان تجند الحكومة نوعا من الموظفين ممن يعرفون حالة هؤلاء وطباعهم فتنيط ادارتهم ويجب ان تكون لهؤلاء مؤهلات كثيرة فى طليعتها الصراحة والاستقامة والصدق والنزاهة مع ثقافة بدوية ومعرفة لنفسيات البدو وفراسة مع حساسية فلكى نستطيع ان نسوس البدو وندير امورهم ينبغى علينا ان تكون لنا خبرة كافية بطباعهم وعاداتهم واحوال معيشتهم وان نلم بالاشياء التى تسرهم والامور التى تغضبهم لا ان نرسل لرعايتهم اشخاصا مجردين من هذه الصفات يسيئون الادارة ويعبثون بمقدرات البدوى دون ان يعلموا انهم يقومون بأخطر عمل انيط بهم والذى علمته شخصيا ان كثيرا من العشائر فى البوادى اضطرت فى النهاية الى الهرب والالتجاء الى ابن سعود وذلك لسوء المعاملة التى كانوا يجابهون بها من افراد الشرطة المناط بهم ادارة هؤلاء ممن لا يعرفون شيئا عن نفسيات البدو والطريقة الناجحة لادارة شؤونهم •

ان التأسيسات الادارية يجب ان تتأثر بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الخاصة بكل منطقة فعند احداث تأسيسات ادارية وربطها بوحدة ادارية معينة يلاحظ أول ما يلاحظ العلاقة الاقتصادية بين تلك الوحدة والمنطقة التى تتعامل معها فتربط بها واحيانا يلاحظ وضعها الاجتماعى وانسجامها بوحدة ادارية معينة فتربط بتلك الجهة واحيانا تؤسس الوحدات الادارية لاسباب عشائرية معينة كأن تقتضى المصلحة تأسيسات حكومية فى منطقة عشائرية لدرء اصطدام مسلح أو نحوه أو لمنع استفحال العداء بين العشائر المجاورة •

ان وجود مراكز الاقضية والنواحي في البادية يساعد كثيرا على نشر روح الاستقرار وحب التوطن بين افراد العشائر البدوية بينما نجد ان النظام المتبع الان وادارة شؤون هذه العشائر من قبل الشرطة بموجب القوانين التي ألفها البدو وساروا عليها مما يركز في نفوسهم مشاعرهم الاصلية نحو التوطن والاستقرار ويبقيهم على حالهم دون ان يصيبهم أي تغيير ما لم نغير من هذا النظام ونبدل طريقة ادارتهم لتتمشى مع أبسط متطلبات العصر الحديث في الحكم والادارة .

المراعى

عقد فى اميركا خلال آب ١٩٥٢ مؤتمر للمراعى اشتركت فيه (٤٩) دولة وحضره (١٧٠٠) عضو وقد مثل العراق فيه الاستاذ السيد درويش الحيدرى وقد أوضح بوقته ان المؤتمر درس المسائل التالية :

أولا ـ ان النقطة الاساسية التى بحثها المؤتمر هى السعى وراء حفظ كيان المراعى باعتبارها الغذاء الاساسى لتربية الحيوانات لانتاج ما يستهلكه الانسان كغذاء له وما يستفيد منه صناعيا •

ثانيا ـ كيفية الاستفادة اعظم الاستفادة من مجموع المراعى من حيث كمية مادة الرعى المنتجة ونوعيتها •

ثالثا ـ تحسين اسلوب المراعى وادارتها •

رابعا ـ مراعى المناطق الجافة الصحراوية •

وقال ان المادة الرابعة ادخلها فى منهاج المؤتمر ـ ولو ان العراق لم يقم بأى عمل فى هذا الباب ـ الا ان غايته كانت خلق حركة فى المناطق العالمية المشابهة للعراق وأسست مراكز لدرس الموضوع لا سيما المناطق الجافة فى العالم التى تؤلف ٣١ بالمائة من مساحة المراعى فى العالم •

خامسا ـ جميع ما يتعلق بالتغذية الحيوانية وهو أمر مرتبط بالمراعى ومنتجاتها •

وان الضرورة تقتضى وضع سياسة معينة للمراعى فى العراق بعد دراسة الخطط اللازمة للاصلاح ولهذا جلبت وزارة الزراعة اختصاصيا

أمريكيا بالمراعي وقد وصل بغداد وباشر بمهام اعماله والحق به موظفان عراقيان يعاونانه في مهمته •

ان في العراق خمس مناطق للمراعي وهي المناطق الجبلية وفيها مراع طبيعية والمتموجة مثل اربيل والموصل وقسم من كركوك والمائية ويمكن انشاء مراع اصطناعية فيها ومنطقة الاهوار وفيها مراع طبيعية يمكن الاستفادة منها استفادة كبيرة خصوصا لتربية الجاموس والمنطقة الصحراوية الواجب دراستها وتحسين وضعها لاجل توطين العشائر الرحل وعدم اضطرارهم الى التنقل سعيا وراء المراعي •

تنتشر المراعي في جميع القارات ولا يكاد يخلو منها قطـر من الاقطار وهي تنقسم الى عدة اقسام منها المراعي الجبلية ومراعي الغابات والمراعي الاصطناعية وسـيـنحصر هذا البحث في موضوع المراعي الصحراوية الجافة وشبه الصحراوية وذلك لوجود هذه المراعي بكثرة ولاهميتها الاقتصادية ولسعتها فان مساحة هذه الاراضي تكون ٣١٪ من مجموع الاراضي في العالم وينمو فيها ما لا يقل عن ستة آلاف نوع من النباتات المختلفة • أما المناطق شبه الصحراوية فقد خصتها الطبيعة بأن تكون اكثر ملاءمة للرعي منها للزراعة وذلك لملاءمة تربتها ولتفاوت سقوط الامطار فيها وعدم التأكد من نجاح المحاصيل الزراعية في المواسم الرديئة •

تنتشر نباتات المراعي في هذه المناطق بصورة واضحة وتختلف كثافتها ونوعيتها حسب درجات الحرارة وصلاحية التربة ومعدل سقوط الامطار سنويا ، ولكل من هذه العوامل تأثير مفرد وفعال في تكاثرها ونموها فقد تكون الامطار غزيرة في بقعة ما ولكن لا تجد أي نبت فيها

وعند التحرى تجد ان الأرض رملية أو درجة الحرارة شديدة لا ينمو فيها نبات وقد تجد الارض خصبة تحتفظ بالرطوبة لمدة طويلة فتجدها مزدهرة رغم قلة الامطار والاراضي شبه الصحراوية تكون معظم المراعي في العراق •

الاهمية الاقتصادية والاجتماعية للمراعي الطبيعية :

لا تنحصر الاهمية الاقتصادية للمراعي الطبيعية بتوفير الغـــذاء الحيواني كاللحم والحليب ومنتجاته والصوف والجلود فحسب بل لها فوائد اخرى لا تعد تحت حصر منها المحافظة على التربة من التعرية والتآكل اللتين تسببهما الرياح والامطار وتحافظ على خصوبة التربة وأما فوائدها الاجتماعية ، فهي تستوعب عددا كبيرا من مربي الماشية وتدر عليهم ارباحا لا بأس بها ومصدرا من مصادر معيشتهم وتساعد على تشغيل عدد كبير من الايدى العاملة في منتجات الحيوان وتبعا لذلك تزدهر البلاد ويعم الرخاء وقد ساعدت المراعي في تقدم حضارة الرومان واليونان والمصريين القدماء وبلاد بين النهرين[1] وقد يعزى انحطاط حضارة هؤلاء خصوصا في الحقل الزراعي الى تلف هذه المراعي نتيجة الرعي المتواصل الذى سبب تلف نباتات المراعي وبالاخير شحت مصادر الغذاء وساد القحط فكان عاملا فعالا باندثار حضارة القدماء •

دراسة نباتات المراعي في المناطق الصحراوية الجافة وشبه الصحراوية والبحوث العلمية في هذا المضمار

هناك بحوث علمية متشعبة لدراسة نباتات المراعي وقد اشتغلت

---

(١) واطس ـ ١٩٥١ •

فى هذا الحقل دول كثيرة نخص منها بالذكر امريكا وروسيا واستراليا وكندا ونيوزلندا وقد جاءت بحوثهم العلمية بنتائج ذات اهمية عظيمة نأخذ منها ما هو متفق عليه وذو اهمية عظيمة اما فى الولايات المتحدة الامريكية فتكون المراعى الطبيعية فى المناطق شبه الصحراوية معظم الجزء الغربى من البلاد وقد ساهمت الحكومة المركزية والحكومات المحلية فى الاعتناء بالمراعى وخصصت لها بحوثا علمية كثيرة يمكن حصرها بالنقاط التالية :

١ ـ القضاء على النباتات غير المرغوب فيها للرعى •

٢ ـ طريقة الرعى (وتشمل ادارة المراعى وصيانتها من التلف) •

٣ ـ طريقة اكثار نباتات المراعى •

وقد توصلوا الى نتائج علمية ورسم سياسة حكيمة لادارة المراعى وصيانتها نتيجة لابحاث علمية طويلة •

ومن المتفق عليه ان الرعى المتواصل (ويقصد به سنة بعد أخرى) يتلف النباتات ويقضى على نموها خصوصا النباتات الحولية التى تتكاثر بالبذور وتنتشر بواسطة الرياح والحيوانات فاذا رعتها الماشية فى أدوار تكوين بذورها سبب ذلك القضاء عليها كما أن الرعى المستمر والقريب من سطح التربة يحيل الارض الى صحراء قاحلة لا نبت فيها وفى كلورادو اثبتت التحريات ان الرعى ٤٠ ٪ من وزن النبات فى الموسم الواحد يساعد على قوة نموه كقاعدة لنباتات المراعى وهناك اعتقاد بأن حرق المراعى يزيد الانبات فى السنين التى تلى الحرق ولكن هذا الاعتقاد مغلوط من اساسه •

ففى اتحاد جنوب افريقيا قام العالم (تيرون ـ ١٩٥٠) ببحوث

علمية حول هذا الموضوع وقد دلت تحرياته على ان الحرق كل سنتين أو ثلاث سنوات في موسم الشتاء يأتي بنتائج جيدة لانه يزيد من خصوبة الارض ويتلف الحشرات في مشتاها ٠

طريقة اكثار نباتات المراعي أو بذر المراعي ثانية

ان هذه الطريقة قد تكون غير عملية وفاشلة ما لم تستوف كافة الشروط وتدرس من ناحية علمية واقتصادية ٠

وعند البدء بهذه العملية يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار النقاط التالية:

اولا ـ يجب استعمال انواع النباتات الملائمة للبيئة والمناخ ٠

ثانيا ـ يجب ان تزرع وتحصد في عمليات زراعية غير معقدة واقتصادية بنفس الوقت ٠

ثالثا ـ انتخاب المناطق الخصبة من المرعى لتكاثرها ٠

رابعا ـ القضاء على النباتات التي تزاحم النبات المراد تكثيره ٠

خامسا ـ يجب ان تستعمل تقاوي جيدة وملاحظة البذور أو الشتلات في الدونم الواحد مع ملاحظة العمق الذي تزرع عليه هذه البذور ٠

سادسا ـ يجب ان تزرع البذور عندما تكون الارض رطبة والحرارة ملائمة للانبات ٠

سابعا ـ يجب حماية الشتلات الصغيرة من التلف والرعي حتى تشتد جذورها ٠

ثامنا ـ يجب المحافظة عليها من الرعي المتواصل ومحافظتها من تلف الحشرات والقوارض ٠

وقد تحتاج عملية اكثار بعض النباتات عمليات زراعية اكثر تعقدا من زراعة البذور وهى ان تزرع البذور فى مشتل ثم تنقل الى الارض المستديمة فالحالة هذه تحتاج الى دراسة علمية قبل البدء بالعمل على نطاق واسع •

وهناك عوامل طبيعية تسبب تلف المراعى وهى قلة الامطار المتساقطة وسنين الجدب المتتالية والرعى المتواصل والقريب من سطح التربة • والحيوانات تفضل النباتات الشهية الغضة فاذا ما قطعت بتكرار فقد يسبب ذلك تلفها فى المستقبل ويتوقف ذلك على تركيب النبات فالنباتات ذات المجموعة الجذرية المتشعبة اكثر مقاومة للرعى المتواصل من النباتات ذات الجذور الضعيفة وقابليتها لمزاحمة غيرها من النباتات اكثر •

القضاء على النباتات غير المرغوب فيها فى المراعى الطبيعية

وتشمل هذه النباتات الشجرات الخشبية والنباتات التى ليست لها فائدة اقتصادية والتى لا تأكلها الحيوانات والاعشاب الضارة وتتبع فى مقاومتها الطرق الميكانيكية كالحرق والحراثة أو القلع وكذلك فى استعمال المواد الكيمياوية فكثير من هذه النباتات يسبب تلف المراعى لتكاثرها السريع وصعوبة القضاء عليها وهى تزاحم النباتات فى الغذاء والماء ومعظمها ذو جذور عميقة لها قدرة فائقة لمزاحمة النباتات الاخرى ولضرورة القضاء عليها يجب معرفة ما يلى :

اولا ـ معرفة تركيبها الفسيولوجى •

ثانيا ـ دراسة طريقة تكاثرها •

ثالثا ـ معرفة طريقة ابادتها •

ادارة المراعي وطريقة المحافظة عليها

تتطلب ادارة المــــراعى وطريقة صيانتها ادارة حكيمة مبنية على دراسات علمية ثابتة فيجب ملاحظة النقاط التالية لضمان ادارة سليمة لمحافظة المراعى وهى :

اولا ـ معرفة النباتات السائدة فى المنطقة ودراستها دراسة مستوفية من الناحية التالية :ـ

١ ـ تركيبها الفسيولوجى •

٢ ـ طريقة تكاثرها •

٣ ـ اهميتها الغذائية •

٤ ـ دراسة الحشرات والامراض النباتية والطفيليات الاخرى التى تسبب تلفا لها •

٥ ـ ظروف تكاثرها من حيث حاجتها الى الماء ومقاومتها الى الجفاف والرعى المتواصل •

ثانيا ـ دراسة تربة المراعى دراسة مستوفية وعلاقة التربة بالنبات•

وعند الحصول على المعلومات الكافية يمكن رسم خطة ثابتة لصيانة المراعى ومن اهم طرق المحافظة على المراعى هى اتباع دورات معينة للرعى وغلق المرعى فى مواسم معينة كى يزدهر النبات ، وفى المراعى الضعيفة يمكن زراعتها ثانيا اذا ثبت نجاح هذه الطــــريقة فقد اثبت تيرنيوزكن (١٩٣٤) احد علماء الروس من المشتغلين فى المراعى ان حرق نبات (سيجبرش) فى المراعى التى تحتوى على نبات آخر يزيد نمو النباتات ولعل ذلك يعود الى مزاحمة هذا النوع من الحشيش لنمو النباتات الاخرى • كما اثبت ان النباتات ذات الريزومات تقاوم الحرق

اكثر من النباتات الاخرى هذا علاوة على قدرتها على مزاحمة الانواع الاخرى على الغذاء والماء وتحملها الجفاف وقد اثبت (نيكيتينا ــ ١٩٤٠) ما يلي :

اولا ــ ان الرعي المتناوب (ويقصد به الرعي على فترات أو بشكل دورات يترك المرعى خلال مدة مناسبة بدون رعي) فان ذلك يزيد كمية الكاربوهدرات المخزونة في النبات •

ثانيا ــ يؤثر الرعي المتناوب على تحسن الحالة الجذرية والبراعم وكمية المواد الغذائية المخزونة في النبات •

ثالثا ــ ان البروتين المخزون يبدأ بالنقص بصورة اقل من المواد النشوية وقد دلت تجارب العالم نفسه على ان قطع النباتات المعمرة بصورة متعاقبة يقلل نموها ومقاومتها للعطش •

أما عملية ازالة الشجيرات من المراعي فقد جاءت بنتيجة جيدة حيث ازدادت قدرة المراعي الانتاجية وتحسنت فرعية النباتات (ستيلس ــ ١٩٤٥) •

ويمكن القول ان ادارة المراعي تتطلب دراسات مستوفية فقد برهنت كية يوتا الزراعية ان الادارة الحكيمة تزيد دخل الرأس الواحد من الاغنام من دولار الى دولار ونصف ولكل ظروف ادارة خاصة وبرنامج معين[١] •

---

(١) من محاضرة للاستاذ درويش الحيدري •

الرعى عند البدو

١ ـ الجمل :

جمال المناطق الشمالية من الصحراء اكبر حجما وعظاما من جمال المناطق الجنوبية وهذا راجع لاحوال المناخ اكثر منه للطعام • ولكن احسن انواعها تأتى من الجنوب الشرقى لجزيرة العرب أى من عمان وما جاورها • وتدعى بالجمال العمانية • واحسن النياق ، وغالبا ما تستعمل الناقة للركوب ، تدعى بالبطينية •

وللضفير وعنزه فخر بقطعانهما البيضاء أما عتية فجمالها سوداء بينما تفضل العوازيم والمطير الجمال الحمراء • وقد يفخر المطير ايضا بالشروف ويفضل المرة وقحطان الجمال السوداء كعتية • وبصورة عامة فان الجمال البيضاء والفاتحة تأتى من الشمال والسوداء والغامضة تأتى من الجنوب •

وتعتبر جمال الحسا من أحسن الجمال نظرا لكثرة العرفج هناك لانه طعام ممتاز للجمال •

وللجمال البطينية والعمانية رؤوس صغيرة وجبهة عريضة وخياشيم صغيرة واذان طويلة نوعا وعيون واسعة وهى جمال لطيفة ومدركة نوعا• اما أرجلها فهى نحيفة وتشبه حركاتها حركات الغزال •

وتسافر الجمال العمانية ١٤ ميلا فى الساعة عندما تكون محملة تماما • ومن اهم مميزات الجمال البطينية بقاء قوتها رغم الجهد وتحملها

الطويل • ويقص الشيخ نايف بن حميد وهو من قبيلة عتيبة انه حينما فر من سجن ابن السعود في الرياض سنة ١٩٢٥ وصل الناصرية في العراق في ثمانية أيام وكانت المسافة ٨٠٠ ميل • وتدعى قطعان الجمال بالابل أو الدبش وتدعى بالمواشي كما يدعى الذكر بالجمل أو الفحل •

ولا تقتصر الجمال على السفر وحمل الاثقال وانما يحتفظ البدوي بها كما يحتفظ بغنمه فمنها لبنه ومنها لحمه • ومعظم القطعان التي ترى في الصحراء بلا اثقال هي اناث أما الجمال فتحمل الخيم والاشياء الاخرى • وفي الشتاء يحتفظ بالجمال قرب الخيم لحمايتها من البرد خاصة في كانون الاول وكانون الثاني • أما في الصيف أي عندمايقل العشب وينتهي وقت التزاوج فيسمح للجمال بالرعي مع النياق •

أما في وقت التزاوج فان فحلا واحدا يترك لكل مائة ناقة • وعند الولادة تجتمع النساء والاطفال للمراقبة والمساعدة •

والجمال الاصيلة عند البدو هي : العمانية والحـرة والبطينية والارضية • ويدعى القطيع الابيض من الجمال بالمغاذير أما النياق البيضاء فتدعى بالوذة •

واليك أسماء أخرى للجمال :

الجيش وهي الجمال التي يركبها المحاربون •

الرحلة وهي الجمال التي تنقل الاثقال وتدعى ايضا بال (مسايلة)•

الملحة الجمل الاسود •

المجيحم القطيع من الجمال السوداء • (وتدعى بالشروف ايضا)•

الشعالة الجمل الاسمر • (الشعال : للقطيع) الصفراء •

الراية وهي القطيع (وكل قطيع يحوى ٧٠ جملا) •

الخلفة وهى النياق التى تستعمل لحليبها •
الناقة وهى انثى الجمل التى ولدت •
الحران الجمل الصغير بصورة عامة •
الكعود الجمل الصغير (للمذكر)
البكارة الناقة الصغيرة •
الجمل الجمل الصغير القادر على حمل الاثقال •
الناقة البجير : الناقة البكر •
الذلول : الناقة المستعملة للركوب •
الحوار : الجمل منذ ولادته حتى يبلغ عاما من العمر •
المفرود : من السنة الثانية حتى يفطم •
حادج ولد خلفه : الناقة عمرها ثلاث سنوات تمتطى لاول مرة •
اللدجى : عمرها اربع سنوات •
الجداعار : عمرها خمس سنوات •
الجنية أو ارعبة : عمرها ست سنوات •
السدس : عمرها سبع سنوات •
الناقة : عمرها ثمان سنوات (عندما يسمح لها بالتزاوج) •
الحرش : الذكر وعمره اكثر من ٢٠ سنة •
الفاطى : الناقة وعمرها اكثر من ٢٠ سنة •
أما مدة الحمل لدى النياق فهى سنة •
عندما يكون العشب وافرا فى الشتاء لا تسقى الجمال أبدا وعندما تشتد الحرارة فانها تسقى كل سبعة أو ثمانية ايام• وعندما يزيد الصيف

حرارة تقلل هذه الفترة حتى يكون الحر على اشده فانها تسقى كل يومين اذا امكن •

وتتبع الاغنام نفس النظام ولكنها لا تحتمل البقاء دون مـاء فى الشتاء اكثر من أربعة ايام •

ويدعى الاستقاء من الآبار « بالورد » حيث يرفع الماء بحبال تربط اليها اوعية جلدية • ثم يصب فى حوض أو فى اناء جلدى تحمله قطع من الخشب •

ولحفظ الجمال فى احسن حالة تؤخذ كل عشرة أيام الى مناطق الحماد (حيث تنبت الاعشاب الملحية) فاذا لم يتيسر الحماد فيجب ان يعطى الجمل ملحا باطعامه اياه باليد •

وعندما يراد اخذ الجمال للاستقاء فان احد البدو يركب ناقة ويدعو بصوت عال فتميز الجمال الصوت وتتبعه كلها ويتلخص صياحه فى كلمتين (يدوه ، يوهوه) •

والجمل حيوان لطيف ولهذا فهو يحتاج الى عناية بالغة • فاذا كان الطعام مناسبا والملح متوفرا فان سنامه يسمن ويكبر والعكس بالعكس • وعندما يبرد الطقس فان الجمل ذا السنام الكبير يترك بلا حماية فى الليل أما اذا كان ضعيفا أو انها ناقة ولديها صغير فان (جلالا) يوضع عليها لحمايتها • وتجلب الجمال كلها الى الخيم عندما تشتد الريح فى الشتاء • ولكنها تتجول فى الصيف خلال الليل وتأكل العشب بحرية •

ويجمع البدو (الجلة) ويجففونها ويستعملونها كوقود وتستعمل النساء بول الجمال لتقوية الشعر فى رؤوسهن •

وللجمل طبيعة ممتازة فى الحنين الى اصحابه وكم من مرة فرت

بها الجمال وقطعت المسافات الطوال لتلتحق باهلها وفى هذه الحالة يعطى الجمل الماء والطعام فيهدأ •

وعندما يستعد الجمل لمسيرة طويلة فانه يعطى التمر مع اللبن بدلا من العشب •

ويؤكل لحم الجمل خاصة في شهرى تشرين الثانى وكانون الاول عندما تكون الاغنام ضعيفة لقلة العشب • ولحم الجمال يشبه لحم البقر الكبيرة بالسن • وهو يعتبر جيدا للانسان فى الشتاء • وتذبح الجمال فى الغالب أيام الاعياد والمناسبات • وسنامها اكثر ملائمة للأكل من بقية لحمها • أما حليبها فهو غذاء البدو الدائم ولكنه لا يحمل دسما ولذلك فلا يمكن استخراج الزبد منه •

ومن امراض الجمال الجرب وهو يشبه الجدرى وهو ينتشر فى القطعان بسرعة ويداوى بنزع الشعر ودهن الجلد بالسمن وكبريتات النحاس • ثم يغسل فى البحر فاذا لم يكن قريبا فبالماء المالح •

ومن امراضها (الغشر) وسببه حشرة السرة التى تكثر فى ضفاف الفرات وجنوب الحمار • وقد جاءت من ايران والهند ، وعندما تلسعه الحشرة يصيبه النعاس والحمى ويرفض ان يأكل ويلتفت دائما الى الشمس • ويموت خلال ٤٠ يوما • وقد يشفى فى حالات نادرة • ولهذا فلن يأخذ البدو جمالهم الى جنوب العراق والانهار فى الصيف مخافة هذا المرض • وقد خسرت القوات البريطانية آلافا من الجمال عندما جاءت فى حملتها الاولى الى العراق •

والمنحوس مرض من امراض الرئتين يصيب الجمال عندما تأكل بعض الاعشاب فى الاهوار • وهو مرض معد وعندما يغمى على الجمل

من شدة العطش وحين لا يتوفر الماء الكافى لسقيه عن طريق الفم فان قليلا من الماء يوضع فى انفه مما يبقيه يوما آخر •

ولكل قبيلة وشم خاص بجمالها وآبارها •

فيضع آل السعدون فى المنتفك (حلقة دائرية) على خد الحيوان الايسر أما الضفير (عشيرة ابن السويط فقط) فتضع خطا عموديا فى رأسه الاعلى زؤادة مائلة الى اليمين بعكس رقم (١) بالانكليزية ومكان العلامة فى مؤخرة الحيوان اليمنى •

٢ - الغنم والماعز :

أما الغنم فمن اسمائها عندهم : النعجة ، الخروف أو الفحل • والرعاية وتطلق على القطيع والبهم وتطلق على صغار الغنم •

واما صفاتها فمنها النجدية ويميزها صوف طويل وهى غالبا ما تكون سوداء بوجه ابيض • والحكرية وهى الغنم العراقية وهى بيضاء أو سمراء • والعربية وهى غنم الكويت والحسا والمطير والعوازيم ولونها أسود • والنعيمية وهى غنم عنزة • والحبشية وهى غنم عشيرة قحطان وهى صغيرة وصوفها خشن قصير •

وأما وقت تزاوج الاغنام فهو الربيع ومدة الحمل خمسة أشهر يربى بعدها الحمل خلال اشهر تشرين الاول وتشرين الثانى وكانون الاول وكانون الثانى وشباط » ثم يتم جز الاصواف فى آذار ونيسان

وتحفظ الذكور دائما مع الاناث ولمنعهم من التزاوج فى غير الموعد الصحيح توضع قطع من القماش لتستر بها الاناث •

ومن امراضها الطحال وابو حجيرة والجدرى •

وتساق الغنم فى الليل قريبا من الخيم لضمان الدفء والحماية من الذئاب وهذا ضرورى فى الشتاء حيث تكثر الذئاب فى الصحراء • وتتجول الكلاب حولها لحمايتها منها أو توضع الجمال على شكل دائرة حولها • أو تشعل النار فتهرب الذئاب • ولكن الذئاب الشجاعة الجائعة تزحف بين الجمال وتقبض على الغنم من رقابها وتهرب بها بينما تقوم جماعة أخرى من الذئاب بالهاء الكلاب فى مكان آخر •

ومن حليب الغنم يصنع البدو الروبة واللبن • ومن اغرب عادات البدو الخاصة بالغنم هى معرفتهم لاغنامهم حيث يعطى الراعى اسما لكل نعجة من نعاجه • وكل نعجة تعرف باسمها وتستجيب لمن يناديها به •

ومن اسماء الغنم حسب صفاتها :

الحمرة : وهى الحمراء

السوايد : وهى الصغيرة السوداء

الحدايد : ذات الصوف الطويل

الشهايد : ذات الأكتاف البيضاء

السكايح : تلك التى لها طرة بيضاء فى وجهها •

الكحايل : ذات الصوف الأسود الناعم

الوداعة : الصغيرة •

الارثايم : ذات الانف الابيض

الحجلة : ذات الارجل البيضاء

الدحريجة : ذات الارجل القصيرة الغليظة •

السويداء : السوداء

واذا كانت الشاة سمينة واكلت كثيرا فانها سرعان ما تتعب عندما

تشتد حرارة الشمس فى نهار الصيف ولهذا فهى تتجمع وتخفض رؤوسها نحو الظل المتكون • فاذا خافت من صوت سيارة أو خيال فانها تهرع الى راعيها طلبا للحماية •

وهى لا تشرب الماء الا قليلا فى الشتاء لان العشب يعطيها الرطوبة الكافية • أما فى آذار فتشرب كل يومين ولكنها تشرب يوميا فى الصيف•

أما العنز فمن اسمائها الصخلة وجمعها صخول وهى تسمية عامة والتيس وهو الذكر والعنز وهى الانثى والماعز هو القطيع الكامل النمو والصخو وهى اطفالها •

ومن انواعها لديهم :

البربرية : وهى صغيرة بيضاء أو بيضاء وسوداء أو سوداء قصيرة الشعر طويلة الاذنين وتعطى حليبا ممتازا •

والاعارضية : وهى طويلة الشعر سوداء دائما مع علامات بيضاء احيانا وهى طويلة الاذن ايضا •

والشطرة : وهى ذات اذان قصيرة •

ومن امراضها ابو رماح ويخص الرئة والجره •

ويحتفظ البدوى بالماعز لحليبها ولشعرها وهو يفضل الغنم الا ان الاسر الغنية تحاول ان تحتفظ بعدد من الماعز ليكون لها منها شعر لصنع الخيام • ومن اسماء الماعز لدى البدو :

الدواية : ولا معنى لهذا الاسم •

والشعايل : وهى الصفراء

والرقطة : وهى المنقطة

والخايم : ذات الرأس الابيض

والدغايم : ذات الرأس الاسود
والطويل : وهى الطويلة
والدگاگه : وهى النحيفة
والحسنة : ذات الذيل الابيض
والبحة : ذات الصوت الناعم
والصياحة : ويدل عليها اسمها
والدباسة : وهى الرمادية
والحرايش : ذات الشعر الخشن
والحسا : ذات الشعر القصير

مع حلقات الدراسات الاجتماعية

يرجع تاريخ عقد هذه الحلقات الى عام ١٩٤٩ عندما استجابت الدول العربية الى توصية اتخذها المجلس الاجتماعي والاقتصادى للامم المتحدة فى ضرورة عقد حلقات دورية للدراسات الاجتماعية فى عواصم الدول العربية لدراسة مشاكلها الاجتماعية .

وقد دعت الجمهورية اللبنانية الى عقد الحلقة الاولى فى بيروت عام ١٩٤٩ واجتمعت وفود الدول العربية فى هذه الحلقة للتدارس فى مشاكلها الاجتماعية ولم يكن هناك موضوع محدد بالذات فتناولت الحلقة دراسات مختلفة أهمها العناية بانشاء وزارات للشؤون الاجتماعية أو مديريات اذا تعذر ذلك وانشاء المراكز الاجتماعية والعناية باعداد الاخصائيين الاجتماعيين .

وانتهت هذه الحلقة الى طبع تلك الدراسات فى كتاب اصدرته الحكومة المصرية وزع على الدول الاعضاء . وعقدت الحلقة الثانية بدعوة من الحكومة المصرية فى عام ١٩٥٠ وكان موضوع الحلقة (الريف والرعاية الاجتماعية) ولما حان موعد الحلقة الثالثة فى عام ١٩٥٢ دعت حكومة الجمهورية السورية الى عقدها فى دمشق . وقد وضعت لجنة الشؤون الاجتماعية السورية قائمة باسئلة وجهت الى الدول العربية للاجابة عنها واجتمعت لجنة من الخبراء قبل عقد الحلقة وتناولت ردود الدول العربية على تلك الأسئلة ودرست التقارير التى

وضعها الاخصائيون عن الموضوع وهو وسائل تنظيم التكافل الاجتماعى فى الدول العربية وانتهت تلك اللجنة الى وضع مشروع توصيات محددة بالذات عرضت على الحلقة عند اجتماعها فتناولتها بالبحث والتصفية وانتهت بتوصيات ووفق عليها بالاجماع من قبل وفود الدول العربية كما قررت الحلقة ان تقوم الامانة العامة لجامعة الدول العربية بصياغة تلك التوصيات بشكل ميثاق اجتماعى على نمط المعاهدة الثقافية المعقودة بين الدول العربية فيقره مجلس الجامعة ويصبح واجب التنفيذ • أما الحلقة الرابعة التى عقدت فى بغداد فى مارت ١٩٥٤ فكان موضوعها هو الرعاية الاجتماعية فى اتصالها بالتنمية الزراعية والصناعية فى البلاد العربية ، وعنى فى لجان الحلقة بالدراسات الآتية على الخصوص :

١ – شؤون البدو والعشائر ووسائل اسكانهم وتوطينهم ورعايتهم الاجتماعية •

٢ – تصنيع الريف والرعاية الاجتماعية للمزارعين •

ولقد القى وصفى زكريا (من سوريا) محاضرة بالعربية فى الحلقة الاولى عن الخدمات الاجتماعية والعشائر البدوية[1] وعقب عليها الاستاذ شاكر العانى[2] ثم ألقى الدكتور كوتريل بحثا عن الحالة الاجتماعية بين البدو والمجموعات المنعزلة[3] عقبت عليه السيدة زاهية مرزوق[4] • ولقد كانت محاضرة الدكتور كوتريل غريبة فى بابها

---

(١) راجع الكتاب الذى أصدرته وزارة الشؤون الاجتماعية فى مصر عن محاضرات وبحوث وتقارير هذه الحلقة (ص ٨٦) وما بعدها •

(٢) ص (٩٤) من المصدر السابق •

(٣) ص (٩٧) من المصدر السابق •

(٤) ص (١١٢) من المصدر السابق •

فقد اعتبر تلك ال (١٠ ٪) من مجموع اللاجئين التى تسكن مخيما في ضواحي احدى قرى المملكة الاردنية الهاشمية سببا كافيا ليعتبر دراسته هذه خاصة بالبدو بينمـــا لم يكونوا فى الحقيقة الا فــلاحين فلسطينيين عرفوا الاستقرار يوما وهم يحنون اليه دائما ٠

على ان حلقة الدراسات الاجتماعية الاولى حاولت بصورة عامة بحث قضية البدو كمشكلة اجتماعية وهى وان تناولتها بصورة سطحية الا ان ذلك كان محاولة أولى ٠ محاولة لحل مشكلة البدو وكان فيها ايضا ما فيها من تقارير طيبة تبشر بأن الواعين فى البلدان العربية أدركوا ان البدو فى وضعهم الحاضر يؤلفون مشكلة من أهم مشاكلنا ان لم تكن من أولى متطلبات الانسانية وكذلك الحال فى حلقة الدراسة الثانية والثالثة فقد قدمت بحوث تمس حياة البدو بعض الشيء ٠

وعندما انعقدت الحلقة الرابعة فى بغداد أخذت بدرس الموضوع دراسة عامة شاملة آخذة بنظر الاعتبار نظرية التعميم على اعتبار انها يجب ان تعنى بأحوال شعوب الدول العربية كافة ٠

ولم يكن ذلك مثمرا على كل حال لاختلاف الظروف الاجتماعية والبيئية لقبائل العرب من قطر الى آخر من الاقطار العربية ٠ واختلاف درجة امكانيات توطين القبائل والعشائر فى الزراعة أو استخدامهم فى الصناعة لاختلاف ظروف كل دولة ٠ وكان منها ايضا عدم توفـــر الاحصائيات اللازمة والمناسبة لاجراء البحث التحليلي للنفوذ الى جوهر المشكلة بدلا من المرور عليها مرورا سطحيا ٠

ان كثيرا من الدراسات والبحوث التى قدمت فى هذه الحلقات اعترفت بان ظروف هؤلاء العرب الرحل فى صحارى دول الشرق

الاوسط سيئة للغاية •

ومن ذلك يتضح لنا ان المشكلة لا يمكن ان تحل اذا ما اودعت الى الجامعة العربية وألقت الدول العربية عليها المسؤولية وتركت الامر لاختصاصيين قد لا يعرفون شيئا عن احوال هذه العشائر التى يسعون لتوطينها •

بل انه لعمل من صميم اختصاصات الدولة نفسها • عمل يجب ان تقام من أجله مؤسسة كاملة يحشد فيها الخبراء والموظفون وتعطى لها الصلاحيات اللازمة ، عمل تشترك فى سبيل انجاحه مالية الدولة وعقول رجالها وقلوبهم المخلصة لانه والحق يقال عمل ضخم جبار • على ان هذه البادرة من حلقة الدراسات الاجتماعية قد لا تخلو من فائدة فانها وضعت أمام انظار المسؤولين هذه التقارير التى خرجت بها من دراساتها وفتحت الباب أمام العاملين وصورت المشكلة تصويرا وان كان معتما غير كاف الا انه استطاع ان يبرز من المشكلة بعض جوانبها ويظهر عظم المسؤولية الملقاة على عاتق كل دولة من الدول العربية تجاه من يؤلفون اجزاء لا يستهان بها من شعوبها •

اننى ادرك تمام الادراك تلك العقبات التى نهضت فى طريق اولئك الخبراء الذين جاءوا بقلوب مخلصة لبحث مشكلة هؤلاء البدو الرحل ولكننى ما زلت اعتقد ان مجرد البحث العام فى هذا الأمر بهذه الجسامة وعلى هذه الصورة يكاد لا يعنى الا كلمة عابرة تذهب فيها الجهود سدى وتضيع فيها المشقة هباء •

أما تقرير لجنة الصياغة فقد بدأ بتأكيده على لزوم توطين البدو واعتبار ذلك أمرا ضروريا ثم انتقل مباشرة الى التأكيد على ضرورة

منحهم اراضي زراعية ، وهنا ابتعد هذا التقرير ايضا عن واقع الحال ففرض مقدما توفر الاراضي الزراعية اللازمة في الوقت الذي ما تزال فيه الصحراء تصعر خدها للانسان متحدية اياه كما ان محاولة توطين البدو في غير محلاتهم ، على فرض ان التقرير رمز الى ذلك ، أمر صعب التنفيذ •

ان الاستفادة من كل هذه التقارير تكاد تكون محدودة ما لم تعتبر أساسا لدراسات تفصيلية أخرى يقوم بها اختصاصيون اكفاء تتمثل فيهم الصفة العملية في معالجة الامور على شريطة ان يذهبوا الى مناطق المشكلة ليلمسوا امكانية تحقيق أية خطة يضعونها وحقيقة كل دراسة تتمخض عنها لجانهم •

ولهذا ولان هذا الكتاب يخص ثلاث قبائل بدوية رحالة فانني جعلت الحلول المقترحة والخطط التي ابديتها في شتى أجزاء الكتاب متلائمة مع احوال هذه القبائل معالجا مشكلة كل عشيرة بما يتفق والوضع السائد لديها وبالشكل المستساغ جهد الامكان •

ولا يخفى على القارىء ان التفاصيل الدقيقة معدومة في الواقع واننا لا نملك الاحصائيات الضرورية اللازمة كما ان اتساع المشكلة وتشعبها ووجود طابع خاص يميز كل عشيرة عن غيرها نظرا للتقاليد المتبعة فيها والظروف المحيطة بها والامكانيات المؤاتية بالنسبة لكل منها، كل ذلك يعتبر من العراقيل التي تؤخر الباحث أو تعيقه عن الاخذ بكل دقائق بحثه دون صعوبة •

على ان محاولة تقسيم الموضوع وفقا للبيئات وملاحظة ظروف كل عشيرة سيؤدي الى فائدة عظمى تلك هي تحطيم الصعوبة العظمى

الى صعوبات يمكن التغلب عليها بسهولة بدلا من الوقوف أمام المشكلة وهى على اتساعها ورؤيتها بمنظار المستحيلات • حينذاك سنجد اننا نستطيع اختصار كثير من الجهد عند محاولة التطبيق اذا ما واجهنا موظفى تلك المناطق المحليين بمجموعات صغيرة من اولئك البدو تسهل معهم التدابير الواجب اتخاذها عند محاولة توطينهم وتحضيرهم ونشر روح الثقافة والتقدم بينهم •

قرارات مؤتمر الخريجين :

أما مؤتمر الخريجين الدائم لقضايا الوطن العربى المنعقد فى القدس فى ايلول ١٩٥٥ فقد تضمن الفقرة (د و هـ) من تقرير لجنته السابعة المقترحات التالية التى ان دلت على شىء فانما تدل على ان مشكلة البدو قد بلغت مرحلة لا تدعو الى الرثاء فحسب بل تهيب بكل مواطن يؤمن بالديمقراطية والمدنية أن يساهم فى توطين هذه الفئة وتحضيرها والاخذ بيدها فى طريق الاصلاح •

(د) الضمان الاجتماعى والصحى (للحضر والريف والبدو) :

١ ـ توصى اللجنة بتعميم النظام الاجتماعى حتى يشمل كل مواطن عربى غير قادر على التكسب ولا مورد له •

٢ ـ تعميم الخدمات الطبية فى المجتمع العربى حتى يجد ذوو الدخل المحدود فرصة للعلاج •

(هـ) شؤون البدو :

الاهتمام باحوال البدو والعمل على استقرارهم وتحضيرهم تدريجيا مع ايصال الخدمات الاجتماعية اليهم •

قضايا الجمل

ان حقوق الفرد فى جمله محفوظة ومقدسة ولعلها تراعى اكثر من قضايا القتل نفسها • وقد تختلف قبيلة عن الاخرى بعض الاختلاف اليسير فى العادات ولكن بصورة عامة فان القوانين التالية تكاد تكون عامة بين جميع البدو فيما يخص الجمل :

١ ـ الجمال الضالة الى القبائل الصديقة :

أ ـ اذا ضل جمل أو أكثر من قطيع قبيلة ووجد مع قبيلة صديقة فان مالكيه يعلمون شيخ تلك القبيلة بالامر ويكتفون بطلبه فقط •

ب ـ فاذا لم يستطع اصحابه الحصول عليه فان لهم حق تحين الفرصة للحصول على أحد جمال تلك القبيلة أو القبض على أحد رجالها أو نهب شيء من متاعها لابقاءه كرهينة حتى يسترد الجمل أو الجمال المفقودة •

ج ـ فاذا ظلت تلك القبيلة مصرة على رأيها فى الاحتفاظ بالجمل المغتصب (أعاصٍ) فلاصحاب الجمل الاحتفاظ بما اخذوا وعليهم الاكتفاء بذلك فقط ويجب ان لا يزيد ما أخذوا ولا ينقص عن ثمن الشيء المغتصب •

٢ ـ الجمال الضالة الى القبائل المعادية :

ينتظر صاحب الجمل فرصته وله الحق فى القبض على جمال العدو

بالقدر الذى يرغبه اما بطريق الغزو أو بالوسائل الاخرى وذلك فى اراضى الرعى فى الصحراء وفى أشهر الصيف والربيع أو عندما تكون جمال العدو فى قافلة سائرة الى المدن لبيع المنتجات •

ويحتفظ اصحاب الجمل بما سلبوه كحق من حقوقهم ولهم ايضا ان يشترطوا ما يشاؤون من الشروط على عدوهم •

٣ ـ قضايا قبائل تابعة لحكومة معينة تسلب جمالا من قبائل تابعة لحكومة أخرى :

لحكومة القبيلة المسلوبة حق فى المطالبة بالمسلوب من الحكومة الاخرى أو بتعويض مالى ويقدر التعويض فى اجتماع خاص فاذا رفضت القبيلة السالبة دفع التعويض واطاعة أوامر حكومتها ولم يعد من الممكن استرجاع المسلوبات فان للقبيلة المسلوبة الحق فى تعويض املاكها المفقودة بالطريقة والوقت اللذين تعينهما •

٤ ـ قضية جمال مفقودة أو مسروقة معروف اصحابها فى المدن أو ان يكون اصحابها قد جاءوا الى المدن لبيع المنتجات :

اذا كان المتخاصمان عضوين لقبيلتين صديقتين أو على وفاق احداهما مع الاخرى فللحاكم أو السلطة فى المدينة محاكمتهما وعلى المسلوب ان يقدم ثلاثة شهود على ان المال الذى يدعيه هو ملكه وعليه ان يقول أمام الحاكم (أشهد اننى لم أبع ولم أهب جملى هذا) ثم يستلم المدعى جمله بامر الحاكم •

فاذا كان مالك الجمل قد اشتراه من شخص ثالث فالحكم مختلف كما سترى أما اذا حصله عن طريق الغزو من شخص ثالث فللمدعى

ان يستلمه اذا كانت عادة (العارفة) موجودة بين قبيلته وقبيلة الشخص الذى يوجد معه الجمل •

٥ ـ قضية مهاجمة قبيلة تابعة لحكومة لقبيلة تابعة لحكومة أخرى والمعارك الناجمة :

للقبيلة التى هوجمت الحق فى مطالبة حكومتها بمطالبة وتعويض الدم عن طريق الحكومة الثانية فاذا لم تستطع الحكومة ذلك فان عوائل الضحايا لها الحق للانتقام بطرقهم الخاصة والوقت الذى يرغبون دون ان يكونوا مسؤولين أمام حكومتهم بأى وجه من الوجوه •

٦ ـ قضية الجمل المسلوب فى الغزو :

اذا كانت قبيلتان متفقتين اتفاق عرفة فللاولى ان تأخذ الجمال المسلوبة منها والتى استطاعت القبيلة الثانية ان تحصل عليها من السالب•

٧ ـ قضية الجمال المشتراة من قبل شخص يظهر بعد ذلك صاحب اصلى لها مدعيا بسرقتها :

اذا كان المشترى والمالك الاصلى من قبيلة واحدة أو يرجعان الى قبيلتين مرتبطتين كأبناء العم فلهما ان يبحثا عن البائع ويأخذا منه المال ويستلمه المشترى ويأخذ صاحب الجمل الاصلى جمله فمثلا اذا ميز بدوى من شمر جملا من جماله مسروقا منه مع رجل من الضفير وقال الضفيرى انه اشتراه من المطيرى فان على الضفيرى والشمرى ان يبحثا عن المطيرى فاذا كان المطيرى قد هاجم أو سلب الجمل من الشمرى وكانت المطير وشمر على وئام فعليه ان يعيد الثمن الى الظفيرى •وللشمرى عندئذ ان يأخذ الجمل أما اذا كان المطيرى قد اشترى الجمل من آخر

فعليه أن يدفع الثمن الى الضفيرى ايضا ثم يذهب للمطالبة بحقوقه من الشخص الرابع وهكذا حتى تصل المسألة الى السارق الاصلى وبكلمة أخرى فان جميع معاملات البيع والشراء الجارية حول الجمل تنقض وهذه الطريقة تدعى بنظام السوق والقود ولهذا النظام ميزاته فهو يحفظ موظفى الحكومات بعيدا عن الامر مما هو مرغوب لدى البدو جدا وهى غالبا تحدث فى المناطق التى تضعف فيها سلطة الحكومة وتكون القبيلة فيها مشهورة بولائها لشيخ قوى النفوذ يستطيع تنفيذ رغبته (كما كان يحدث فى صحراء العراق الجنوبية أيام العهد العثمانى) •

وهناك الكثير من الاحكام الاخرى •

الصلاة والايمان عند البدو

البدو جميعا من السنة منهم على مذهب الامام مالك وقليل منهم على مذهب الامام احمد ابن خليل وهم على كونهم اشداء فى المعارك وعلى استعداد دائما للغزو فان لهم لشريعة من اقدس شرائع العالم وان اعتقادهم بالله العظيم الواحد القهار قوى للغاية •

والبدوى خلال حياته كلها لا يفارق اسم الله شفتيه ويكاد يكون مسموعا فى كل جملة ينطقها •

والبدوى كأى عربى آخر ومسلم مؤمن يعتقد بكل ما هو آت بأمر الله سواء كان خيرا أو شرا • ويملأ هذا الاعتقاد كل حياته وهو لهذا لا يأبه للموت عندما يجابهه فجأة • وهو يكرر دائما هذا القول (الله يعطى ، والله يأخذ ما يعطى) •

والتقوى والاعتماد على الله هما الاسس الاولى التى يربى عليها ابن البادية • والبدوى شديد التدقيق فى امور الصلاة لا يتخلى عنها سواء كان مخيما أو راحلا بل يؤديها خمس مرات بكل خشوع طبقا للشريعة الاسلامية • وهو يصلى الجماعة فيدعوا احدهم اليها ويهرع الآخرون متوضئين اذا توفر الماء أو متيممين بالرمال • بل هم يتركون صيدهم أحيانا ويهرعون الى الصلاة رغم ما بذلوه من حذر للايقاع بذلك

الصيد • وينسون كل شيء ما عدا واجب الفرد نحو الله • ولكل مخيم بدوي وفي كل خيمة زاوية تقع باتجاه مكة • وكثيرا ما يجد قاطع الصحراء هذه الزاوية محفورة في رمالها فيعلم انه قد مر بالارض قوم وصلوا فيها الجماعة في هذا المكان •

وتصلي نساء البدو بانتظام ايضا ولكن على حدة من الرجال في خيماتهن الخاصة •

ويتناقلون بينهم هذه القصة عن بداية الدعوة للصلاة في الاسلام:

في أيام الرسول (ص) عندما كان الاسلام ما يزال زهرة فواحة تتفتح في الصحراء لم يفكر احد في جمع الناس للصلاة ولم تكن هناك طريقة معينة لذلك وبدأ المؤمنون يتناقشون في أمرها واقترح البعض اعلان الصلاة بالنواقيس كالمسيحيين واقترح آخرون اعلانها بالنفير والبوق كما كانت عادة اليهود • ثم أقبل عمر (رض) وقال انه رأى حلما قيل له فيه ان احسن طريقة لجمع المسلمين للصلاة هي ان يرتقي رجل مرتفعا من الارض ويكبر ويدعو الناس للصلاة • وهكذا نفذت هذه الطريقة • ودعا الرسول (ص) بلالا الحبشي وطلب اليه ان يؤذن في الناس داعيا اياهم الى الصلاة[1] •

أما الخلود ، والحياة الثانية عند البدوي فهي بسيطة كبساطة حياته الاولى •

وهو يعتقد ان حياته الثانية ستكون في الجنة اذا رضي الله عنه والجنة عنده ما هي الا ربيع دائم ووفرة في العشب وماء جار بكثرة من ينابيع وانهار عذبة • مكان ليس فيه اشياء غير سارة مما يوجد في هذا

(١) عرب الصحراء ـ دكسون ـ ترجمة : أنيس زكي حسن •

العالم من جوع وعطش وجفاف ارض وامراض جمال .

وعنده ان القبيلة تعيش كلها في الجنة معا في مراعي خضراء فيلتقي باصدقاءه واقاربه حيث لا احد يهرم وانما يعيش الجميع الى الأبد .

أما فكرتهم عن جهنم فهي ان يجد فيها المرأ كل شيء كريه في هذا العالم وكل صعوبة طبيعية جعلت الحياة شقاء له في هذا العالم . وسيكون هنالك صيف محرق آبد ولن ترعى جماله الا قصيرا من الوقت وتجوع ولن يرى عشبا اخضر ولا ينبوع ماء وسيكون عليه ان يحطم ظهره كل ساعة بنقل الماء لعائلته وجماله من بئر عميقة مالح ماؤها . وسيكون بلا شرف ولا اسم ولا عشيرة .

ان هذه الفكرة التي يحملها البدو عن الجنة والنار تعطينا دليلا واضحا على انهم لا يرغبون في شيء البتة قدر رغبتهم في العشب والماء ليستقروا حولها وينشئوا الممتلكات ويعيشوا سعداء مع اهلهم ومختلف أفراد عشيرتهم .

ان هذا يدلنا على انالاستقرار هو حلمهم حتى انهم صاروا يبحثون عنه في السماء بعد ان يئسوا منه في الارض .

* * *

يعتقد البدو ان بعض النساء (الصلبيات) يستطعن ان يقرأن الادعية على الرجال او يبطلن قوتها ويعرفن بالساحرات .

ويلجأ البدو ونسائهم الى الساحرات للعمل على حل مشاكلهم العاطفية والاجتماعية من كره وحب وعداوة وحقد عن طريق السحر ويروون عن ذلك قصصا مثيرة الا انها لا تتفق والمنطق السليم ويعتقدون

انه من الحكمة تجنب المقابر في الليل لان ارواح الموتى غالبا ما تخرج من قبورها وتجلس عليها وتتحدث بعضها مع الاخرى فاذا مر بها بدوى صاحت وراءه وسخرت منه وقد تمنعه كما يعتقدون عن المضى فى طريقه بالقاء الصخور عليه ويعتقدون ان نبات العوسج هو تحت حماية الجن فلا تقطع ولا تكسر اغصانه ويعتقدون ان كل من يؤذيها سيتبعه الجن ويعذبونه خاصة فى الليل فاذا ما اقترب البدوى من نبات العوسج دعى الله ان يحميه وبسمل وقذف بأكوام من الاحجار فغالبا ما ترى شجيرات العوسج محاطة باكوام من الاحجار وعلى ان البدو يسخرون من انفسهم فى هذا الصدد الا ان الخرافة باقية فى صميم قلوبهم ولهذا فهم لا يجازفون بشىء •

ولكن يعين البدوى يوم سفره أو يقدم على أمر أو يعرض عنه فانه يغلق عينيه ويرفع يديه وراحتيه فى مقابل وجهه ويجعل اصبعين منهما متقابلين ويحاول ان يلاقى الاصبعين فاذا التقى طرفاهما فبها والا فانه يترك تنفيذ ذلك الى فرصة أخرى • أما اذا أكل البدوى التمر فانه يلقى بالنوى على كتفيه معتقدا ان كل نواة تعنى جملا آخر الى قطيعه والبدو يأكلون اكباد الذئاب لتزيد شجاعتهم وعندهم انهم اذا ارادوا ان يجعلوا الكلب شديد المراس وحارسا قويا فانهم يقطعون اذنيه فى صغره ويطبخون قطعة منها ويدعونه يأكلها •

البدو بصورة عامة لا يدخنون وهذا راجع رئيسيا الى التـــأثير الوهابى ولكن ذلك يرجع ايضا الى انهم لا يستطيعون تحمل نفقات التدخين الباهظة بالنسبة اليهم ، فى صحراء حيث الحياة صعبة وحيث

٩٠ بالمائة من السكان هم فى جوع دائم ولهذا فذلك متوقع منهم •

فمن سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٢٩ وكذلك خلال نشاط الوهابية تحت اسم الاخوان كانت قبائل نجد التى صارت اعضاء مخلصة لذلك المذهب قد اعتبرت التدخين اغراء مباشرا من الشيطان (وهذا لا ينطبق على عشائر صحراء العراق أو مختلف عشائر عنزة وشمر الشمالية) وكان تدخين احدهم يعنى موته على يد احد الاخوان • على ان ابن السعود وافق سنة ١٩٢٠ على جعل التدخين مسموحا به داخل البيوت والخيم فقط • وكان ذلك ساريا فى الكويت ايضا تحت التأثير الوهابى • وبعد فشل حركة الاخوان ضد ابن السعود فى ١٩٢٩ - ١٩٣٠ فقد عاد الناس يدخنون بحرية وكان ذلك تحديا اكثر منه عادة • وصار التدخين عادة بعد ذلك لكل من يستطيع ان يوفر المال اللازم له • ولم يكن ذلك لضعف فى الايمان وانما لان البدو ادركوا ان ذلك المنع لم يكن ذا أساس دينى صحيح

القسم الثـــانى

مواطن القبائل الرحالة

فى البوادى الثلاث

١ ـ البادية الشمالية

٢ ـ البادية الجنوبية

٣ ـ بادية الجزيرة

الحدود الادارية للبوادي الثلاث

نظام الادارة الخاصة في البادية

لقد نصت المادة الاولى من نظام الادارة الخاصة فى البادية رقم ٢٢ لسنة ١٩٤٦ على تأسيس وحدة أو أكثر فى البادية باسم (مديرية ادارة البادية) يرأسها مدير يكون مرتبطا بوزارة الداخلية رأسا وتعين حدود الوحدة المؤسسة بتعليمات يصدرها وزير الداخلية وتكون وظائف المدير تنفيذ احكام القوانين والانظمة ضمن حدود مديريته والعمل على استتباب الامن والنظام وتنظيم الامور المتعلقة بتنقلات العشائر وشؤون المراعى واستعمال الآبار وحسم المنازعات التى تقع ضمن سلطاته القانونية والسيطرة على علاقات أفراد منطقته بأفراد العشائر فى الممالك المجاورة وتطبيق أحكام المعاهدات والاتفاقيات المعقودة •

وعلى هذا فقد اصدرت وزارة الداخلية تعليمات عينت بموجبها الحدود الادارية للبوادى الثلاث وهى كما يلى :

١ ـ حدود البادية الشمالية الادارية

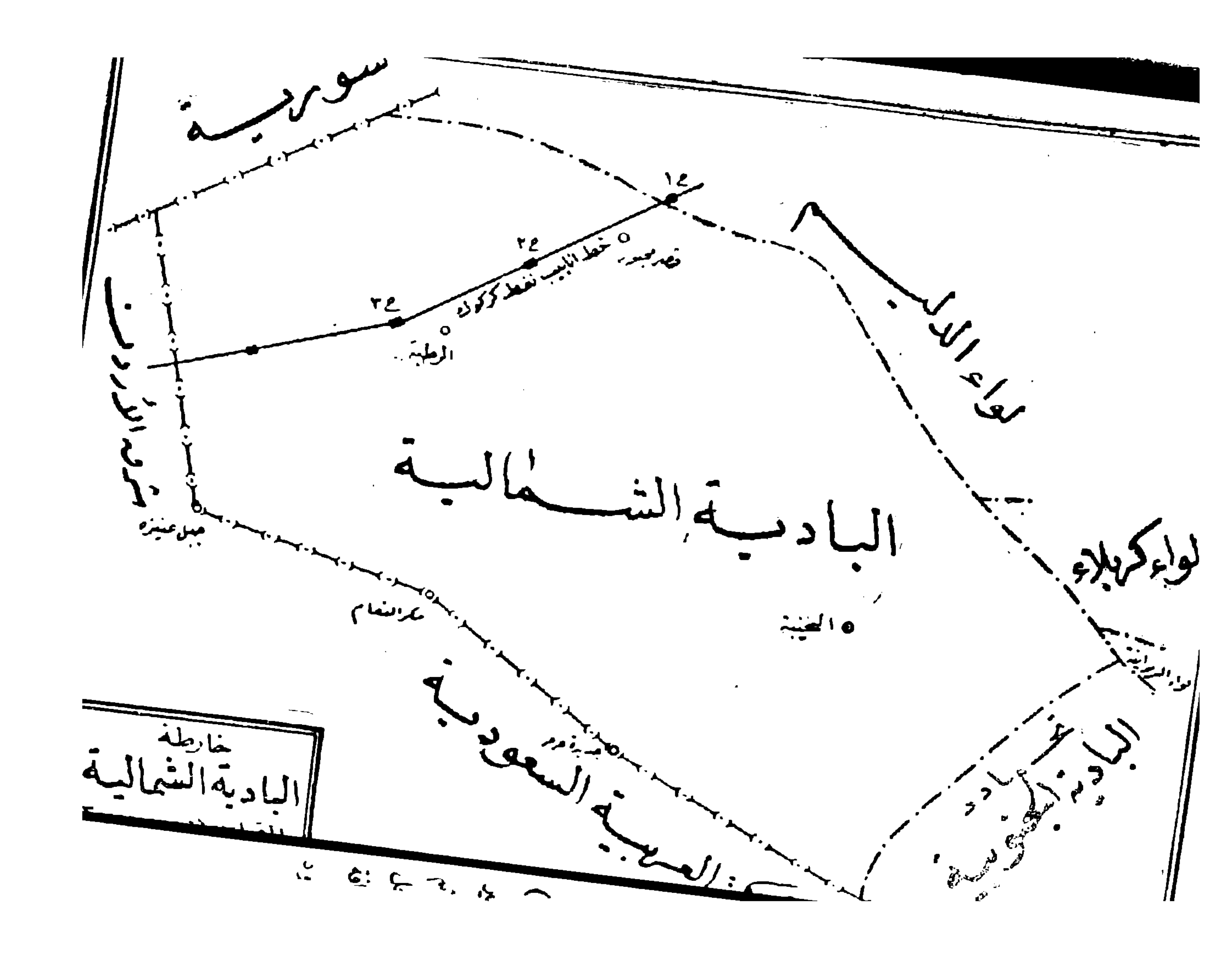
تنقسم حدود البادية الشمالية الادارية الى قسمين ، فالقسم الاول هو تحاددها مع لوائى الدليم وكربلاء ، والقسم الثانى هو تحاددها مع البادية الجنوبية وهى كما يلى :

أ ـ الحدود الادارية للبادية الشمالية المحاددة للوائى كربلاء والدليم :

الزكلاء ـ الاخيضر الى تل خرأرة الحد الغربى لناحية الرحالية متجهة نحو الشمال الغربى الى ماء ذباذب فعين وزه فحسيان المحمديات فقصر الخباز ثم ينعطف نحو الغرب الشمالى الى رأس كارة الهلبة ومنها الى غدير فضة ثم يتجه نحو الشمال الغربى بخط مستقيم الى رأس كارة المدهم ثم ينعطف نحو الغرب الشمالى الى رأس وادى المانعى الشرقى ومنه الى جليب الحامض وسط وادى عكاشات ثم يتجه نحو الغــرب الجنوبى بخط مستقيم الى دعامة الحدود العراقية السورية رقم (١٠) وهنا تنتهى الحدود الادارية للبادية الشمالية ولوائى كربلاء والدليم •

ب ـ الحدود الادارية الفاصلة بين الباديتين الجنوبية والشمالية وهى كما يلى :ـ

تبدأ الحدود من (وادى الخر) الذى يمر من جنوب (الزكلاء) متجها نحو الجنوب الغربى حتى يصل جنوب (الحصو) ومنه يسير بعين الاتجاه الى (الخناق) ومنه الى (اللصف) ومنه الى القاحية ثم يسير بالاتجاه المذكور حتى يتصل بالحدود العراقية السعودية بمحل يبعد مسافة ٢٣ كيلو مترا عن الجنوب الغربى من (روية) وبمسافة ٣٣ كيلومترا عن الغرب الشمالى من (المنية) الواقعة قرب الحدود العراقية السعودية •



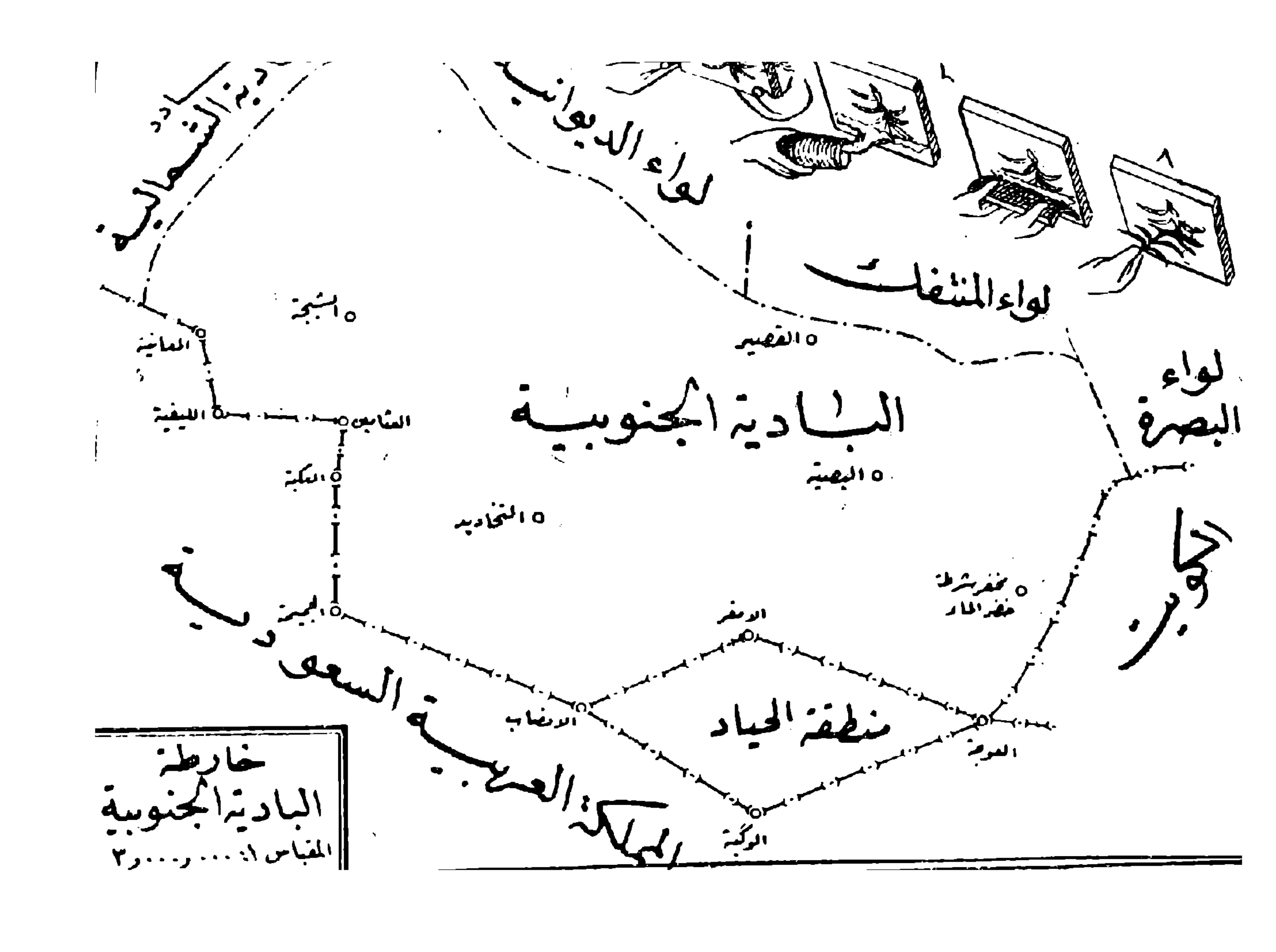
خارطة
البادية الشمالية
البادية الشمالية
سورية
لواء الدليم
لواء كربلاء
المملكة العربية السعودية
شرق الأردن
الرطبة
خط انابيب نفط كركوك

٢ ـ الحدود الادارية للبادية الجنوبية

الحدود الادارية للبادية الجنوبية المحاددة لالوية البصرة ـ المنتفك الديوانية وهى كما يلى :ـ

من صفوان على طول طريق السيارات الى قصر ابراهيم تاركا هذا الى لواء البصرة ومنه على طول طريق السيارات ما بين البصرة والناصرية الى جلية ومن هناك الى صليبية ومن الصليبية الى عين حمود ومن غرب عين حمود بمسافة ١٣ كيلو مترا و ٩٣٥ مترا يسير بخط مستقيم الى عين صيذ لمسافة ٣٦ كيلو مترا و ٩٢٦ مترا من نقطة الابتداء ومن عين صيد يتجه نحو الغرب بخط مستقيم لمسافة ٤٥ كيلو مترا الى رحبة المعياف تاركا فى الجهة اليمنى من الخط المذكور مملحة السماوة الواقعة غرب نيشان الزركه وبشرق عين النجج ومن رحبة العياف يسير نحو الغرب بخط مستقيم لمسافة ٨ كيلو مترات و ٨٥٥ مترا الى عين المالح ومن عين المالح يسير نحو الغرب بخط مستقيم لمسافة ٣٢ كيلومترا و ٨٩٠ مترا الى تل مهاوى ومن تل مهاوى يسير نحو الغرب بانحراف قليل نحو الشمال وبخط مستقيم لمسافة ٣١ كيلو مترا و ٣٧٢ مترا حتى يتصل بمخفر شرطة الرحبة العائد الى لواء الديوانية وان هذا الخط الواقع بين تل مهاوى والرحبة يقطع وادى مدوره الواقع على بعد ١٥ كيلو متر و ١٨٠ متر من تل مهاوى ويقطع وادى طلحة على بعد ٢٤ كيلو متر و ١٣٥ مترا من تل المهاوى ومن مخفر الرحبة يتجه نحو الغرب بخط مستقيم لمسافة ٥١ كيلو مترا و ٨٦٥ مترا ويتصل بمخفر شرطة الحياضية العائد الى لواء الديوانية وان هذا الخط الواقع بين مخفرى شرطة الرحبة والحياضية يقطع نهر حسوب الذى يبعد عن

مخفر الرحبة مسافة ١٥ كيلو مترا و ٥٦٦ مترا ويقطع قلعة مقراوى الواقعة على الطريق الذى يبعد عن مخفر الرحبة مسافة ١٣ كيلو مترا و ٦٧٤ مترا ويقطع وادى الملح ذا الشعبتين الملاصقتين الى طريق السيارات اللتين تبعدان بمسافة ٢٢ كيلو مترا و ١١ مترا عن مخفر الرحبة ويقطع وادى الملح الاخر الواقع بقربه الملاصق الى طريق السيارات الذى يتصل بقرعة السبع والذى يبعد عن مخفر الرحبة بمسافة ٢٧ كيلو مترا و ٨٣٠ مترا ويقطع وادى ام السباع الذى يبعد ٣٠ كيلو مترا و ٨٨٦ مترا عن مخفر الرحبة ومن مخفر الحياضة يتجه نحو الغرب منحرفا قليلا نحو الشمال بخط مستقيم لمسافة خمسة كيلو مترات و ٦٠ مترا حتى يتصل بالزكلاء الواقعة بشمال عين عطبه بمسافة ٨٠ مترا وهنا تنتهى الحدود الادارية للبادية الجنوبية .


خارطة
البادية الجنوبية
البادية الجنوبية
لواء الديوانية
لواء المنتفك
لواء البصرة
الكويت
منطقة الحياد
المملكة العربية السعودية
البادية الشمالية
الشبجة
القصير
البصية
النخاديد
السلمان
الليفية
الشامية
العوجة
الوكبة
الرقعي
الانصاب

٣ ـ الحدود الادارية لبادية الجزيرة

أما الحدود الادارية لبادية الجزيرة فهى كما يلى :

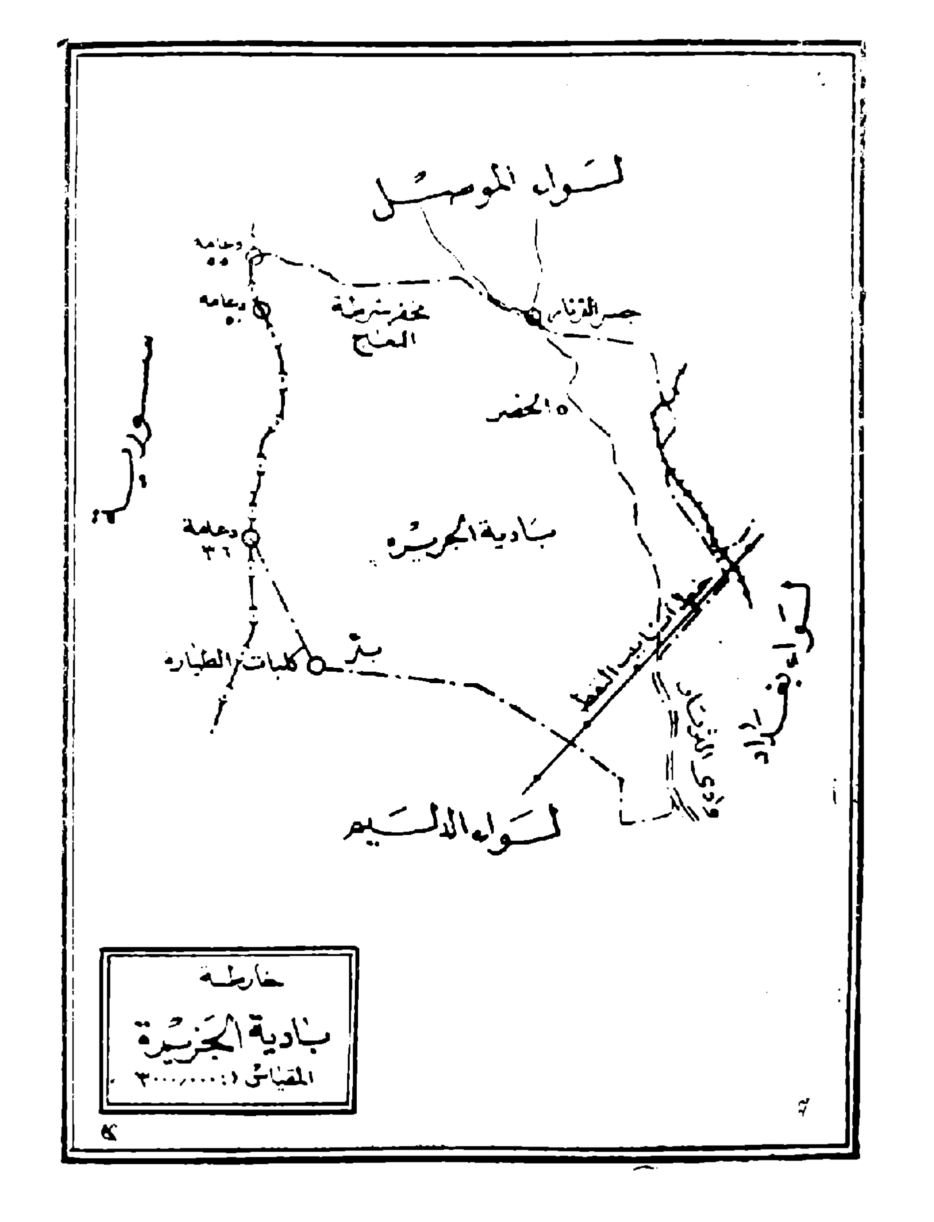
يبدأ خط الحدود من دعامة الحدود العراقية السورية رقم(٥٥) متجها نحو الشرق ومعقبا طريق سيارات موصل ـ دير الزور ـ بمسافة (٤) كيلو مترات تقريبا حتى يصل ملتقى حدود المقاطعتين (٣٢) واراضى جبل سنجار ثم يتجه نحو الجنوب الغربى بخط مستقيم حتى يصل نقطة التثليث الكائنة على تل (كثر كزجز شنانة) ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى بخط مستقيم حتى يصل نقطة التثليث الواقعة على تل (كرفطن) ثم يتجه نحو الشمال الشرقى بخط مستقيم حتى يصل تل (زرده قراج) ثم يسير بنفس الاتجاه وبخط مستقيم فيصل نقطة التثليث الواقعة على (قوجه بيلى) ثم يتجه نحو الشرق بخط مستقيم حتى يصل (تل كيلارشو) وهو نقطة تلاقى حدود المقاطعتين (٦٦ و ٣٢) سنجار ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى بخط مستقيم حتى يصل نقطة التثليث الواقعة على تل (مركبتضيره) ومنها يتجه نحو الشرق قاطعا وادى (ميان) حتى يصل نقطة التثليث الواقعة على (كرى تواره) ثم يتجه بنفس الاتجاه وبخط مستقيم فيصل نقطة التثليث الواقعة على تل (كرى كرعكوف) على وادى (الحيال) ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى معقبا وادى (الحيال) المذكور حتى يصل مقابل تل (الساقى) الاثرى ثم يتجه نحو الشرق قاطعا وادى (الحيال) حتى يصل قمة تل (الساقى) الاثرى المار ذكره ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى بخط مستقيم قاطعا

وادي (كاخرت) ومارا بقمة تل (الدويش) الاثرى حتى يصل نقطة التثليث الواقعة على (خراب الكرى) ثم يسير بنفس الاتجاه وبخط مستقيم حتى يصل وادي (ابو خريمة) وهو الحد الفاصل بين المقاطعتين (١٦ و ٥٨) سنجار ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى معقبا الوادى المذكور حتى يصل ملتقى طريق مخفر شرطة (البعاج) بوادي (ابو خريمة) المذكور ومنه يتجه نحو الجنوب الشرقى بخط مستقيم حتى يصل تل (اوزتبه) الاثرى ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى بخط مستقيم حتى يصل وادي (الحمد) وهو الحد الفاصل بين مقاطعتى (٥٥ و ٥٨) سنجار ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى معقبا وادى (الحمد) حتى يصل نقطة التثليث الواقعة على تل (حرشان) الاثرى ثم يتجه نحو الشمال الشرقى بخط مستقيم حتى يصل تل (رجم خليفة) ثم يتجه نحو الشرق بخط مستقيم قاطعا وادى (الحيال) حتى يصل نقطة التثليث الكائنة على تل (ابو سديره) وهو ملتقى حدود المقاطعتين (٥٤ و ٥٥) سنجار ثم يتجه نحو الشمال الشرقى بخط مستقيم حتى يصل نقطة التثليث الواقعة على تل (منظار الجولانى) وهو الحد الفاصل بين المقاطعات (٦٠ و ٥٤ و ٦) سنجار ثم يتجه نحو الشمال الشرقى بخط مستقيم مارا بنقطة التثليث الواقعة على تل (ابو عريش) وقاطعا طريق عيون الغزال حتى يصل (خربة هايس) وهو ملتقى الحد الفاصل بين مقاطعتى (٣١ و ٦١) سنجار ثم يسير بنفس الاتجاه وبخط مستقيم حتى يصل نقطة التثليث الواقعة على (خربة ليلى) ثم يتجه نحو الشرق بخط مستقيم حتى يصل قمة تل (ام الزنابير) الاثرى ومنه ينعطف

نحو الشمال الشرقي بخط مستقيم حتى يصل وادي (انكيسره) بنقطة تبعد (٦٫٥٠٠) كيلو مترا تقريبا عن الشمال الغربي من تل (صفية) ثم يتجه نحو الشرق معقبا وسط وادي (انكيسره) المذكور حتى ملتقى وادي (الهذيل) بوادي (الثرثار) والوادي المذكور وهو الحد الفاصل بين مقاطعتي (٣١ و ٣٢) سنجار ثم يتجه نحو الشرق معقبا وسط وادي (الثرثار) حتى يصل ملتقى حدود المقاطعتين (٣٣ و ٧٨) سنجار ثم يستمر معقبا وسط وادي (الثرثار) حتى يصل الحد الفاصل بين مقاطعتي (٧٨ و ٧٣) سنجار ثم يتجه نحو الجنوب الشرقي معقبا وسط وادي الثرثار حتى يصل الحد الفاصل بين مقاطعتي (٧٢ و ٧٣) سنجار ثم يتجه بنفس الاتجاه معقبا نفس الوادي المذكور حتى يصل نقطة تلاقي طريق (تلعفر) - (الجزيرة) بالوادي المذكور وهو نقطة التقاء المقاطعتين (٧٢ و ٨١) سنجار ثم يسير بنفس الاتجاه ومعقبا وسط وادي (الثرثار) المذكور حتى يصل نقطة تلاقي المقاطعتين (٧١ و ٨١) سنجار ثم يسير بنفس الاتجاه معقبا الوادي المذكور حتى يصل جسر وادي (الثرثار) ومن هذا الجسر يستمر معقبا وادي (الثرثار) نحو الجنوب الشرقي فيصل تل (عبطة) ثم يتجه نحو الشمال الشرقي فيصل تل (المغلفة) الجنوبية ومنه يتجه نحو الشرق بخط مستقيم حتى يصل ملتقى طريق سيارات موصل عين ناصر والحضر بوادي (المر) ثم يسير معقبا وادي (المر) المذكور حتى التقائه بوادي (جدالة) ثم يستمر معقبا وادي (جدالة) المذكور حتى ملتقى صدر وادي (الرفيع)

حتى يصل بـ (الجرناف) الغربى غرب الطريق العام بغداد ـ موصل من آخر حدود المزروعات بمسافة ملتوية حتى يصل قوس السكة الحديدية لقطار بغداد ـ الموصل ثم يستمر معقبا السكة الحديدية المذكورة حتى يصل جسر (الشريمية) ثم يترك السكة الحديدية متجها نحو الجنوب بخط مستقيم مسافة عشرة كيلو مترات تقريبا وهى نقطة التقاء الحدود الادارية بين لوائى بغداد ـ موصل ومديرية بادية الجزيرة ومن هذه النقطة يتجه خط الحدود بنفس الاتجاه وبخط مستقيم فيصل (صبيغة) ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى بخط مستقيم حتى يصل (سمرانى) الواقع على طريق تكريت ـ حديثة ثم يسير بنفس الاتجاه وبخط مستقيم قاطعا طريق تكريت ـ نهر الفرات حتى يصل (ابو غزالان) ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى بخط مستقيم فيصل الى (خزيمى) ثم ينعطف نحو الجنوب الشرقى بخط مستقيم فيصل (ابو حجارة) ومنه ينعطف نحو الجنوب الغربى بخط مستقيم حتى يصل (قبور البيض) أو (الحديدى) ومنه يتجه نحو الشمال الغربى بخط مستقيم حتى يصل (النميرة) ومنه يتجه نحو الجنوب الغربى بخط مستقيم فيصل وادى الثرثار بنقطة تبعد مسافة ١٤ كيلو متر تقريبا عن الشمال الشرقى من (السلطانية) وهذه النقطة هى التقاء الحدود الادارية بين لوائى بغداد ـ الدليم ومديرية بادية الجزيرة ومنه يتجه نحو الجنوب الغربى بخط مستقيم قاطعا الوادى المذكور وطريق تكريت ـ نهر الفرات حتى يصل (بئر شويجة) ثم يتجه نحو الشمال بخط مستقيم حتى يصل (صفاوى) ومنه يتجه نحو الشمال الغربى بخط مستقيم حتى يصل (قرة الحرة) ثم ينعطف نحو الغرب بخط

مستقيم قاطعا طريق عنه ـ الحضر حتى يصل بئر (كلبان الطيارة)
ومنه ينعطف نحو الشمال الغربي بخط مستقيم حتى يصل دعامة الحدود
العراقية السورية رقم ٣٦ ومنها يستمر معقبا الحدود العراقية السورية
حتى يصل دعامة الحدود العراقية السورية رقم (٥٥) التي بدأ خط
الحدود منها وهناك تنتهي الحدود الادارية لمديرية بادية الجزيرة
من جهاتها الاربع .


لواء الموصل
جسر القيارة
مخفر شرطة الحاج
الحضر
سوريا
دعامة ٣٦
كلبات الطيارة
بئر
بادية الجزيرة
خط انابيب النفط
وادي الثرثار
لواء بغداد
لواء الدليم
خارطة
بادية الجزيرة
المقياس ١ : ٣٠٠٠,٠٠٠

سجلت مديرية الاثار القديمة العامة في كتاب أعدته في هذه السنة كل ما وجد من المواقع والاماكن الاثرية في لواء كربلاء ولذلك تكون المديرية المشار اليها قد اغنتنا عن تتبع هذا الجانب وفي الوسع مطالعته .

لكن ما يسترعي الانتباه ان مديرية الاثار القديمة حين تذكر تلك المواقع الاثرية لا تعززها بسرد موجز عن شأنها التاريخي . ومع ذلك فان من أبرز هذه الاثار هو قصر (الاخيضر) الواقع في جنوب غربي كربلاء فاثرنا ان نلم بلمحة تاريخية عنه .

فهناك على بعد اربعين كيلو مترا من جنوب غربي كربلاء وبمسافة ١٦ كيلو مترا من جنوب شرقي شفاثة يوجد حصن كبير واسع الارجاء ثابت الاسس شاهق البناء أشبه بقلعة كبيرة مربعة الشكل أو بقاعدة حربية ذات بناء متين وقرار مكين . هذه القلعة أو هذا الحصن هو حصن الملك (اوكيد الكندي) المسمى اليوم (قصر الاخيضر) وما تزال جدرانه قائمة وبروجه شاهقة الا ان الطبيعة عبثت ما عبثت به ولطول الزمن استولى عليه الخراب .

ويتألف الاخيضر من حصن كبير في داخله قصر فخم وبجانبه بناية محصنة صغيرة منفصلة عن البناية الاصلية . والحصن مربع الشكل يبلغ طول كل ضلع من اضلاعه ١٧٠ مترا . أما القصر فمستطيل الشكل يبلغ عرضه ٨٠ مترا وطوله ١١٠ أمتار . وقد شيد هذا القصر في داخل الحصن الذي يتصل به من الجهة الشمالية حيث يبقى بينه

وبين الجدران الداخلية للحصن فناء واسع من الجهات الثلاث وفي مدخل القصر دهليز فخم يعلوه طاق مرتفع • أما الجامع فيقع في الجهة الغربية من الدهليز • وجدران الحصن الخارجية مجهزة بسلاسل ابراج من جهاته الاربع • والابراج الكائنة في الزوايا تستوقف الانظار اكثر من غيرها • وقد بني هذا القصر بهذا الشكل في وسط البادية لكي يكون مسيطرا على البادية وعلى طرق المواصلات فيها والقوافل التي تخترقها للمتاجرة بين البحرين الاحمر والابيض المتوسط وخليج البصرة •

ومن المرجح ان هذا الحصن بني في عهد عمر بن الخطاب (رض) في سنة ٦٣٥ م أو السنة الثانية من خلافة عمر • بدليل وجود جامع ومحراب فيه الا ما رواه بعض المستشرقين من ان الحصن قد انشيء قبل الاسلام ثم احدث فيه الجامع والمحراب • ومن الجائز ان كلمة (الاخيضر) محرفة عن اسم الاكيدر الكندي الذي يدل التاريخ على انه بني في عهده وهو عهد يتفق مع عصر الاسلام في أول نشأته[١] •

---

(١) من تقرير الدور لمتصرفية لواء كربلاء بتاريخ ١٩٥٢/٨/١٢ ـ للمؤلف •

عرفت مدينة الحضر الواقعـة فى بادية الجـزيرة فى المراجع الاغريقية والافرنجية باسم حترا • وتقوم خرائبها فى برية حيث لاماء ولاعمران •

ان تاريخ الحضر غامض غـير معروف • ورغم اعمـال التنقيب للسرسم الاول فما زلنا نجهل متى انشئت ومن استحدثها • ولماذا شيدت فى هذه البرية القاحلة • ومن كان يسكنها ومن هم الملوك الذين حكموا فيها • ولقد كانت نتائج اعمال البعثة التى اهتمت بها تقتصر على اكتشافات ذات صلة بديانة الحضر والمعتقدات التى كانت سائدة فيها • ومع ذلك فمن المحتمل أن تشييد أبنية الحضر واسوارها كان فى حوالى منتصف القرن الاول قبل الميلاد أى بعد انتهاء سلطان السلوقيين فى انطاكية •

ومن هذا يتضح ان القسم الاولى من تاريخ الحضر مجهول ومملوء بالاحتمالات والظنون ، أما تاريخ المدينة فى أوج عزها فيعرف بعضه من المراجع الاغريقية وكتب التاريخ العربية • ففى القرن الثانى للميلاد صمدت الحضر أمام جيوش امبراطورين عظيمين من أباطرة الرومان عز عليهما فتحها •

وتمكنت الحضر عام ٢١٦م ايضا ان تنجو من الخراب الذى حل فى مدن الجزيرة والعراق على أثر الحملة التى قام بها الامبراطور الرومانى كركلا الذى اشتهر بغدره وخداعه •

ولم تعش الحضر بعد ذلك طويلا فقد سار اليها سابور الاول،

الملقب بسابور الجنود طالبا الانتقام لابيه اردشير ، فحاصرها بكل ما كان لديه من رجال ومعدات ودخلها عنوة أو حيلة • واعمل السيف في رقاب أهلها ونهب قصورها ومعابدها وخرب اسوارها وحصونها ونزح عنها من تكن ان يفر بنفسه ولم تقم لها قائمة بعد ذلك • وكان سقوط الحضر ضربة قاصمة لها اذ انها لم تعمر ثانية ولم يسكنها أحد •

هكذا كان مصير الحضر مفاجئا ومؤسفا ونهائيا وكما اننا لا نعلم السبب الذي من أجله انشئت في البرية كذلك لا نعلم لماذا لم تعمر الحضر ثانية • ولعل أهلها انقرضوا وبادوا وحل محلهم في الجزيرة أهل البداوة ممن أثاروا التنقل على الاستيطان في محل واحد •

كانت الحضر حصنا سوقيا للفرس وكانت في الوقت ذاته مبعثا للقلق لكل قائد روماني سعى الى الوصول الى طيسفون سواء أكان طريقا محاذيا لدجلة أم للفرات • وكانت أيضا قاعدة عسكرية يدرب فيها ابناء الجزيرة على أصول القتال فيرسلون عند اقتضاء الحاجة لنجدة ملوك الفرس في حروبهم وغزواتهم • ثم اضحت مع الزمن سوقا واسعة ومركزا تجاريا عظيما تنقل قوافلها بضاعة الصين والهند ومنتوجات العراق العربي من سلوقية على دجلة الى نصيبين لسنجار فانطاكية • وادت الزراعة الى مضاعفة ثروة المدينة • فبرية الحضر كثيرة المراعي خصبة التربة وحاصلها في الوقت الحاضر اضعاف حاصل ارض الموصل وسنجار •

وكانت الحضر مركزا دينيا مهما ، فقد ظهر ان في المدينة معابد كثيرة وبيوت اصنام عديدة •

ونتقل الان الى سكان الحضر ، فمن كان يسكن الحضر ؟•

فالمعروف ان سكان تدمر المعاصرة للحضر والشبيهة بها فى كثير من الوجوه الحضارية كانوا عربا بينهم جاليات من اليونان والرومان • أما الحضر فجميع الكتابات المكتشفة فيها آرامية خطا ولغة • ولو استندنا الى الكتابات فقط لكان الاستنتاج المرجح ان سكان الحضر كانوا انباطا مزيجا من السريان الاراميين ومن العرب • الا ان المؤرخين القدماء الذين ذكروا الحضر فى كتاباتهم قالوا ان الحضريين كانوا عربا وحسب • وننقل ما قال عنهم المؤرخ جورج رولنسن « الحضر عاصمة لمجتمع عربى فى عصر الامبراطور طريانوس • فقد استوطنت القبائل العربية مناطق من الجزيرة منذ اقدم الازمان • وعد زينفون الارض المحصورة بين الخابور وبلاد بابل جزءا من جزيرة العرب • وعدها شرابون قسما من العربية الصحراوية • وظهر العرب فى الجزيرة العليا فى زمن بومبى وذكر بلوطارخ وابيان ان سكان مملكة الرها كانوا عربا • وذكرت الحضر فى حروب طريانوس الاول مرة وقيل عن اهلها كلما ذكروا منذ تلك الحروب بانهم عرب • وشخصهم عربا ديوكاسيوس اشهر من كتب من الرومان عن الحروب بين الفرس والرومان[١] •

(١) ملخص عن مجلة سومر ، الجزء الاول ، المجلد الثانى سنة ١٩٥٢ •

مسح بعض اقسام الباديتين الشمالية والجنوبية

من قبل شركة نفط البصرة

كان قد منح امتياز الى « شركة نفط البصرة » للقيام بمسح الطريق الصحراوى ، من منابع النفط فى الزبير الى مركز ك٣ فى حديثه ، بغية ضخه الى ميناء « بانياس » ؛ وقد علمت يومئذ ان النية كانت متجهة الى ضخ نفط عبادان ايضا الى نفس هذه المحطة •

كان ذلك قبيل الحرب العالمية الثانية ، غير ان قيام الحرب ، وانشغال بريطانيا بها انشغالا كليا ، ثم تعذر استثمار هذا النفط بالذات، وعلى هذا الوجه خلال الحرب ، كل ذلك مما أخر العمل الى ما بعد الحرب ؛ وفى أواخر سنة ١٩٤٨ بوشر بالعمل ، فقام اتحاد شركات النفط بمد خط الانابيب عبر الصحراء من أقرب طريق • وقد قامت هيئات فنية بذلك العمل وانتهت منه • ويتضح من هذا ان لدى شركة النفط خرائط جاهزة مفيدة لاقصر المسافات فى هذه الصحراء • وفى امكان الحكومة العراقية ان تستعين بها على القيام بمشاريعها المقبلة فى هذه الصحراء ، من ناحية الماء ، ثم الأستفادة من الطريق القصير للسيارات وقوافل العشائر الرحالة • ولا بد ان الشركة قد توخت – لغرض نصب محطات فى هذه الطريق الشاسعة – معرفة وتعيين الاماكن الملائمة لحفر الابار الصالحة للشرب ، أو الاستفادة من الابار الموجودة •

ان جهود شركات النفط هذه – بعد ان صرف النظر عن امرار

نفط البصرة وعبادان من هذه الصحراء ـ يجب الا تذهب سدى ، ففي امكان الحكومة العراقية استغلال هذه الجهود في مشاريعها القادمة .

اننا نلفت النظر الى هذه الناحية ، واذا كانت هذه المعلومات البدائية البسيطة التي توفرت لدى نتيجة إشتغالي سنتي ٩٤٨ و ٩٤٩ في لواء الدليم ـ سطحية فلا بد ان هناك تفاصيل وافية ، وتقارير مهمة ، تتمكن الحكومة من اخذها للاستفادة منها في مشاريع مجلس الاعمار .

تكاد تكون البادية الجنوبية أشد البوادى قسوة واكثرها جفافا ولذلك فهى تكاد تكون غير مطروقة من قبل البدو أنفســـهم الذين يقتربون فى الغالب من المناطق الخصبة قرب منطقة البصرة •

ويستغل هؤلاء البدو الابار القليلة الموجودة فى تلك المناطق والتى تنصب عليها المضخات • ويدل الخبر الاتى المقتطف من جريدة المنار الصادرة بتاريخ ١٩٥٦/٥/٢ على حاجة هؤلاء البدو الماسة الى مثل هذه الابار « كان اصحاب الاغنام فى منطقة خضر الماء يسقون اغنامهــم فى موسم الكلاء فى البادية الجنوبية من المياه التى تجلب بواسطة السيارات هناك وبما ان هذه الطريقة تكلف مالا طائلا لا يتحمله اصحاب الاغنام أو الرعاة منهم فقد تكرم بعض المعنيين بالامر من اهالى الزبير «وزودوا» المنطقة بماكنة للماء الامر الذى حفظ للرعاة مبالغهم ومصروفاتهم وقد علمنا ان هذه الماكنة تعطلت عن العمل وعادت ازمة الماء كالسابق واصبح اصحاب الاغنام يعانون من انقطاع المياه مرة اخرى » ثم تطلب الجريدة من الادارة المحلية الاهتمام بهذه المنطقة الحساسة •

ثم عادت فذكرت بعد خمسة ايام من ذلك « اننا ذكرنا فى عدد سابق انباء تعطيل ماكنة ضخ الماء فى المنطقة المسماة خضر الماء وتكبد الرعاة مصاريف كثيرة من توقفها وقد علمنا ان عددا من المكائن قد تم نصبها هناك من قبل المجلس الادارى ومديرية ناحية الزبير وقسم من أهالى الزبير وبما ان هذه المناطق مزدحمة بالاعراب الذين يقصدونها

للسقي فعليه طالب لفيف من سكان الزبير بنصب عدد آخر من المكائن في الابار الكثيرة الموجودة هناك تسهيلا لمهمة الرعاة وتخفيفا للازدحام الذي يشتد في مثل هذه المواسم على آبار خضر الماء وهو أمر مهم جداً»

والى جانب حرفة الرعي التي يحترفها أولئك البدو فان بعضهم يقومون أحيانا بالتهريب أو يكتفون بحمل البضائع المهربة وكثيرا ما سمعنا عن قوافل من الجمال ألقي القبض عليها وهي تحمل المهربات في تلك المناطق •

فان دل ذلك على شيء فانما يدل على شح تلك المنطقة وحرمانها حتى من المراعي في غالب الاحيان •

بالاضافة الى ذلك كانت تلك المنطقة المنفذ الذي تقدم منه العشائر الرحالة من شبه الجزيرة العربية بحثا عن المراعي ولذلك فهي لا تبقى هنالك وانما تتقدم الى الشمال والشرق تاركة وراءها تلك البقاع المجدبة •

وهنالك مشكلة اخرى بين العراق والكويت لم تحل حتى الآن وهي ان الحدود بين البلدين لم تخطط حتى الآن وغاية ما هنالك هو بعض نقاط يعتمد عليها الطرفان في تعيين الحدود في حالة وقوع اعتداءات بين عشائر الطرفين الرحالة ، والمفهوم ان السلطات العراقية والكويتية ستتفقان قريبا على ايفاد هيأة فنية مشتركة بين الجانبين لتعيين الحدود وتخطيطها وآنئذ سيصبح في الامكان العناية بالمناطق العراقيـة المتاخمة للحدود الكويتية ومسحها ومعرفة امكانياتها من ناحية الماء والعشب وامكان التجول والاستقرار على اطراف هذه الحدود •

في الامكان تلافي مشكلة الجفاف !

معامل انتاج العلف ونجاحها في البلدان الاخرى

مما يلاحظ في المنطقة الشمالية من العراق حيث تقطن العشائر الكردية ، ان هذه العشائر لها اسلوب خاص في تنظيم امور مواشيها ودوابها فقد اعتادت هذه العشائر بتأثير قساوة البرد في المناطق الشمالية ان تقيم الاكواخ والبيوت الخشبية المؤلفة من جذور الاشجار والمغطاة بورق الاشجار لسكنى مواشيها كل ذلك للمحافظة على هذه المواشي من البرد الشديد شتاء الذي غالبا ما يسبب هلاكها .

ولهذا السبب عينه ولانغمار كثير من المناطق في الشمال بالثلوج والامطار وما يصحبهما من برد قارص فقد اعتادت تلك القبائل على جمع ما يمكن ان بقيت مواشيها ودوابها من حشائش ونباتات أخرى وضمها بشكل « حزم » وان الطبيعة هي التي تحكمت في مقدرات هذه القبائل فجعلتها تتبع هذه الطريقة .

على انه لو كان ذلك بحكم الطبيعة فقط لكان من الواجب على البدو ان يلاحظوا ان موسم العشب في البوادي يتراوح بين الشهرين والاربعة أشهر على اكثر تقدير وانهم ملزمون باتباع طريقة مريحة لتأمين الغذاء لابلهم ومواشيهم ودوابهم طيلة ثمانية اشهر في السنة وان في امكانهم في سني الخير حيث تكثر الامطار وتزدهر البوادي بانواع الاعشاب مما تفيض عن حاجتهم ، أقول في امكانهم جمع ما يتيسر لهم جمعه من هذه الاعشاب وحزمه وحفظه الى الاشهر التي

يتعذر فيها اللجوء الى البوادي طلبا للكلاء غير ان هؤلاء البدو ، بدائيون في تصرفاتهم ، وغير منتظمين في امورهم الاقتصادية والا فانه لولا اتكاليتهم وتركهم الامور الى الصدف والمناسبات ، ولو كان لديهم شيء من الحزم لما ترددوا في سني الخير في جمع كميات كبيرة من هذا العشب الذي يغمر هذه البوادي المترامية الاطراف وحفظه الى موسم الربيع القادم وهم على كل حال يحتاجون الى توجيه وارشاد ويحتاجون الى استعمال الآلة في القيام بهذا العمل الذي لا تنكر مشاقه وصعوباته. على ان هنالك وجهة نظر اخرى في هذا الموضوع ترمي الى القيام بهذا العمل على نطاق واسع وذلك لغرض تأمين حاجة مختلف انحاء العراق الى العلف الحيواني لا البدو فقط . فانه (من عناصر تقدم الاقتصاد الزراعي في أي بلد كان ، انماء الثروة الحيوانية لتلك البلاد . ومن أهم عوامل انماء هذه الثروة هو انشاء معامل لانتاج العلف الحيواني. اذ بتأسيس معامل كهذه يتمكن الفلاح من الحصول على علف جاهز يحتوي قدر المستطاع على اكثرية المواد الاساسية لتغذية حيواناته .

ولما كان العراق بلدا تتوفر فيه مصادر عدة لتكوين علائف حيوانية ذات قيم عالية . فلماذا لا يفكر اصحاب رؤوس الاموال والمزارعين الكبار وحتى المستثمرين الزراعيين الصغار بتأسس معامل كهذه ، هذا مع العلم بان الايدي العاملة الفنية قد توفرت من عراقيين وغير عراقيين

أما فيما يتعلق بامكانيات نجاح مشاريع كهذه، فهذا أمر مدروس كان في امريكا معمل صغير ذو رأس مال لا يزيد على الالف دولار ، أما اليوم فان رأس مال هذا المعمل قد فاق الخمسمائة مليون دولار ، هـذا وان معامل انتـاج العلف الحيـواني بدأت بمعمـل صغير

واصبحت اليوم حوالى ألف معمل تتنافس فى انتاج أحسن العلائف الحيوانية وبارخص الاثمان وكل هذا ناتج عن اهتمام الفلاح الاميركى بايجاد طريقة مثلى تزيد من موارد ثروته الحيوانية .

ولقد دلت تجارب تغذية الحيوان عندنا ان العراق غنى بمصادر غذائية اساسية . ومن هذه المصادر الهامة هو السمك المجفف والكشك وبعض المحاصيل الحقلية ـ كالحنطة والشعير والذرة ـ وبعض المحاصيل البقولية ـ كالباقلاء والهرطمان ـ وكذلك النفايا الباقية من شركة استخراج الزيوت النباتية والمسماة بالكسبة . ولدينا من الاملاح المعدنية ما تحتاجه علائف حيوانية مثالية ولا يزال قيد الدرس امكانية الاستفادة من التمر ونواه كغذاء للحيوان ، فبكل هذه المؤهلات المادية والمعنوية والعلمية نحث اصحاب رؤوس الاموال والمزارعين وهواة تربية الحيوانات ان يتعاونوا على تأسيس معامل أهلية لانتاج العلف اسوة بما تقوم به شقيقاتنا مصر وسوريا ولبنان .)[١]

---

(١) من مقال للدكتور حقي شهاب التميمي ـ جريدة الزمان ـ ١٩٥٦/٨/١١ .

امكانية احياء البوادى الثلاث

ان هناك كثيرين ممن يعتقدون بأن أمر البوادى الثلاث أصعب من ان يعالج ، وان قضية احياء كثير من ارجائها وبعث الحياة فيها ، وذلك بجعلها مناطق زراعية ، بحفر الابار واحداث المراعى ، مسألة يتعذر تحقيقها ، نظرا الى أن هاتيك البوادى ليست الا صحارى واسعة شاسعة ، شديدة الحر صيفا ، قارصة البرد شتاء ، مما لا يساعد على انبات الزرع ، فضلا عن ان تربة الصحارى لا تلائم الزراعة بطبيعتها، باستثناء أنواع معينة من الاشواك والنباتات البرية التى لا تصلح الا لعلف الحيوانات وليس هناك اكثر من هذا والواقع ان هذا الرأى ، وان بدا لاول وهلة صحيحا ، فانه يوحى بأن صاحبه انما يتجاهل الى حد كبير الامكانيات والوسائل الفنية الحديثة التى لم يعد يستعصى عليها أمر • ويجب علينا أيضا ان لا ننسى ان لدينا مجموعة كبيرة من البدو الذين لا يريدون ان يسكنوا الا فى هذه البوادى والا فانهم يطلبون تركهم وشأنهم •

لقد اتخذ المجلس الاستشارى الزراعى فى دورته الاولى المنعقدة فى ١٥/٢/١٩٤٩ عدة قرارات تتعلق بضرورة العناية بالاصلاح الزراعى ، وقدم الى الجهات المسئولة توصياته الخاصة بهذا الموضوع وهى بلا شك توصيات قيمة • كما ان الدورة الثانية للمجلس نفسه المنعقدة بتاريخ ٢٠/١٠/١٩٤٩ ، كان قد أوحى انه من الضرورى :

« تهيئة الوسائط اللازمة لحفر الابار الارتوازية لتأمين المياه فى البوادى والاراضى المفتقرة الى المياه وتأسيس مستعمرات لاسكان العشائر الرحل واصحاب المواشى والاغنام » • كما أوحى بـ : « تأليف لجنة من خبراء مديريات الزراعة ، والبيطرة ، والرى ، والجيولوجيا والانواء الجوية والغرف الزراعية ، لتشكيل مؤسسة دائمة مركزية تقوم بما يلزم لدراسة وتحليل وتعيين مناطق الرعى والعمل على صيانة المراعى وحسن ادارتها وخزن نباتات المراعى للاستفادة منها فى تغذية الحيوان فى الاوقات التى تقل أو تنعدم فيها النباتات الخضراء • وكذلك انشاء الزرائب للاغنام » • و : « تنظيم المراعى الطبيعية واكثار الصالح منها بعد دراسة قيمته الغذائية وادخال الملائم من نباتات المراعى الاجنبية وحفر الابار الارتوازية بمقياس واسع ؛ وكذلك نشر طريقة انبات المراعى الاصطناعية فى المنطقة الملائمة وارشـــاد الزراع الى أفضل الطرق فى عمل الدريس والاســـتفادة من الجل ونباتات المزروعات الاخرى » وقد جائت كل هذه التوصيات لمصلحة البدو ســكان هذه الصحارى •

فاذا أخذ بهذه التوصيات والمقررات ، وشرع فى تنفيذها ، لا تمضى بضع سنوات حتى تكون أقسام كبيرة من البوادى الثلاث عامرة بسكانها وزراعتها ، فتضاف بذلك الى ثروة البلاد ثروة جديدة •

مناهج حفريات الابار الارتوازية

في البوادي

الثلاث خلال السنوات الاخيرة

تدل التقارير الكثيرة التى رفعتها المتصرفيات المختلفة التى تهمها أمور البادية على اهتمام الجهات المسؤولة بقضيــة الابار الارتوازية وشعورها بحيوية هذه الابار بالنسبة للصحارى وللبدو • كما ان اللجنة المؤلفة في وزارة الاقتصاد لتثبيت وتقرير حفر الابار ومقررات مجلس الاعمار تشير كلها الى ان اعمال الحفر فى البوادى الثلاث خــلال السنوات الاخيرة كانت تسير سيرا حسنا يبعث على الامل فى احياء مناطق غير قليلة من هذه البوادى الواسعة •

واذا سار العمل فى حفر هذه الابار على هذا المنوال واستمرت وزارة الاقتصاد على بذل هذه الجهود المضنية واستمر مجلس الاعمار على تقديم المال اللازم لانفاقه فى هذا السبيل فلا يستبعد انه لن تمضى سنوات خمس حتى نجد ان الابار التى سيتم حفرها ستكون كافية لتطمين حاجة القبائل الرحالة من الماء ، كما انها ستؤدى بالتالى الى تشجيع حركة التوطين وازدهار مناطق كثيرة من الصحراء • بالاضافة الى ان ذلك سيخفف كثيرا ان لم يمنــع نهائيا نزاعات القبائل على الكميات القليلة من المياه المتوفرة الان •

فأما الابار المقررة حفرها لسنة ١٩٥٣ فانها كما يلى :

١ - فى البادية الشمالية :

١ - بئر واحدة فى الهيتاوية بصدر الكصرة •

٢ - بئر واحدة فى فيضة الشفوك (شيودن) •

٣ - بئر واحدة فى فيضة الشغاوى (أبو غار) •

٤ - بئر واحدة فى فيضة الشغاوى (أمديسيس) •

٥ - بئران فى حطب غطامان بوادى الابيض •

٦ - بئران فى مسطب الديخلة بالهبارية (فوق مطب السلكى)•

٧ - بئران فى مطب الحزيمى بالغدف •

٨ - بئران فى فرع المعتدلة •

٩ - بئران فى عامج على الطريق العام •

١٠- بئران فى الضبعة على الطريق العام •

١١- بئران فى الكصرة (الصوفى) •

١٢- بئر واحد فى كبيسة (اواء الدليم) •

٢ - فى البادية الجنوبية :

١ - فيضة الرفاعى

٢ - مركز بصية

٣ - كور الصحن

أما الابار المقرر حفرها فى سنة ١٩٥٤ فهى كما جائت فى محضر جلسات لجنة حفر الابار التى تقوم بانجاز ذلك على حساب وزارة الاقتصاد •

أولا ـ فى البادية الشمالية :

١ ـ الاغرى

٢ ـ الولح

٣ ـ البريسم

٤ ـ الصوفى

٥ ـ كيلو ١٦٠

٦ ـ البريت

٧ ـ اللصف

٨ ـ قرية الكعيرة

٩ ـ المعتدلة

(ان مواقع الرفحة والبساتين وعالج قد رفعت نظرا لعدم توقع الحصول على ابار ناجحة فيها) •

ثانيا ـ البادية الجنوبية :

ينتقل جهاز الحفر الموجود فى بصية فى البادية الجنوبية الى المناطق التالية بعد انتهائه من العمل فى تلك المنطقة :

١ ـ فيضة الرفاعى

٢ ـ الشاوية

٣ ـ فيضة الذيب

٤ ـ السلحوبية

ملحوظة : ان موقع النهدين قد رفع نظرا لعدم توقع الحصول على بئر ناجحة فيه •

٥ ـ الشحيحات

٦ ـ حكى رشيد

٧ ـ مخفر عبده

٨ ـ الغـرفى

٩ ـ بركة خمد

١٠ـ مضخة الى عبده

١ـ الاعظامى

١٢ـ اشعيب الذيب

ثالثا ـ بادية الجزيرة :

١ ـ مخفر شرطة الصليبى

٢ ـ الدبشية

٣ ـ مخفر شرطة المنايف

٤ ـ مخفر شرطة الطريفاوى

٥ ـ الريشة

٦ ـ الحجيف

٧ ـ مشرفة الجسر

٨ ـ مخفر شرطة تل عبطة

٩ ـ مخفر شرطة بكه

١٠ـ أم عزبة

١١ـ اغلبية

١٢ـ اسعدية

١٣ـ مويلح

١٤ـ شطيطه

١٥- ابو حجرة

١٦- مركب الطير

١٧- حداجة

١٨- أم الهرام

١٩- بئر الاعمى

٢٠- وادى الهمل

٢١ ضربة الذيب

أما الابار المقرر حفرها على حساب وزارة الاقتصاد ايضا لسنة ١٩٥٥ فهى :

أولا ـ البادية الشمالية :

١ ـ الرطبة

٢ ـ البريسم

٣ ـ محبوز

٤ ـ النخيب

٥ ـ قرية الكعيرة

ملاحظة : لا يمكن البت فى جيولوجية بعض المواقع المذكورة أعلاه بالنظر لعدم الكشف عليها ودراستها وانتهاء تقرير الابار الارتوازية فيها :

أما الابار المذكورة فى قائمة الاعمار والمحذوفة من هذا المنهج فهى :

١ ـ الصوفى ٢ ـ الكيلومتر ٦٠ ٣ ـ البريست ٤ ـ اللصيف ٥ ـ المعتدلة ٦ ـ اركاص ٧ ـ الرخمة ٨ ـ مساد الرطبة •

ثانيا فى البادية الجنوبية :

١ - حويشان رقم ٢

٢ - بركة حمد

٣ - بئر شعيب الباطن (مخفر المعاينة - مركز شبكه)

٤ - الرحى

٥ - حلاوه

٦ - الهلمية

٧ - شعيب الغانمى

٨ - تخاديد

٩ - الضعرسية

١٠- صيدان

١١- لايذ

(الآبار المذكورة فى قائمة الاعمار والمحذوفة من هذا المنهج) ٠

١ - الشاوية

٢ - فيضة الذيب

٣ - السلحوبية

٤ - الفرخ

٥ - مخفر عبدها

٦ - حكى رشيد

ثالثا - بادية الجزيرة :

١ - مركز شرطة صريفاوى

٢ ـ مركز شرطة تل عبطة

٣ ـ مخفر شرطة بكه

٤ ـ مشرخة الجسر

٦ ـ عين الفرس

٧ ـ أم غربه

٨ ـ الريشه

(وان الموقعين المذكورين ادناه مذكوران في قائمة وزارة الاعمار ومحذوفان من المنهج) •

١ ـ مخفر شرطة المنائف

٢ ـ دبشية

ملاحظة : سبق وحفرت بئر في الدبشية واعتبرت فاشلة لرداءة مياهها •

أما منهج حفر الابار الارتوازية على حساب وزارة الاقتصاد ايضا للسنة ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ الحالية فهي :

آ ـ البادية الجنوبية :

ينقل جهازا الحفر الموجودان حاليا في تخاديد والسلحوبية الى المواقع التالية حال انتهاء الحفر منها :

١ ـ الشفاوي في منطقة الشبكة

٢ ـ الشفاوي في منطقة السلمان

٣ ـ النهدين في منطقة السلمان

٤ ـ خبرة صالح في منطقة بصية

٥ ـ الشيحى فى منطقة السلمان

٦ ـ الحليوات فى منطقة السلمان

٧ ـ أم هشيم فى منطقة الشبكة

٨ ـ الشاوى فى منطقة بصيه

٩ ـ برجة حمد فى منطقة الشبكة

ملاحظة : لا يمكن البت فى جيولوجية بعض المواقع المذكورة اعلاه للنظر لعدم الكشف عليها وتقرير صلاحية الابار الارتوازية فيها •

ب ـ البادية الشمالية :

ينقل جهاز الحفر الموجود حاليا فى الرطبة (حال الانتهاء من حفر احد بئرى الرطبة) الى الموقعين التاليين :

١ ـ بئر الرطبة الثانى (السابع بالنسبة لنا)

٢ ـ كيلو متر (١٦٠) بين الرمادى والرطبة

ملاحظة : ان الابار التالية قد ذكرت ضمن قائمة حفر الابار الارتوازية لوزارة الاعمار لذا قد حذفت من هذا المنهج •

الابار المذكورة لدى الاعمار هى :

١ ـ مساد الرطبة

٢ ـ مساد الركاس

٣ ـ مخفر شرطة محبور

٤ ـ مخفر شرطة التخيب

٥ ـ رقحة

٦ ـ مخفر شرطة اللصف

٧ ـ البريست

ينقل جهاز الحفر الموجود حاليا فى موقع بكه حال انتهاء حفر البئر هناك الى المواقع التالية :

١ ـ موقع طريفاوى
٢ ـ موقع أبو راسين
٣ ـ موقع الشيخة
٤ ـ موقع الحجف
٥ ـموقع مشيرفة الجسر
٦ ـ موقع الاصكله
٧ ـ موقع السعدية
٨ ـ موقع أم خزنه
٩ ـ موقع خربة الطيرة

ملاحظة : ان موقع المنايف قد ذكر فى قوائم وزارة الاعمار لذا فقد استبعد من هذا المنهج •

اكتيال العشائر الرحالة

سبق ان بحثنا فى موضوع اقتصاديات البدو وكيف انهم بعيدون كل البعد عن الاقتصاد بالمعنى المفهوم لاختلاف عاداتهم مع عادات أهل المدن وعدم امكانية انطباق النظام نفسه عليهم وهم فى صحراءهم تائهون لا يعلم أحد متى يصلون الى هذه المنطقة أو متى يتركونها الى تلك ، ولذلك فغالبا ما تفاجأ بعض المدن القريبة من الصحراء بهم مكتالين من أسواقها دون أن يستعد التجار لهذا الاكتيال فيؤثرون باقبالهم السريع المباغت على الاسواق واسعارها فترتفع ثم تقل المواد الغذائية ويجأر الاهالى بالشكوى من هؤلاء البدو الذين تسببوا فى رفع الاسعار بينما لا يعلم البدو أنفسهم شيئا عن هذه الاسعار وهم ببرائتهم الفطرية آتون ليحملوا من الزاد ما يحتاجون اليه طيلة العام أو لفصل على الاقل لا ليرفعوا الاسعار أو ليحرموا مواطنا من الطعام .

رأينا اذن كيف ان عاداتهم فى الترحل والسفر المفاجىء من مكان الى آخر تستتبع موجات من المشاكل فى المدن التى يؤمونها أو التى يقتربون منها فيؤثرون فى اقتصادياتها وتظل ذيول زيارتهم مددا طويلة فى بعض الاحيان ويعانى منها السكان المتحضرون الامرين نظرا لان بعض التجار يستغلونها فيرفعون الاسعار عمدا متذرعين بأن البدو كانوا السبب فى كل ذلك . وان البدو انما يهربون هذه الارزاق الى خارج الحدود العراقية .

انا نعلم ان البدو يحتاجون الى الاشياء التى يكتالونها احتياجا ملحا

وانهم مهما كانوا بسطاء في معيشتهم ورغباتهم فانهم لا يستطيعون التخلي عن الرز الذي (لا يزرعونه) والبن الذي لا ينتجونه والتمر الذي هو غذائهم الاول وهم مضطرون على ذلك لشراءهما من أسواق الاكتيال بأموالهم الخاصة فما سرقوا ولا نهبوا وانما قدموا لتجار الاسواق هذه القطع الصفراء والبيضاء التي تعبدها المدن والتي لا يقيمون هم لها اعتبارا وتكاد تفقد قيمتها في صحراءهم القاحلة •

والمعروف ان اسعار الحاجيات في قرى الاكتيال متفاوتة تفاوتا كليا مع اسعارها في المدن العراقية الاخرى بالنظر لبعد هذه المواقع عن مناطق الشراء وصعوبة الطريق وبهاظة اسعار النقل وللتعقيدات التي تفرضها الحكومة بين وقت وآخر على النقل وتقييد مقدار الكميات الداخلة الى القرى الواقعة على حافة الصحراء خوفا من تهريبها الى البلاد المجاورة ، ومع ذلك فان صغار التجار في هذه القرى دائبون على جلب الكميات اللازمة من الحبوب والتمور والرز والاقمشة التي تحتاجها العشائر الرحالة والتي تؤم هذه القرى للاكتيال وتأمين حاجتها من الاقمشة •

ان مناطق الاكتيال هذه من المواقع المستهلكة ويؤمها كثير من أعراب البوادي بدون انقطاع ومن مختلف الجهات والاقطار المجاورة وان تفاوت عدد هذه العشائر باختلاف المواسم والفصول • فتوفير الحاجيات فيها ضروري جدا •

ان مجرد وضع تقييدات واصدار أوامر لمنع النقل والتصدير الى القرى التي تقع على حواف الصحراء يؤول حتما الى ارتفاع الاسعار في تلك القرى الامر الذي يضر بسكانها أولا وبالعشائر التي تقصدها

ثانيا أما الخوف من تهريب هذه الكميات من الحبوب فيكن معالجته بتأسيس ادارة مدنية في هذه القرى وجعلها مراكز نواحي لمراقبة هذه الجهة من قبل الموظف الاداري وموظفي الكمارك والاستهلاك في مثل هذه القرى لان الوضع السائد في الوقت الحاضر في أغلب هذه المواقع يدعو بعض التجار هناك لاحتكار بعض الاطعمة فيتحكمون بالثمن بالشكل الذي يروق لهم ويتضرر من جراء ذلك سكان هـذه القرى والعشائر التي تتردد اليها للاكتيال ٠

ويعقب ذلك اضطرار هذه العشائر للبحث وراء أسواق جديدة لاكتيالهم فتفقد هذه القرى ما اعتادت شراءه منهم من دهن وصوف وغنم والمنتجات الاخرى التي اعتادت ان تشتريها من هذه العشائر فيتضاعف الضرر ويعم البؤس وهذا ما هو واقع فعلا في اغلب هذه المواقع ٠

ان تردي الحالة الاقتصادية لناحية عين التمر مثلا وعدم تمكن اسواقها من اسعاف طلبات العشائر الرحالة التي تتردد اليها للاكتيال ونشاط سوق الرطبة آل الى توجه عرب البوادي الى الرطبة وهي سوق تعتبر جديدة اسهل من غيرها من قرى الاكتيال وذلك لانها موغلة في الصحراء يكاد يكون سكانها من البدو انفسـهم وهم لذلك يألفون بعضهم بعضا في المعاملة وكأنهم حد وسط بين المدينة وبين الترحل ٠

« هناك من العشائر الرحل غير عنزة عشائر أخرى تضرب في الصحاري المتصلة باللواء وتتخلف الى كربلاء للاكتيال كعشيرة الزكاريط التي يرأسها برع الطلاع وهي فخذ من عشيرة شمر ٠ وبين عنزة وبين الزكاريط جفاء كان سببه التنافس على زراعة اراضي (وادي خضيرة) في ناحية عين التمر وقد استقرت مصلحة الادارة على رفع

علاقة كلتا العشيرتين من استثمارها لتفادى الاصطدامات • وهو رأى له وجاهته فى استتباب النظام •

أما فى ناحية عين التمر فسكانها أقرب الى مدنيين منهم الى عشائر فليس هناك عشائر متكتلة تحت نفوذ رؤساء وانما فيها محلات كل محلة يرأسها مختار يعين من قبل الحكومة حسب تعليمات تعيين المختارين • والواقع ان سكان هذه الناحية وان انتسبوا الى العشائر المتفرقة لكن نزوحهم من مجموعاتهم العشائرية منذ عشرات السنين وسكناهم هنا قد جردهم من الطابع العشائرى » •

وتعتبر مدينتا النجف وكربلاء من مراكز الاكتيال المهمة فى العراق فمنها يأخذ أعراب البادية مؤونتهم السنوية من المواد الغذائية كل عام ويكثر ترددهم فى فصل الصيف بصورة خاصة وهو موسم الرز والتمور • على ان الجماعات التى تأخذ مؤونتها من النجف تعد اكثر من تلك التى تفد على كربلاء بكثير ومن هنا نشأت مشكلة الاكتيال فى النجف لكثرة ما يصدر من الحبوب الى البادية باسم هؤلاء الاعراب واكتنفتها بعض الاقاويل والملابسات •

ينقسم هؤلاء البدو الى قسمين :ـ

أ ـ عراقيون يكتالون مؤونتهم بموجب استمارة تعرف باسم س/١٥ يمنحها لهم مأمور الاستهلاك بناء على ترخيص من السلطة الادارية •

ب ـ سعوديون تزودهم دوائر الاستهلاك باستمارة س/١٤ بالاستناد الى موافقة الجهة الادارية وترسل هذه الاستمارات الى دائرة

الكمرك المختصة لاصدار تصريحة بها بعد استيفاء الرسم القانونى عنها.

لقد حددت لجنة التموين العليا الكميات المسموح للسعوديين باكتيالها من الرز بموجب قرارها المرقم ٩ لسنة ١٩٥١ كالآتى :ـ

٣٠٠٠ طن من النجف

٥٠٠ طن من كربلاء

لم تحدد الكميات الخاصة بالاعراب العراقيين فهؤلاء يستطيعون الحصول على كفايتهم من المواد كلما احتاجوا اليها وتحقق للسلطة الادارية احتياجهم حقا لها •

ولقد تبين فى المدة الاخيرة ان الطريقة المتبعة فى تموين هؤلاء الاعراب طريقة غير مركزة اذ كانت القائمقامية تمنح اجازات بنقل كميات كبيرة الى البادية باسم اصحاب محلات الاستهلاك الذين يتولون هم نقلها الى مراكز معينة فى البادية بزعم بيعها هناك الى البدو بالمفرد • وهذا ما حدا بنا الى ان نطلب من القائمقامية العدول عن هذه الطريقة السقيمة التى لا تؤمن الغرض بأى حال من الاحوال • ووضعنا قاعدة مفصلة لتأمين هذه الجهة بموجب كتابنا المرقم ١٣٦٥٣ والمؤرخ فى ١٩٥١/٩/١٨ نصحنا فيه بمنح الاجازات الى الاعراب فقط بعد التأكد من وجودهم فى القضاء لهذه الغاية وحددنا الكمية لكل شخص بخمسين كيلو من الرز السابر وعشرين كيلو من الطحين العادى وهذا الترتيب نفسه نفذ فى كربلاء وقصبة عين التمر[١] •

لقد كانت هذه المشكلة احدى المواد التى ناقشها المتصرفون فى

---

(١) من تقرير الدور للمؤلف عن لواء كربلاء ـ مؤرخ فى ١٩٥٢/٨/١٢ •

اجتماعهم المنعقد فی البصرة بتاریخ ١٩٥٢/٥/١٧ وفی الاجتماع الثانی المنعقد بتاریخ ١٩٥٢/٦/٥ فی دیوان وزارة الداخلیة وانتهت هذه المشكلة بوضع خطة معینة صادقت علیها الوزارة •

وهنالك ایضا مشكلة اخری یعانی منها البدو الامرین ، تلك هی أن مراكز الاكتیال التی ذكرناها بعیدة عن مناطق تجوالهم فهم مضطرون اذن الی قطع المسافات الطوال من أجل الحصول علی ما یحتاجونه من ضروریات الحیاة وكثیرا ما یقطعون صحاری لا یوجد فیها ماء ولا فیء والواقع ان الصحراء التی یتنقل فیها البدوی لیست بالقسوة التی تشتهر بها الصحاری بصورة عامة فهو یختار مناطق تجواله فی مناطق وان شحت بالماء الا انه موجود فیها بسافات معقولة أما اذا تعدت تلك المسافات حدود الاحتمال أی سار البدوی مسافات طویلة دون ان یجد أثرا للماء فان ذلك جدیر بأن ینهك قواه ویدمر حیواناته ویعذبه أشد العذاب • وهو مضطر الی احتمال كل ذلك كلما احتاج الی مواد الاكتیال فیهرع الی تلك المدن البعیدة ویطوی الفیافی صابرا علی قضاء الله ظمآنا یشرب من الماء الذی یحمله وتشرب منه ابله بمقدار ضئیل جدا •

وعلی هذا فان الحاجة ملحة الی قری ومراكز للاكتیال قریبة من مناطق تجوال البدو كما ان وجودها سیؤدی الی الامور التالیة :

١ ـ لن یشتری البدو كمیات كبیرة تكفیهم طول العام ، لان المراكز قریبة منهم فیترددون علیها دائما ویشترون كفایتهم لاسابیع یعودون بعدها للتزود من جدید وبهذا لن تؤثر الكمیات القلیلة التی یشترونها علی أسعار الاسواق ولا علی الاستهلاك المحلی •

٢ ـ ستفضح الكميات الكبيرة التى يشتريها البعض اصحابها بناء على ما ذكرناه فى الفقرة الاولى ، لان البدوى نفسه لن يحتاج الى مثل هذه الكميات الكبيرة ، واذن فالمشتريات مقصود بها التهريب مما يسهل على رجال الامن عملية مراقبتها •

٣ ـ سيؤدى تردد البدوى دائما على مراكز الاكتيال هذه الى احتكاكه الدائم بالسكان المستقرين فيها مما سيجعله ميالا الى حياة الاستقرار وسيشجعه ويضرب له مثلا دائما حيا على فضائل حياة الاستقرار وميزاتها • كل ذلك تستطيع الحكومة ان تجنيه من وراء انشاء عدة قرى اصطناعية قريبة من مناطق تجوال البدو قربا كافيا مع اعتمادها على الابار وتشجيع الحكومة وستكون فى وقت واحد مراكز للتجارة وللامن وسيطرة الحكومة ونواة لبلورة البدو حولها وتركيزهم فيها •

على ان طبيعة الحياة ورغبة الانسان فى البحث عن أبسط الوسائل لانجاز متطلباته أديا الى :

« تحول اكتيال اعراب البادية من كربلاء الى مراكز الاكتيال الجديدة التى وثق سكانها روابطهم بالبدو واحكموا علاقاتهم بهم على مر الزمن • فكربلاء كانت الى سنين خلت تعد من أهم مراكز توزيع الحبوب فكانت تستقبل عشرات الالوف من البدو الرحل فى مواسم معينة من السنة تبيع لهم التمور والرز والاقمشة وتقايضهم بالسمن والصوف والابل والاغنام • وقد انعدم هذا المورد الجسيم لتحول وجهة هؤلاء الاعراب شطر مراكز الاكتيال الجديدة كالنجف والسماوة والزبير »[1] •

---

(١) تقرير الدور للمؤلف ـ تاريخ ١٩٥٢/٨/١٢ •

تعاريف :

عنز : بطن من عجل بن لجين من العدنانية •

عنز : بطن من عك

وعنز : بطن من هوازن من العدنانية كان بالكوفة •

عنز بن وائل : بطن من العدنانية وهم بنو عنز بن وائل بن قاسط بن أقصى بن دعمى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان •

ويوجد عنز بن سالم بطن من الخزرج •

وعنز بن أسد اكبر قبائل العرب فى وقتنا الحاضر تنسب الى عنزه بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد وتمتد منازلها من نجد الى الحجاز فوادى السرحان فالحماد فبادية الشام فى حمص وحماة وحلب •

ويمكن تقسيم هذه القبيلة الى ثلاثة بطون كبيرة مسلم ووائل وعبيد وتقسم عنزه بحسب مواقعها الجغرافية الى عنزة العراق وهم العمارات « الجبل والدهامشة »•

وعنزة الفرات والجزيرة الفدعان « الولد والاخرصة » •

عنزة حماة الاسبعة « البطينات والاعبدة » •

عنزة حمص الحسنة ؟

عنزة دمشق وحوران الرولة والولد على والمحلف •

عنزة الحجازية الابدة والفقرا[1] •

---

(١) معجم قبائل العرب للاستاذ عمر رضا كحاله الجزء الثانى ص ٨٤٥ ـ ٨٤٧ •

وتدعى القبائل التى انحدرت منها عنزة (الفجير أو الفقير) وعايدة وان مدينة خيبر كانت مركز عشيرة عنزة ولهذا فان بيتيها الحاكمين يدعيان بآل بشر وعجلاس وان قبيلة عنزة هى أقوى العشائر البدوية نظرا لما تملكه من العدد العديد من الجمال وهم يروون أن جدهم وايل صلى الى الله فى ليلة القدر واضعا يده على ناقته واليد الاخرى على جسمه ودعى أن يكثر الله ابله فاستجاب الله لدعاءه ٠

ان عدد الذكور فى عنزة اليوم يقارب ٣٧٠٠٠ وان جمالهم تعد مليونا وغالبا ما يتنازع أفراد العشائر فيما بينهم ولكنهم يتحدون دائما ضد من لم يكن عنزيا كما ان عدو عنزة الدائم هم شمر سواء كانوا فى الشمال أو فى الجنوب[1] ٠

ومنطقة عشيرة عنزة هى الجهة الغربية من بادية الشام من حدود شرق الاردن ويتجول قسم منها بين عنه ودير الزور كما ان قسما يأتى الى مدينة كربلاء للاكتيال وتسكن قبيلة العمارات التى تنتمى الى عنزة فى الاراضى التى تعتمد على جانبى الفرات بين مدينتى كربلاء وعنه وتقوم هذه القبيلة بمساعدة سلطات الشرطة لحفظ الامن على طريق الصحراء بين بغداد ودمشق ٠

وتبلغ نفوس عشائر عنزة التى تسكن العراق حوالى مائة ألف نسمة بفخذيها « الجبل والدهامشة » وتقدر نفوس كل من عشيرة الجبل بخمسين ألف نسمة وعشيرة الدهامشة بخمسين ألف على ما

(١) عرب الصحراء ــ دكسن ٠

ورد في بعض عرائض الشيخ محروث الهذال وأني أميل الى تصديق ذلك لان هذا الشيخ لا يقول الا الصحيح ولا يمكن ان يقول ما هو غير صحيح اطلاقا •

وتقسم عشيرة عنزة التي تستوطن العراق الى قسمين :ـ

١ ـ العمارات

٢ ـ الدهامشة

وتنقسم البادية التي كانت تسمى بادية الشام أو الشامية في الحاضر الى باديتين : (البادية الشمالية ومقرها الرطبة وتقطنها عشيرة العمارات التي يرأسها « الشيخ محروث الهذال ») •

و (البادية الجنوبية) ومقرها نقرة السلمان جعلت موطنا الى عشيرة العمارات •

أما بادية الجزيرة فقد جعلت موطنا لعشيرة (شمر) • وفي موسم الرعي يجوز اختلاط الجميع في البوادي فيما اذا اجدبت الصحراء في جهة واينعت في جهة أخرى ، ولكن الغالب ان عنزة ترتاد وتصطاف في الشامية • وشمر ترتاد الجزيرة وقد وضعت هذه الترتيبات من قبل وزارة الداخلية استنادا الى التعامل القديم وملاحظة موطن سكن كل عشيرة عند استيطانها في البوادي خوفا من احتكاك العشيرتين فيما اذا اجتمعتا •

أما في حالة عبور احدى العشيرتين الى منطقة العشيرة الاخرى بلا سبب ملجيء فأنه لا يفسر الا لغرض التعرض والتحرش والاصطدام ثم أن مسير هذه القبائل في هذه البراري يتبع منهاجا معينا

تطلع عليه السلطات الحكومية المختصة وتراقبه خوفا من وقوع حوادث مكررة •

وهذه العشيرة الكبيرة هى العشيرة الوحيدة التى لم يكن يمثلها فى المجلس النيابى العراقى أحد بحجة عدم تسجيل أفرادها فى دوائر النفوس وانتقالها بصورة مستمرة فى أرجاء الباديتين المذكورتين الواسعتين وهى حجة لا تقوم على أساس فعشائر شمر العراقية التى لم تسجل حتى الان والمتنقلة ابدا فى مناطقها متمثلة فى المجلس العراقى منذ بدء الحكم الوطنى عندنا • واهمال هذه الناحية بالنسبة لهذه العشيرة الكبيرة يجعل روابطها السياسية بالدولة ضعيفة واهية كما يجعل روح النقمة والتمرد فى نفوس شيوخها تفوز من الصدور بدون سبب معقول يدعو الى ذلك وقد تداركت مؤخرا الحكومة العراقية ذلك فجعلت الشيخ محروث الهذال ممثلا لعشيرته فى مجلس النواب أسوة بالعشائر العراقية الاخرى •

ولقد اخذت الحكومة العراقية تبر بوعودها لهذه العشيرة فى الاونة الاخيرة بحفر الابار الارتوازية فى مناطقها وفعلا فقد تم حفر ثلاثة آبار فى (الهبارية) وثلاثة أخرى فى (الشنانة) من البادية الشمالية لفرع الجبل كما تم حفر عدة آبار فى المكان المسمى (كور الحصن) وكذلك فى (الشبكة) من البادية الجنوبية لفرع الدهامشة ونحن نعلم ان هذه الابار التى تم حفرها لم تكن كافية لسد حاجات العشيرة من المياه • ونأمل ان تتضاعف أضعافا مضاعفة بحيث يصبح فى الامكان الاستفادة من مياه هذه الابار فى سقى اجزاء من مرابع العشيرة وزراعتها بالاشجار وغيرها لتكون فى المستقبل مراكز مهمة

تستهوى أفراد العشيرة على التوطن بجانبها والتنعم بخيراتها •

ومن المشاكل التى تشغل بال السلطات الادارية ما يحيق بطراز سكنى عشيرة عنزة من اضطراب ظل يلازمها على فطرتها منذ ان وجدت على وجه الارض ولما يتسن لها بعد ان تجارى أبسط مظاهر الحضارة فبقيت تحيا حياة البداوة وتعيش فى القفار والبرارى ، منها من آثر السكنى فى البادية الشمالية ـ وهى قبيلة الجبل ـ ومنها من لازم البادية الجنوبية ـ وهى الدهامشة ـ واتخذت من بادية السملوة وصحراء النجف والصحارى المتصلة بلواء كربلاء مستقرا لهـا بعـد ان قصرت حياتها على تربية المواشى شأنها فى ذلك شأن قبيلة الجبل وتنتقل فى مواسم وظروف شتى بحكم انتجاعها الكلاء ونحسب ان قد حان الوقت الذى يجب فيه مسايرة هذه العشيرة فى رغبتها فى التوطن والانصراف الى الزراعة وقد اعرب رئيسها الشيخ محروت الهذال عن رغبته هذه ورغبة عشيرته فى التوطن والزراعة غير مرة فى مراجعاته العديدة لمختلف الدوائر الرسمية ذات الاختصاص •

ويبدو ان هذه الرغبة تستقيم مع المصلحة العامة فى اسكان العشائر الرحالة وتحضيرهم ومن دراسة الموضوع من نواحيه المبدئية نرى ان اراضى البادية الجنوبية ـ حيث تكون مقر قبيلة الدهامشة ـ صالحة للاستيطان والزرع اذا ما تقدم ذلك حفر بعض الابار الارتوازية فيها فتوفر المياه بكثرة وتفيض عن حاجة المستطرقين وقد علمنا ان مجلس الاعمار والسلطات المختصة تعكف الان على دراسـة هذا المشروع كنواة لتوطين هذه العشيرة ونرى من الخير ان يعالج هذا الامر معالجة واقعية تنتج ثمرتها فى القريب العاجل •

هل تميل عشيرة عنزة الى التوطين :

تميل عنزة الى التوطين فارضة فى ذلك شروطا ثقيلة وقاسية انها تميل بشروط ثقيلة وصعبة ليس من اليسير تذليلها فبينما نجد ان عشائر شمر منذ عهد رئيسها الشيخ عجيل الياور تتساهل فى هذا المشروع وتطلب ايجاد أرض لها فى امتداد مناطق تجوالها فى بادية الجزيرة بل وان الشيخ عجيل المشار اليه كان لا يمانع بتجزئة عشيرته واسكانها أينما وجدت الارض على طرفى سهول نهر دجلة من مقدم الموصل الى سامراء ولكن لا ينكر ان هذه المنطقة هى منطقة شمر منذ مئات السنين باعتبار ان الحكومة العثمانية ملكت رئيس هذه العشيرة « فرحان باشا » مقاطعة الفرحانية فى قضاء سامراء •

ولكن عشيرة عنزة أو بالاحرى رئيسها الشيخ محروث الهذال يطلب ان يتم ذلك أولا فى « ديرتها » وان تحفر أبار خاصة لعشيرته بحيث لا يستفيد منها أحد من غير عشيرته وان لا تكون هذه الابار مشتركة بين عشيرتى الجبل والدهامشة وكلاهما من « عنزة » وان لا تكون على حدود منطقة كلا العشيرتين اللتين هما فى الحقيقة عشيرة واحدة •

أن هذا التزمت من هذا الشيخ لا يستكثر عليه فللرجل خلقه وتحفظاته فى الامور وتمسكه ببداوته واعتزازه بها وما تنطوى عليه من تصلب •

ان الشيخ محروث تعوزه النظرة العميقة لامور الواقع فيجب ان يلاحظ هذا الشيخ انه يعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين

وان التطور شمل القاصي والداني وانه يحاول المستحيل لايقاف عجلة التطور وان التفريق على الاقل بين فروع عنزة أمر ليس بالمستطاع قبوله •

ان توطين عشيرة عنزة بمثل هذه الشروط الثقيلة أمـــر من الصعوبة بمكان فهو على الاقل غـير عملي وليس من الممكن تذليـل الصعوبات التي تكتنفه بسهولة فيجب ان يكون هناك شيء من التساهل ولا بأس بالتحفظ في الامور للحفاظ على هذه العشيرة من ان «تدمرها» المدنيةالحديثة بكل وسائلها ومغرياتها ولكن عدم التساهل في اختلاط أفخاذ عشيرة عنزة أمر لا يستسيغه العقل ولا يتقبله الوجدان في عصر يذهب فيه الالماني والروسي والبولندي والافرنسي والعراقي والسوري واللبناني الى أمريكا وغير أمريكا من بعض البلاد وبعد استقرارهم هناك خمس سنوات ينال كل منهم كافة حقوق المواطنة ويصبح له الحق في أن يرشح نفسه الى أعلى المهام في الدولة بما فيها رأسة الجمهورية •

في ١٤/٦/١٩٥٥ كنت على موعد مع الرجل الفاضل السيد سعيد قزاز في وزارة الداخلية فوجدت الشيخ محروث الهذال في وزارة الداخلية وكان يشكو من مجيء فرقة من عشيرة الدهامشة « عنزة » الى أحد الابار التي تخص فرقة من عشيرة الجبل فاستكثرت هذه الشكوى مع علمي بأن بين هذه الفرق التي كلها من عنزة من الضغائن والاحقاد الشيء الكبير ولكن في الامكان تذليل مثل هذه الصعوبات دون ايصالها الى السلطات الحكومية •

ان الشيخ محروث الهذال وهو الرجل المستقيم المتدين الصادق تعوزه المرونة التي يتطلبها تطور الزمن وضرورة التساهل •

ان مثل هذه الشكوى لا تلاقي رحابة صدر ولا يتقبلها المسؤولون ـ بالرغم من وجود شيء من الوجاهة فيها ـ لان سماحة الشرع قبل سماحة الانسان جعلت الهواء والماء والكلاء مشاعة بين الناس فبأي حق يريد فرض قيود على الابار في الصحاري والقفار ليمنع من ارتيادها السابلة مهما كانت جنسيتهم وقوميتهم فكيف الامر اذا كان هؤلاء من عشيرة عنزة نفسها هذه أمثلة بسيطة من مسائل كثيرة نرجو من الشيخ محروث الهذال أن يتحاشاها •

ان النزاع القائم بين فرق عنزة آل جميل والصكور من جهة وبين الدهامشة من جهة أخرى بقي مستمرا حوال عشرين عاما وهو يتجدد بينهما من حين لاخر مما أدى الى اضطراب الامن فى بعض الظروف فى الباديتين خلال تلك المدة وقتل عدد كبير من الفريقين ونهبت أموال بعضهم ، ولو تحرينا أسباب هذا العداء المستحكم فى نفوسهم لوجدنا ان سببه الحقيقى هو عائدية المنازل والابار والمراعى • وكانت الحكومة عند كل حادث يقع بينهما تتكبد نفقات باهضة من جراء ارسال قوات مسلحة ترابط حول منازلهم عدة اشهر لغرض منع القتال والمحافظة على الامن فى البادية • وقبل بضع سنوات تشكلت لجنتان الاولى فى وزارة الداخلية وقوامها كل من مدير العشائر العام ومتصرف لواء الدليم ومدير الشرطة العام ومدير ادارة البادية الجنوبية ، والثانية فى متصرفية الدليم حضرها الشيخ عجيل الياور ورؤساء آخرون لتقرير مصيرهم واعطاء نهاية للفوضى التى كانت تسود علاقة هذه العشائر • وبالنتيجة أوصت اللجنة الاولى بموجب قرارها المؤرخ ٢٩/٥/٩٥٢ بابقاء الدهامشة فى البادية الجنوبية مع تخصيص آبار لها • كذلك صدر من وزارة الداخلية كتابان « الاول فى ٢٦/٩/٩٤٠ والاخر فى ١٣/٦/٩٤٠ موجهان الى مديرى ادارة الباديتين الشمالية والجنوبية مضمونهما الزام الدهامشة بالاستقرار ضمن البادية الجنوبيـة وعلى الدهامشة اتباع ذلك كما أوصت بحفر بئرين لهم فى « الجل »

بالاضافة الى آبار الجل السابقة وتطهير بعض آبار أخرى ضمن منطقة الشبكة لاستفادة الدهامشة منها • ثم صدرت الاوامر بجعل منطقة الشبكة الى عشيرة الدهامشة وادخلت بضمنها الجل والنهيدى التى تحادد السلمان وتبليغهم بذلك • وبهذا فقد انتهى النزاع ما بين آل جميل والصكور والدهامشة وعاد الاستقرار والصفاء بينهما •

والضغائن والحزازات بين عشيرتى عنزة وشمر موجودة منذ عهد الحكومة العثمانية وحتى الان بسبب حوادث الغزو التى كانت تتجدد بينهما من وقت لآخر • وآخر هذه الحوادث هو قتل نده بن ضبيان رئيس فرقة المحلف من الدهامشة من قبل احدى فرق شمر فى الاراضى السعودية فى شهر كانون الثانى ١٩٥٢ وقيام عشيرة الدهامشة فى الشهر المذكور بغزوين ضد شمر الجعفر الذين كانوا نازلين ضمن منطقة اللصف العائدة لفرقة الصكور من عنزة داخل الاراضى العراقية وقتل ثلاثة من شمر وجرح رئيسهم المدعو هادى الشريم ونهبت أموالهم لاخذ ثأر قتيلهم نده ضبيان • كما وقتل من الدهامشة فى هذين الغزوين اربعة اشخاص •

هذا وبالنظر للحوادث الدامية القديمة والجديدة بين عنزة وشمر وعدم امكان اجتماعهم فى محل واحد ولاعادة الصفاء بينهم فقد حددت منازل الدهامشة فى منطقة الشبكة وفقا للمقررات الانفة الذكر لان احتكاكهم مع بعضهم فى المنازل والمراعى وعلى الابار أمر يسبب حتما وقوع المشاكل وتجديد الخصام •

حدود الدهامشة ضمن منطقة الشبكة :

أما مفهوم حدود الدهامشة حسب مضامين أوامر وزارة الداخلية المستندة الى توصيات اللجنة ومجلس التحكيم المنعقد فى لواء الدليم والتحقيق الذى تم بشأن عائدية المنازل والابار التى يحق للدهامشة التصرف بها وان تكون حدا بينهم وبين شمر الجعفر أو غيرها من عشائر شمر التى اعتادت على التردد الى العراق فهى كالاتى :ـ

تبتدىء حدود الدهامشة عمقا من رأس الحدود العـــراقية ـ السعودية (الجميمة)

الى ما بين الحواره العائدة للدهامشة والصفارى

الى ما بين الشيرم العائدة للدهامشة والعاعه

الى ما بين النهيدين العائدة للدهامشة وجدر وجدرين

الى ما بين شعيب القليتى العائدة للدهامشة وفيضة الحلويات

. ان هذه المناطق تخصص الى عشائر شمر فى حالة وجودها فى العراق وتكون ضمن منطقة معاونية السلمان •

وتنتهى هذه الحدود الى حدود لواء الديوانية ما بين عين ضحك وعين المالح أما عرض المنطقة فتكون من الجل الى وادى الخر الذى يحد منطقة آل جميل والصكور •

عشيرة الضفير

تعريف :

الضفير حبل من الشعر ـ المنجد .

الضفير شط البحر وحبل من شعر « لفها ولو بضفير » والضفير حزام الرجل ـ البستاني .

ويعني اسم الضفير مجموعة من الاشياء الغريبة ومن نفس الجذر اشتقت الكلمات التالية (تضافر وضفر وضفائر) وعلى هذا فقد تجمعت الضفير من بيوت مختلفة واتحدت وتضافرت في هذه القبيلة .

محل سكناها :

تسكن هذه العشيرة صيفا وشتاء في البادية الجنوبية ضمن منطقة بصية التي تبلغ مساحتها (٧٠٠٠٠) كيلومتر مربع تقريبا متنقلة في أرجاءها وهي أرض أميرية وليس لاحد حق التصرف فيها . ومن مناطق تجوالها منطقة الحياد وجهمة وجهيم ولهمه وتكيد وخضر الماء وشكرة والهبارية وبصية وبصوة وأبو غار وخنكه ودافنه وتبعه والكسير والرافعية وجايدة والحيصامة والاشعلي وعين حمود وعين عساف وعين صيد والبطية وجفن .

رئيس العشيرة العمومي :

نايف الحمود الصويط ، وتمتهن هذه العشيرة تربية المواشي وعدد أسلحتها يقارب (١٣٤٠) بندقية ، وعدد مواشيها (٧٥٥٠) رأسا من الغنم و (١٤٨٠٠) رأسا من الماعز و (١٧٨١٠) من الابل و (٤٠٥) من الخيل ، وعدد بيوتها (١٣٥٠) بيتا ، وعدد نفوسها (٤٤٤٠) شخصا منهم (٢٨١٠) ذكرا و (١٦٣٠) أنثى •

وفيما يلي جدول مبين فيه الفرق التابعة لهذه العشيرة ورؤساؤها وأفخاذها ورؤوس الافخاذ •

اسم الفرقة	اسم رئيس الفرقة	اسم الفخذ	اسم رئيس الفخذ
الطلوح	جزاع الخثم	البطون	حنتوش العجمي الصويت
الزوارع	اشكير الساحوب	البطون	حنتوش العجمي الصويت
الرسمه	اشويط الرسيمي	البطون	حنتوش العجمي الصويت
الزيارة	عبدالعزيز الحبيب	بني حسن	عبدالعزيز الحبيب
الخليفات	خلف مرشد	بني حسن	عبدالعزيز الحبيب
الزهرية	ماجد جعان	بني حسن	عبدالعزيز الحبيب
الوسامه	صفوك ابي ذراع	الصمدة	حزام أبي ذراع
الرواتع	اخليان النازل	الصمدة	حزام أبي ذراع
الجيمان	اجلي اردعيان	الصمدة	حزام أبي ذراع
السويلم	احيثل ريشان	الصمدة	حزام أبي ذراع
العادين	دامج شوردين	الصمدة	حزام أبي ذراع
الحمرة	جهف منهاج	الصمدة	حزام أبي ذراع
الحشيفية	مزيد الفميصان	الجواسم	محمد الشيرم
الرشيد	ضخيم الفكر	الجواسم	محمد الشيرم
الكريع	حصين الكريع	الجواسم	محمد الشيرم

اسم الفرقة	اسم رئيس الفرقة	اسم الفخذ	اسم رئيس الفخذ
الشادي	نور دلفان	الجواسم	محمد الشيرم
الخيس	سعيد خشيبه	الجواسم	محمد الشيرم
المسامير	سالم مشعان	الجواسم	محمد الشيرم
اللوميح	جراح بن خزيم	الجواسم	محمد الشيرم
العالين	طحيش البريجي	الجواسم	محمد الشيرم
العريف	امحيط الفيصل	الطراد	مزيد الدرعة
العريف	امحيط الفيصل	الهلال	محمد الضيب
الشعلان	غنيم معجل	الصمدة	حزام أبي ذراع
العلجانات	حمد الهكيش	الصمدة	حزام أبي ذراع
العسكر	امنوح الحصبان	الصمدة	حزام أبي ذراع
الجثير	جالي الجريد	الصمدة	حزام أبي ذراع
الحلاف	جالي الجريد	السعيد	حزام أبي ذراع
السلطان	عجمي الصويط	الصويط	رمي الصويط
آل غفتان	هزاع اليعقوب	الصويط	رمي الصويط
آل شويش	دعيبل الصويط	الصويط	رمي الصويط
آل ضويحي	حيدان الضويحي	الصويط	رمي الصويط

حماية الجار عند الضفير

كيف هاجرت نصف الضفير الى السعودية ؟

من اشهر القبائل فى حماية الجار هى قبيلة الضفير فهم بصورة خاصة يفخرون بالاسم الذى حصلوا عليه على مر الايام كحماة الجار فقد اصبحوا مشهورين فى هذا ولهم فى ذلك القصص التالية :

توعد عم الشيخ حمود السويط مرة فى الديوان بانه سيلقى بنفسه على سيفه الذى سحبه من غمده ما لم يؤت بابنه أمامه ويذبح فى الحال بحضوره لان هذا الابن قتل أحد جيرانه فى خصام أحمق . وحاولت

العائلة كلها أن تحمى الفتى ولكنهم بعد أن أدركوا أن الشيخ مصر على رأيه قبض حمود السويط (وقد اصبح شيخا على الضفير بعد وفاة عمه) بنفسه على الولد وقتله بيده أمام والده . وهكذا رضى ضمير عمه عن شرفه . لقد حدثت هذه الحادثة سنة ١٩١٢ .

وفى سنة ١٩٣١ بينما كان الشيخ جدعان السويط (الذى اعقب الشيخ حمود فى مشيخة الضفير) مخيما فى الرهيل على الحدود العراقية الكويتية سمع أن أحد رجال قبيلته أطلق النار على رجل من عشيرة المطير التى كانت (قصيرة) أى جيرانه فى ذلك الوقت فجرحه . وبالرغم من أن قبيلة المطير كانت على عداء مع الضفير فى ذلك الوقت فقد أمر الشيخ جدعان برجل قبيلته فأحضر أمامه وقطع رأسه بيده . وانتشر الخبر بين البدو انتشار النار فى الهشيم الا ان الحكومة العراقية قبضت على الشيخ جدعان وأودعته السجن لأسابيع وحين رأت انه أصبح بطلا فى نظر رجال قبيلته أطلقت سراحه .

ولما خرج الشيخ جدعان من السجن أخذ نصف رجال قبيلته وخرج بهم الى السعودية ولم يعد الى العراق بعد ذلك وهكذا خسر العراق نصف عشيرة الضفير .

كذلك كان شأن الضفير فى حماية الجار الى درجة أن (منى) وهو شيخ آخر من شيوخهم المشهورين سمع يوما وهو عائد من احدى غزواته أن أحد الضيوف هوجم فى غيابه وقتل . وحالما سمع بهذا كف قلبه عن الخفقان وسقط من ظهر ناقته ميتا .

وعشائر الضفير من العشائر المهمة فى البادية الجنوبية ، وهى لا تقتنى سوى الابل التى عليها مدار معيشتها اذا استثنينا المخصصات

التى تمنحها الحكومة لبعض رؤسائها ، وليس لهم من الغنم الا ما يكفيهم وضيوفهم • وهذه العشائر تنتقل فى منطقتى الدبدبة والحجرة ، ولكن متى عرفنا ان البدوى بفطرته وطبيعة حياته يسير وراء المرعى اينما كان ، فلا يسعنا ان نعد عشيرة الضفير أو غيرها من عشائر البدو مقيدين بهذه المنطقة أو سواها ، فهم اذا ما وجدوا الربيع فى بادية نجد مثلا أخصب وأحسن من بادية العراق ، فلا يلبثوا ان يشدوا اليها الرحال فى ارتياد الكلأ والخصب ، وكذلك تفعل عشائر نجد اذا رأت ربيع العراق أخصب وأجود •

ولهذه العشيرة علاقة كبيرة بلوائى المنتفك والديوانية ، وكثيرا ما يقضى أفرادها موسم الصيف فى أرياف اللوائين ينقلون الحبوب من مكان لآخر •

نسب الضفير(١) :

نذكر لك العشائر التى تنتسب الى هذه القبيلة ، والاصل الذى ترجع اليه كل واحدة منها ، لانها فى الواقع لا تنتسب الى أصل واحد بعينه كما هى الحالة فى عشائر البادية الاخرى ، ولهذا سميت بالضفير ، أى انها مجموعة قبائل تضافرت وتكونت حتى صارت من العشائر الكبيرة المشهورة • وهى معروفة بكثرة تنقلها وتقلبها فى ميولها ، وهذه أقسامها :

السويط ـ وهم رؤساء الضفير وكلهم موالى ـ سادة ـ

السعيد ـ من قحطان •

---

(١) بنو ضفير ـ بطن من بنى لام من عرب الحجاز ، ومنازل بنى ضفير هؤلاء مقابل المدينة المنورة « نهاية الارب للقلقشندى » •

الكثير ـ بنى خالد •

العريف ـ ملحقون بالذرعان •

الذرعان ـ يرجعون الى الشريف حسن •

الجواسم ـ سبيع •

المسامير ـ عتيبة •

وهناك من يدعى ان الضفير يعودون كلهم الى عنزة ، ومن يقول : انهم من بنى خالد •

وعشيرة الضفير تقسم الى قسمين كبيرين :

١ ـ البطون •

٢ ـ الصمدة •

(١) القسم الاول (البطون) ـ وهى تشمل هذه الافخاذ :

١ ـ السويط •

٢ ـ الطلوح •

٣ ـ الزوارع •

٤ ـ الرسمة •

٥ ـ السعيد •

٦ ـ بنى حسين •

٧ ـ الكثير •

(٢) القسم الثانى (الصمدة) ـ وهى تتفرع الى سبعة افخاذ كبيرة :

١ ـ الذرعان ـ ورئيسهم ابو ذراع •

٢ ـ الجواسم ـ ورئيسهم محمد الشبرم •

٣ ـ العلجانات ـ ورئيسهم شهاب الحمد

٤ ـ العسكر ـ ورئيسهم منوخ بن كحيطان •

٥ ـ العريف ـ ورئيسهم العصلب ومزيد بن درعة •

٦ ـ المعاليم ـ ورئيسهم طميش البريجى •

٧ ـ المسامير ـ ورئيسهم مناور وسالم أولاد شعفان[١] •

ومما يدل على أن عددهم كان فى السابق أكثر مما هو عليه الآن أن العلامة ابراهيم الحيدرى ذكر فى كتابه عنوان المجد فى تاريخ بغداد وبصرة ونجد ما يلى : « ومن أعظم عشائر العراق الضفير وهم قبائل كثيرة يبلغون ثلاثين ألف نسمة فأكثر ومنهم بنو حسين من الاشراف ومنزلهم فى منازل المنتفك بين نجد والبصرة » •

نبذة من تاريخها القريب :

فى شهر ربيع الثانى سنة ١٩١١ شقت عصا الطاعة العشائر المنتشرة على ضفتى الفرات وانقطعت طرق المواصلات بين (القرنة) الى (الناصرية) ومنها الى (السماوة) ولما رأى آل سعدون بغى تلك الاقوام تركوا أملاكهم وعبروا الى الشامية للتخلص منها •

ولما شاع مجىء ناظم باشا الى بغداد وأنه قدم لاصلاحها وترقية شؤونها فرح آل السعدون بذلك ، فأولد هذا الفرح الحقد فى نفوس أولئك الناس لعلمهم أن السعدون سيكونون عونا ويدا للحكومة •

وكانت عشيرة الضفير موالية لآل سعدون ، ولكن الامر انقلب واذا بالضفير تصبح من أشد الناس عداوة لآل سعدون وسبب ذلك هو

---

(١) البادية للاستاذ عبدالجبار الراوى •

انه لما كان سعدون باشا قد نزل في (الروضة) في شهر محرم (كانون ثاني ١٩١١) ومعه جميع عشائره ، دبت الفتنة بينهم وبين الضفير وللحال انفصلت الضفير وغادرته الى مكان قصي وحاول سعدون باشا أن يعيد المياه الى مجاريها فلم يفلح •

وفي تلك الاثناء أخذ بعض محبي السلم يبذلون الوسائل لاصلاح ذات البين بين سعدون وشيخ الكويت فرحب بها سعدون بدون شرط ، وعاد أدراجه الى دياره ومعه الضفير وفي القلوب من الغيظ والموجدة ما لا يخفى على أحد حتى بلغ صداه الى ابن الرشيد لنصرته على الضفير لا سيما انها اعتدت عليه بتعرضها لقوافله سابقا وأخذها منه عددا من الابل وكان قد امتنع من التنكيل بها محبة لسعدون صديقه •

ولما قدم ابن الرشيد شعر ابن حويط رئيس عشيرة الضفير بحرج شديد فذهب اليه وطلب أن يتوسط بينه وبين سعدون ، فلبى طلبه ولكن سعدون باشا لم يقبل الصلح الا بعد الحاح شديد وبشرط ان تدفع الضفير خفر ٣٠٠ بعير و ٧٠ جوادا و ١٥ فرسا (والخفر عندهم أن يأخذ الامير الكبير من العشيرة العاصية بعضا من ابلها تأديبا لها) •

ولكن الضفير لم تلبث بعد هذا الوفاق حتى انقلبت على سعدون وخذلته ، وكانت هذه الوقعة في ٢٢ ربيع الاول = ٢٤ آذار سنة ١٩١١ في موقع اسمه الحسينية قرب (شقراء) التي فيها قصر سعدون باشا •

ولم تنته الامور الى هذا الحد ، بل آلت الى صورة أشنع ، اذ زار تسعة من شيوخ البدو في عيد الاضحى عجيمي بك بن سعدون باشا لينشروا السلام بين العشائر ولكنه غدر بهم كما غدروا بأبيه فقتل سبعة منهم ، ولما سمعت العشائر بهذه الخيانة هاجت وماجت وصممت

أن تنتقم من سعدون ، فخلعت طاعته ولم يبق من العشائر الموالية له سوى الضفير وهذه أيضا لم تبق على حبها له لانه غزا عنزة مع الضفير ومع بعض عشائر السماوة وكانوا له بمقام الخدم والعبيد • فانكرت الضفير عليه هذا العمل ومن ثم تحكمت النفرة بينهم •

ولما كان بقاء سعدون باشا في مقامه مما يزعج الخواطر ، كتب رؤساء العشائر رسالة الى ولايتي البصرة وبغداد وقد ذيلها أربعة عشر رئيسا بأسمائهم ، وحين تريثت الحكومة في اصدار أمرها تحالفت العشائر على مناهضة السعدون وضبطت قلعة صغيرة ، فطلب حينئذ سعدون من الحكومة ارسال الطعام الى أهل بيته بواسطة البواخر ففعلت ، ولكن العشائر أطلقت الرصاص على المراكب ، فقابلها الجند بالمثل •

وبعدما تحققت العشائر وجود سعدون في اللواء حاصرته أشد الحصار لاكراهه على الخروج من تلك الديار فخرج بعد حصار دام يومين وليلتين وبخروجه انتهى الحصار ، اما العشائر التي ناوئته في تلك الواقعة فكانت البدور والغزي والحسينات والبو عظم والعساكر •

وحين سمع سعدون بقدوم صديقه الحميم السيد طالب باشا مبعوث البصرة عائدا من الاستانة أراد مواجهته وكتب اليه رسالة يطلب فيها الاذن له بدخول البصرة • ولما وصلها نزل ضيفا به ، وحالما علم والي البصرة بوجود سعدون باشا أخبر برقيا لجنة التحقيق والاجراء بموافاة الشيخ المذكور فورد الجواب بالقبض عليه وارساله الى بغداد مخفورا • وتم القاء القبض عليه واقتيد مخفورا الى بغداد على الباخرة مسعودي في ٢٧ تموز وانزل في دار خاصة به وفي ٣ آب نقل الى

قلعة المدفعية الواقعة على دجلة ، وفي ٢٠ آب سافر الى حلب لمحاكمته هناك[١] .

أصلهم وفرقهم :

نزحوا من الحجاز منذ ٤٥٠ سنة وتنقسم عشيرة الضفير الى :

١ ـ فرقة بني حسين وهي مؤلفة من قسمين :

أ ـ قسم البجية وعددهم ٢٠٠ بيتا .

ب ـ قسم أطمات وعددهم ٢٠٠ بيتا تقريبا . ورؤساؤهم خلف المرشد ومجبل اعكيب .

٢ ـ فرقة السعيد ومعتمدهم سفاح الحلاف ويبلغ عددهم ١٠٠ بيتا .

٣ ـ فرقة اصويط ومعتمدهم نايف بن صويط وعددهم ٥٠ بيتا .

٤ ـ فرقة الذرعان ومعتمدهم حميدي أبو ذراع وعددهم ٣٠٠ بيتا .

٥ ـ فرقة الجواسم ومعتمدهم نايف بن عفيصان وعددهم ٣٠٠ بيتا .

٦ ـ فرقة الجثير ومعتمدهم مضيف بن اكريد وعددهم ٥٠ بيتا .

٧ ـ فرقة الزوارع ومعتمدهم زرد بن سلحوم وعددهم ٥٠ بيتا .

٨ ـ فرقة عريف ومعتمدهم محبطر المصلب وعددهم ٢٠٠ بيتا .

وبلغ عددهم في الوقت الحاضر ١٤٥٠ بيتا وقد التحق بعضهم كعشائر السعيد واصويط بالمملكة العربية السعودية .

وقد علمنا أنهم يفضلون حياة السكنى والاستقرار فالدهامشة مثلا يتوقون الى الاستقرار في أراضيهم عند توفر المياه ولهم تشبثات خاصة بهذا الصدد .

---

(١) عن مجلة (لغة العرب) الجزء الثالث ـ رمضان سنة ١٣٢٩ (ايلول ١٩١١) .

مناطق الآبار :

أما الآبار الخاصة بكل فرقة فهى كما يلى :

١ ـ فرقة بنى حسين وآبارهم الحيصامة والرجى •

٢ ـ فرقة السعيد ولهم الرافعية وخضر الماء •

٣ ـ فرقة اصويط وآبارهم البصية •

٤ ـ فرقة الذرعان ولهم أخنكه •

٥ ـ فرقة الجواسم ولهم أخنكه أيضا •

٦ ـ فرقة الجثير وآبارهم الجثيرى قرب الشكرة •

٧ ـ فرقة الزوارع ولهم الشكرة •

٨ ـ فرقة عريف وآبارهم المنيعى وصفى فى أراضى الحجرة •

ويتجولون فى أيام الشتاء من السلمان الى حدود بادية العراق الجنوبية وأما فى الصيف فيسكنون الآبار التى ذكرناها ولهذه العشيرة رغبة ملحة للتوطن والسكنى فى الاراضى الصحراوية التى هى منطقة تجوالهم الاعتيادية (أعنى ديرتهم) المألوفة وأن يصبحوا زراعا بعد أن ملوا حياة الترحل والتنقل •

المشاريع المنتظر انشاؤها لاجل الضفير :

تتناول مشاريع مجلس الاعمار أمر بناء خزانات كبيرة جدا من الاسمنت على الضفة الجنوبية لهور الحمار واعداد الامكانيات اللازمة لضخ مياه الهور اليها عموديا وبعد ذلك ايصال هذه الخزانات بمجار رئيسية تقطع أراضى الزبير متجهة نحو صفوان وبذلك يتحقق احياء قسم من أراضى الزبير الصحراوية على أن يشفع هذا المشروع

ومشروع آخر هو القيام بتقسيم أراضي هذه الصحراء الى قطع زراعية مساحة الواحدة منها لا تزيد على الخمسين دونما توزع على أفراد العشائر هناك الذين سبق لهم امتهان الزراعة ولا يملكون شبرا يزرعون به • على أن يكون نصيب كل عائلة من هذه العوائل قطعة واحدة •

وقد اختير هذا المشروع (كما يظهر) بعد أن تأكد لمجلس الاعمار من دراسات الخبراء أن أراضي الزبير هي أصلح الاراضي كما انه بالامكان انتاج الخير الوفير من هذه القطع التي ستعتمد على مياه الخزانات المذكورة •

والضفير عشيرة لم تنسب الى قبيلة وتقع منازلها في طوال الضفير وفي المنطقة المحايدة بين نجد والعراق وفي أطرافها وهي لا تتقيد بهذه المنطقة أو سواها بل اذا وجدت الربيع في بادية نجد مثلا أخصب وأحسن من بادية العراق فلا تلبث ان تشد اليها الرحال في ارتياد الكلأ والخصب •

ولهذه العشيرة علاقة كبيرة بلوائي المنتفك والديوانية وكثيرا ما يقضي أفرادها موسم الصيف في أرياف اللوائين فينقلون الحبوب من مكان الى آخر • وتنقسم هذه العشيرة الى قسمين كبيرين البطون والعسمدة[1] •

---

(١) معجم قبائل العرب الجزء الثاني ص ٦٩٦ للاستاذ عمر رضا كحالة •

عشيرة شمر

شمر : يطلق هذا الاسم على مجموعة من القبائل التى تقطن فى شبه جزيرة العرب فى المنطقة التى كانت معروفة قبل الحرب العالمية الاولى بامارة الرشيد وفى المملكة العراقية ، والجمهورية السورية ، وتنقسم هذه القبائل الى عدة بطون وأفخاذ .

اما شمر نجد فتدعى بشمر الجبل وهم الذين كانوا تحت امارة آل الرشيد وسموا بهذا الاسم لاقامتهم فى الجبال بأجأ وسلمى ولا تفترق هذه القبائل عن قبائل شمر الاخرى الا فى المواطن التى هى مركز امارتها وللتفريق فيما بينها وبين غيرها قيل لها : شمر الجبل أو قبائل ابن رشيد وهذه التسمية الاخيرة حادثة وينتمى أكثر أهل حايل الى شمر هؤلاء وليس لعشائر شمر النجدية اليوم رئيس عام ويقدر عدد بيوتهم بـ ٥٠٠٠ بيت .

ومن شمر قبائل انضوت تحت لواء آل الجرباء وهم من قبائل شمر التى خرجت من ديارهم فى نجد وهاجرت الى العراق والشام بقيادة الرؤساء آل محمد ويقدر هؤلاء بـ ١٥٠٠٠ بيت ثلثاهم فى العراق وثلثهم فى الشام .

واما فرع شمر التى اصبحت داخل الحدود الشامية وأقامت فى الجزيرة احدى محافظات الجمهورية السورية فتدعى أولا شمر

الزور أو شمر العمشات وثانيا شمر الحدود أو شمر دهام[1].

شمر : فخذ من السبخة ، من الابى شعبان بالرقة احد أقضية دير الزور من محافظات الجمهورية السورية . يعد ٢٥ بيتا .

(عشائر الشام لوصفى زكريا ج ٢ ص ٢٤٧ المعلومات الزراعية مخطوط ص ٢٦) .

شمر : فرقة من بنى سعيد احدى عشائر الشام الشمالية .

(عشائر الشام لوصفى زكريا ج ٢ ص ٢١٢) .

شمر : بطن من المجاورة . ينقسم الى الافخاذ الآتية : بيضان ، العراسة ، والمنصورة .

(عشائر الشام لوصفى زكريا ج ٢ ص ٢٤١).

شمر : بطن من طىء[2].

---

(١) عشائر العراق للعزاوى ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ عشائر الشام لوصفى زكريا ج ٢ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٨٠ و ٢٨٤ جزيرة العرب لحافظ وهبه ص ٥٣ . الرحلة اليمانية لشرف البركاتى ص ١٢٤ . ملوك العرب للريحانى ج ٢ ص ٢٥٢ . تأريخ سينا لنعوم شقير ص ٦٧١ رحلة فى البادية للحايك ص ١١٩ ، ١٢٨ . قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ص ١٦١ ــ ١٦٦ البادية لعبد الجبار الراوى ص ١٩٢ ، ١٩٣ . مذكرات مدحت باشا ص١٧٦ . مذكراتى لفايز الغصينى ص ١٠٢ ، ١٠٤ . افادات زراعية لشارل بافى ص٢٣٨) .

(٢) فى معجم البلدان لياقوت ج١ ص٨٨٧ : بنو شمر من بنى زهير من قراهم تورن ، وهى قرية فى أجا أحد جبلى طىء ، وفى نهاية الارب للقلقشندى مخطوط : بنو شمر بطن من العرب سكنهم جبلا طىء اجأ وسلمى بجوار لام ذكرهم الحمدانى ولم ينسبهم فى قبيلة . وفى تاج العروس : بنو شمر بن عبد بن جذيمة بطن من طىء . وفى الاشتقاق لابن دريد ص ٢٣٣ : بنو شمر من بنى هذمة بن عناب من طىء ابن أدد من بنى زيد بن كهلان وهم الذين ذكرهم امرؤ القيس .

تتألف قبيلة شمر من قسمين وهما :

شمر جربا : وتتجول فى أراضى الجزيرة الواقعة بين دجلة والفرات شمال طريق بغداد والفلوجة وقد أخذ رؤساء هذه القبيلة يبذلون الجهود المتواصلة فى سبيل اسكانهم •

شمر طوقة : ومنطقتها الاراضى الكائنة على ضفة دجلة اليسرى بين سلمان باك والكوت وقد استوطن قسم منها وأخذ يشتغل بالزراعة • ولقبيلة شمر أفخاذ أخرى تسكن جبل شمر الواقع فى نجد وتوجد بينها صداقة قوية وتوجد بعض القبائل التى تنتمى الى شمر أهمها : زوبع والفداغة والصايح وتقوم قبيلة شمر بمحافظة الامن على طريق الصحراء بين الموصل ودير الزور •

« ويتجول أعراب شمر فى المنطقة الواقعة بين الموصل وجنوب بغداد وذلك لرعى أغنامهم وقطعانهم اما اعراب عنزة فهم يتجولون فى المنطقة الواقعة بين كربلاء وجنوب حلب لتأمين المراعى لاغنامهم »[1] •

وأصل عشيرة شمر من نجد وأكثرها من قحطان وقد انصهر معها أناس كثيرون عندما رأوا ان فى حماها عزة • وأهم خصالها الكرم وحفظ الجار والشجاعة وحسن التوجيه فى القتال ومعرفتها فى ادارة المناطق التى سيطرت عليها فى الجزيرة وهى من أولى العشائر الرحالة التى بدأت فى السكنى وفى مقدمة العشائر التى اشتغلت بالسياسة ومحاولة تحرير البلاد العربية من الاستعمار وذلك قبل أكثر من ١٥٠ سنة بوقت صفوك الجربا الذى كان باتصال دائم مع اشراف بغداد

---

(١) كتاب من جنة عدن الى عبور نهر الاردن للسير وليم ويلكوكس ترجمة الدكتور محمد الهاشمى ص ١٢١ •

لهذا الغرض .

وقد نزحت عشيرة شمر الى العراق بدفعتين الاولى قبل حوالى ٥٠٠ سنة ورجعت الى نجد ومن بقى منها فى العراق هم عشائر شمر فى الفرات ودجلة كعشيرة الاكرع فى الديوانية برئاسة شعلان العطية وسعدون الرسن وعشائر الغرير فى المحمودية وعشائر زوبع فى الفلوجة وعشائر شمر طوكة فى الصويرة وغيرها من عشائر الجنوب.

واما الموجة الثانية فكانت قبل ٣٠٠ سنة تقريبا وهى التى نزحت الى الجزيرة برئاسة فارس الجربا جد عائلة المحمد الرؤساء الحاليين على شمر وسبب هذه الموجة خصوبة أراضى الجزيرة ووفرة المراعى بها وقد استقر بهم المقام بعد حروب دامت حوالى العشرين سنة انتهت بان لم يبق فى الجزيرة خصم لشمر فاما من دفع الخوة واما من نزح عنها .

والمعروف انها أتت من جبل شمر فى نجد واستوطنت الجزيرة (ما بين النهرين) فى العراق .

ولشمر ميزة عن العشائر الاخرى ذلك ان الرئاسة العليا للعشيرة بمجموعها تعود لرئيس واحد للعشائر الاخرى عدة رؤساء مما أدى الى تمزيق تلك العشائر . وللاحتفاظ بجمع الكلمة لشمر فان نظام رئاستها ينص على ان يكون لكل فخذ من العشيرة رئيس وتنتهى بالرئيس الاعلى الذى يسمى شيخ مشايخ شمر أما افخاذها فهى :

١ ــ الخرصة .

٢ ــ عبدة .

٣ ــ سنجارة . { الثابت، الفداغة

٤ ـ زوبع •

٥ ـ الصايح •

وهؤلاء هم الافخاذ الذين يقطنون الجزيرة والرؤساء هم عائلة المحمد الجربا وتعد شمر اليوم بحوالى ثلاثين الف نسمة •

وآبار الجزيرة كثيرة جدا بمواقعها وآخرها (٥٠) بئر ارتوازى التى قامت الحكومة بعهدة مجلس الاعمار بحفرها فى مختلف مواقع الجزيرة • والمنطقة بحاجة الى طبقات من الآبار لتساعد على استيطان العشيرة والاستفادة منها للزراعة أيضا لان أراضى الجزيرة للآن لم يسق منها أى قسم سيحا • ولذا فكثرة الآبار تعود بالفائدة الكبيرة على الامراء والزراعة •

أما الامية فتكاد تكون عامة فى عشيرة شمر وهناك نسبة قليلة من الذين يجيدون القراءة والكتابة • وقد فتحت الحكومة مدرسة فى مضارب شمر لدى أحمد العجيل وتلاميذ المدرسة حوالى ١٢٠ طالبا الان وهم فى ازدياد وهناك رغبة كبيرة وشاملة لدى العشيرة للتعلم حينما تفتح الحكومة مدارس حسب حاجة شمر •

أما طرق الطب السائدة فهى الطرق البدائية التى أملتها عليهم الحاجة وعلمتهم اياها التجربة ويتخصص بها بعض الناس وآخر الادواء عندهم الكى • أما الان فقد اصبح كل مريض يسرع بالمجىء للمدينة للمعالجة والاستشفاء •

والعارفة فى شمر هو الحكم أو القاضى الذى تذهب اليه كل جماعة بخلافاتها والعوارض هم بالعادة عوائل اختصاصها القضاء تحكم حسب العادات • وآخر تنقيح أجراه عجيل الياور هو انه جعل الاحكام

أكثر انسجاما ومنطق الوقت الحاضر وكذلك مع العادات العشائرية الاصيلة •

وان العشيرة تتقبل المعلمين والممرضين والممرضات والاطباء والمدارس في مواطنها في البادية وهذه هي الامور التي يجب ان توليها الحكومة عنايتها واهتمامها الجدي لانها تسهل تقريب هذه العشيرة من حالة البداوة الى حالة الحضارة وأهم ما يجب ان تعنى الحكومة به هو :

١ ـ اسكان العشائر الرحالة اذ يجب تقديمهم على غيرهم في السكنى واعطائهم الارجحية لان بقاءهم بدوا رحلا سيضر بالمملكة وبهم ضررا عظيما •

٢ ـ فتح المدارس والمستشفيات ورفع مستواهم الصحي والعلمي

٣ ـ الاكثار من الآبار الارتوازية في مواقعهم •

٤ ـ الاهتمام بالمراعي الصناعية لاجل تحسين حالهم المعاشي وجعل تربية المواشي متماشية مع السكنى والحراثة •

أما القبائل النجدية من شمر فهي :

١ ـ عشيرة عبدة وشيوخها :

ابن علي

ابن شهريم

ابن جبرين

ابن عجيل

٢ ـ عشيرة الصياح (الاصلام) وشيوخها :

مشعل ابن طواله

محمد الوجعان

٣ ـ عشيرة سنجاز وشيوخها :

ابن رمال

ابن ثنيان

مشـــعل

ابن عايش

متعب الرباعة

وتسكن عشائر شمر جربة بين بغداد والموصل على الضفة اليسرى من الفرات وان اتصالا مباشرا يحدث دائما بين شمر وشمر جربة خاصة في أمور الزواج •

ولقد استوطنت عشيرة شمر في سوريا ولكنها اضطرت تحت ضغط هجرات عنزة الى الهجرة جنوب غربى الموصل حيث يعيشون الآن •

تحضير عشائر شمر
وتوفير المياه في مناطق سكناها

لغرض تنفيذ مشروع اسكان عشائر شمر في المناطق الشمالية وتحضيرهم فقد سبق أن سمح لهذه العشائر بعد تثبيت منازلها بحفر الآبار لها لتأمين المياه لاجل الشرب والبناء وان كثيرا من عشائر شمر قد سكنت في بعض المناطق من الشمال وقد حفروا آبارا لهم وفي عمق (١٥) مترا ظهر الماء فيها وهو حلو وعذب وغزير للغاية بحيث ان جميع العربان المجاورة لتلك الآبار أخذوا يردون اليها ويستقون الماء منها دون ان تقل كميته ، وان لهذه العشائر تشبثات كثيرة للاكثار من حفر

الآبار وتهيئة الوسائل لبناء الدور على نفقتهم وجميع المياه التي ظهرت في الآبار المذكورة عذبة وغزيرة وقد استوطنت بعض أفخاذ هذه العشيرة حول تلك الآبار وقامت بالزراعة فعلا .

كيف مالت عشيرة شمر الى التوطين وتاخرت عنزة عن ذلك

اذا كانت عشائر شمر قد مالت الى التوطن وسعت اليه منذ أكثر من عشرين عاما وصرفت جهودا كبيرة ومراجعات كثيرة في حياة زعيمها الشيخ عجيل الياور فان هذا الشيخ المفكر قد ادرك تطور الزمن وعدم امكان بقاء عشيرته على حالتها في التنقل وطلب « الخاوة » بعد أن منع الغزو ومنعت الخوة فكان دائب السعي لتوطين عشيرته في مناطق تجوالها وفي تيسير الاراضي في تلك الاماكن وقد تم فعلا اسكان كثير من أفخاذ عشيرته في بادية الجزيرة حيث مناطق سكناها جهد المستطاع فواتت الظروف هذا الشيخ العبقري حيث عمل المستحيل في هذا السبيل .

كما ان الشيخ عجيل الياور قد استفاد من الخط الحديدي الذي مد من سامراء الى الموصل حيث كان يراجع متصرفية الموصل والسلطات الاخرى في بغداد ويحث في المطالبة باعطاء قسم من العمل بين سامراء والموصل الى عشيرته شمر الامر الذي سبب أن تتخذ الحكومة يومئذ ـ وادارة السكك الحديدية العامة على وجه التخصيص خطة بأن تشغل كل عشيرة يمر منها الطريق وفي اعمال السكك من تجهيز عمال وحراسة وغير ذلك .

ثم أعقب ذلك الحرب العالمية الثانية فبذل جهودا مضنية للاستفادة من ظروف تلك الحرب في مساعدة عشيرته وكان الجو مساعدا لذلك

فاشتغلت عشيرة شمر في شتى الاعمال ونالت أكبر الفوائد من الجيوش الانكليزية والسلطات الاخرى • ولم تنته الحرب الا ووجدت هذه العشيرة أنها لا تتمكن من العودة الى سيرتها الاولى فوقفت في منتصف الطريق ثم جدت السير نحو الحياة الناعمة والسكن الجيد واللباس الحسن •

ثم أن بيئة شمر ووقوع منطقتهم بجوار مدن وقصبات متحضرة في لواء الموصل واختلاطهم بأهالي ذلك اللواء وعلاقة سكان الموصل التجارية معهم وملاحظتهم التطورات التي أعقبت الحرب العالمية الاولى وانتشار السيارات في محيطهم وانشاء السكك واختراقها مناطق سكناهم كل ذلك ـ بالاضافة الى عقلية رئيسهم الشيخ عجيل الياور المتحررة ـ ساعدت على تقبلهم لعملية التوطين بل حماسهم في قبولها •

اما بالنسبة الى عشيرة عنزة فيمكننا تلخيص الاسباب التي أخرت توطينهم وبقائهم على حالتهم الاولى ويرد في مقدمة الاسباب : نزعة المحافظة التي سار ولا يزال يسير عليها الشيخ محروث الهذال الرئيس العمومي لهذه العشائر الكبيرة فهو محافظ في طبيعته متمسك في بدويته ولم يغير من حالة البداوة التي عاش عليها أباؤه وأجداده الا اقتنائه السيارة وأني لاعتقد بانه لولا طول المسافة التي يقطعها هذا الشيخ للاتصال بعشيرته على طول البادية الشمالية والجنوبية وتردده على لواء الدليم وكربلاء لملاحظة أعماله في هذين اللوائين وكثرة تردده الى العاصمة لما وجدنا الشيخ محروث يركب السيارة ولوجدناه متنقلا على ظهر جمل لانه محافظ في نزعته ومؤمن على نظرية « ابقاء ما كان على ما كان » •

ثم ان طريق تجوال عشيرة عنزة الصحـراوى لا يمكنهـم من المرور فى مدن وقرى ذات بال واذا مروا على احدى القرى العراقية فهى من حيث وضعها الاجتماعى لا تخرج فى مستواها عن مستوى عشيرة عنزة من حيث عقلية السكان وحظ البلدة من الثقافة والعمران فهم لا يمرون الا بالقرى التى تقع على حافة الصحراء مثل تدمر والرطبة وكبيسة والرحالية وشفاثة والنخيب وربمـا السماوة فيمـا ندر من المناسبات •

اما اذا توجهوا الى بعض المدن السورية فى بعض المواسم فاننا نجدهم ينصبون خيامهم فى مداخل المدن ويذهب بعضهـم الى المدينـة لغرض الاكتيال وشراء ما يحتاجه هو وجماعته من مأكل وملبس •

وبينما نجد الشيخ عجيل الياور يرسل أحد أولاده الى الجامعة الامريكية فى بيروت قبل ثلاثين عاما ويرسل أولاده الاخرين الى المدارس العراقية نجد أن محروث الهذال يكتفى بتعليم أولاده القرآن ومبادىء القراءة والكتابة على ايدى معلمين خصوصيين وربما تساهل فأرسـل بعض أولاده الى المدرسة الابتدائية فى بلد مجاور لسكناه •

وبينما نجد الشيخ عجيل الياور يستصحب بعض أولاده فيجوب أغلب الاقطار الاوربية دارسا ، باحثا ، مستطلعا نجد أن الشيخ محروث الهذال لا يؤمن بمثل هذه السفرات فيقتصر فى سفره خارج العراق على تأدية فريضة الحج لمرة واحدة بدافع من شعوره الدينى •

ان هذه الفروق بين تصرفات الرجلين تعطينا فكرة واضحة عن أن الشيخ عجيل الياور متجدد ولا يمانع فى اقتباس كل ما لا يتنافى مع الدين والاخلاق من سجايا أهل المدن وأهل الغرب معا بينما نجد الشيخ

محروث الهذال متحفظا فى كل تصرفاته غاية التحفظ ومتزمتا غاية التزمت فى كل عمل يقوم به أو خطوة يخطوها فهو مثال البدوى الحذر اليقظ الذى لا يؤمن بأخلاق أهل المدن ولا فى أخلاق الغرب •

ان لكلا الرجلين حرمة ومكانة عندى فكل منهما مثال الشيخ العربى الحريص على دينه وتقاليد عشيرته للابقاء على مالهما من سجايا وخصال يضرب فيها المثل ولكل من الرجلين رأيه واجتهاده •

عشيرة الزكاريط :

الزكاريط فرقة من شمر « وهذا أمر لا شك فيه » يؤيده ادعاؤهم « والناس مأمونون على أنسابهم » وما ذكرته الكتب عنهم ومنها ما جاء فى كتاب عنوان المجد فى تاريخ بغداد والبصرة ونجد للعلامة ابراهيم فصيح الحيدرى •

اذا دققنا تاريخ نزوح العشائر الى كربلاء نتوصل الى انه فى فترة تتراوح بين قرنين كانت عشائر الجشعم البدوية هى المقيمة والمستولية على بوادى هذا اللواء ثم زاحمتاها على الاقامة فيـه عشيرتا المسـعود والزكاريط وكلاهما من أفخاذ شمر وحلتا محلها • فمالت المسعود الى التوطين والزراعة وحافظت الزكاريط على البداوة • ولما نزحت قبيلة عنزة اليه تقلص نفوذ الزكاريط ولكنها ظلت مقيمة فيه مسالمة الى عنزة وبينهما مصاهرة • وكانت الزكاريط تقف فى غزوات القبيلتين شمر وعنزة موقف الحياد فلا تقدم على معاونة شمر ولا على معاداتها • وكانت عنزة ترضى منها حيادها هذا فلا تتعرض لها • وبمناسبة الرغبة العامة لدى البدو بالارض الزراعية وتردى أحوال العشـيرة الاقتصـاديـة لاعتمـادها فى العيش على أجور مهنـة كراء الابل لحمـل التمـور

والمحصولات الزراعية فقط • فقد طمح رؤساؤها برع ورفقاءه الى الاستيلاء على أرض • ونظرا لعدم وجود أرض زراعية خالية من علاقة ومتيسر لها الماء فقد اتجهت رغبتهم الى استغلال الاراضي المحيطة بالعيون في بادية (شفاثة) عين التمر • ولما أنس برع موافقة ابتدائية على طلبه من الدوائر المسؤولة باشر يغرس ويزرع بعد اجراء بعض التطهيرات لبعض العيون وقد منع بناء على اعتراض الشيخ محروث الهذال الا ان برع غرس (٩٥٠) فسيلة من النخيل وزرع بعض المحاصيل الشتوية • وحيث ان اعتراضات عنزة زادت وان الشيخ محروث الهذال قد اظهر تخوفه من اعتداء عنزة على الزكاريط وحدوث فتنة فمراعاة للحالة الادارية وسكينة البادية تقرر ابعاد برع وهليب ورفقائهما من هذه العيون وقلع الفسيل •

ان الارض والمياه أميرية وان برع ورفقائه عراقيون من حقهم التوطن والمطالبة بترفيه حالهم المعاشية ولكن الضرورة القاضية بمراعاة التعامل في مياه عيون وآبار البادية محفوظة للمارة والمنتجعين للمراعي هم وحيواناتهم وهي تقضي بالتدبير الذى اتخذناه •

غير اننا نرى من الانصاف ان نعوض برع ورفقاءه عن اتعابهم ومصاريفهم الباهضة التي تكبدوها في غرس الفسيل والزراعة وتطهير العيون بتخصيص أرض لهم في مشروع الجازية وأم الطليان الذى هو قيد الدرس لدى مديرية اعمار واستثمار الاراضي الاميرية بقصد ازالة ألم الحرمان من نفوسهم وتعويضهم عن هذه الخسارة المادية والادبية التي منوا بها لبساطتهم وقلة ادراكهم لسير المعاملات[١] •

---

(١) من تقرير لمتصرفية لواء كربلاء .

امكان اسكان عشيرة الزكاريط في اراضي الجبانية وام الطليان المجاورة الى منطقة سكناهم في الوقت الحاضر :

في مقدمة مشاريع استثمار مقاطعتي (الجازية وأم الطليان) فتح جداول من الفرات لتأمين اروائها تحقيقا لمبدأ تقسيمها على المستثمرين ممن يجب توطينهم فيها من العشائر الرحالة المجاورة وهي عشيرة الزكاريط على أساس الملكية الصغيرة دون ملاحظة استكثار كلفة مشروع شق الجداول ذلك لان الهدف الرئيسي في الموضوع توطئة العشائر الرحالة القلقة والمضطربة ولان وجوه الاصلاح المتوقعة من فتح الجداول المذكورة تفوق حدود التضحية المتصورة في مراحل ذلك • لان الارواء هو المبدأ الاساسي الذي يتوقف عليه استثمار هذه الاراضي خصوصا بعد ان تكون قد شملت بقانون اعمار واستثمار اراضي الدجيلة •

والواقع ان استثمار الاراضي عن طريق الارواء طريق عملي له مرماه من وجهة تقدم النشاط الزراعي ومغزاه من ناحية توطين العشائر وتكييف حياتهم الى ما يساير وسائل المنظمات العصرية وهو يعد تدبيرا معنويا يراد به تقريب ذهنية أفراد العشائر الى ادراك ارتباطهم بما يعزز حسن علاقتهم بالحكومة •

وفي اضابير متصرفية لواء كربلاء كثير من المقترحات التي تستهدف اسكان هذه العشيرة في المقاطعة الاميرية التي يقع قسم منها في لواء الحلة والقسم الاخر في لواء كربلاء المسماة الجازية وأم الطليان وان محل سكناهم الوقتي في الحاضر يقع مع عشيرة المسعود الذين هم بدورهم من أفخاذ عشيرة شمر والذين يسكنون المنطقة المتاخمة لاراضي الجازية وأم الطليان تماما •

ان النزاع القائم بين فرق آل جميل والصكـور من جهة وبين الدهامشة من عشائر عنزة من جهة أخرى الذى بقى مستمرا حوالى عشرين عاما ظل يتجدد بينهما من حين لآخر مما أدى الى اضطراب الامن فى الباديتين الشمالية والجنوبية خلال تلك المدة وقتل عدد كبير بين الفريقين ونهب أموال بعضهم ، ولو تحرينا أسباب هذا العـداء المستحكم فى نفوسهم لوجدنا أن سببه الحقيقى هو مطالبتهم بخصوص عائدية المنازل والآبار والمراعى • وكانت الحكومة عند كل حادث يقع بينهم تتكبد نفقات باهضة من جراء ارسال قوات مسلحة ترابط قرب منازلهم عدة أشهر لغرض منع القتال والمحافظة على الامن فى البادية •

تثبيت المنازل بين شمر وعنزة
تثبيت المنازل بين أفراد عشيرة عنزة نفسها

ثم تشكلت لجنتان الاولى فى وزارة الداخلية قوامها كل من مدير العشائر العام ومتصرف لواء الدليم ومدير الشرطة العام ومدير ادارة البدية الجنوبية ، والثانية فى متصرفية الدليم حضرها الشيخ عجيـل الياور ورؤساء آخرون لتقرير مصيرهم ووضع حد للفوضى التى كانت تسود الباديتين • وبالنتيجة أوصت اللجنة الاولى بموجب قرارها المؤرخ ١٩٥٢/٥/٢٩ بابقاء الدهامشة فى المنطقة العائدة للبادية الجنوبية كما اوصت مديرية البادية الجنوبية بتخصيص آبار لها • كذلك صدر من وزارة الداخلية كتابان « الاول فى ٩٤٠/٩/٢٦ والاخر فى ٩٤٠/٦/١٣ موجهان الى مديرى ادارة الباديتين الشمالية والجنوبية مضمونهما الزام الدهامشة بالاستقرار ضمن البادية الجنوبية كما أوصت بحفر بئرين

لهم فى « الجل » بالاضافة الى آبار الجل السابقة وتطهير بعض الآبار الاخرى ضمن منطقة الشبكة لاستفادة الدهامشة منها • ثم صدرت الاوامر بجعل منطقة الشبكة الى عشيرة الدهامشة وادخلت بضمنها الجل والنهيدى التى تحادد السلمان وتم تبليغهم بذلك ، وبهذا فقد انتهى النزاع ما بين آل جميل والصكور والدهامشة وجميعهم من عشيرة عنزة وعاد الاستقرار والصفاء بينهم تماما •

قضية عنزة وشمر :

بالنظر لوجود الضغائن والحزازات بين عشيرتى عنزة وشمر منذ عهد الحكومة العثمانية وحتى الآن بسبب حوادث الغزو التى تتجدد بينهما من وقت لآخر • وآخر هذه الحوادث قتل نده بن ضبيان رئيس فرقة المحلف من الدهامشة من قبل احدى فرق شمر فى الاراضى السعودية فى شهر كانون الثانى ١٩٥٢ وقيام عشيرة الدهامشة فى الشهر المذكور بغزوين ضد شمر الجعفر الذين كانوا نازلين ضمن منطقة اللصف العائدة لفرقة الصكور من عنزة داخل الاراضى العراقية وقتلوا ثلاثة من شمر وجرحوا رئيسهم المدعو هادى الشريم ونهبوا أموالهم ذلك لاخذ ثار قتيلهم نده ضبيان • كما وقتل من الدهامشة فى هذين الغزوين أربعة اشخاص •

هذا وبالنظر للحوادث الدامية القديمة والجديدة بين عنزة وشمر وعدم امكان اجتماعهم فى محل واحد واعادة الصفاء بينهم فقد حددت منازل الدهامشة فى منطقة الشبكة وفقا للمقررات الآنفة الذكر لان احتكاكهم مع بعضهم فى المنازل والمراعى وعلى الآبار أمر يسبب حتما وقوع المشاكل وتجديد الخصام •

اما مفهوم حدود الدهامشة حسب مضامين أوامر وزارة الداخلية والمستندة الى توصيات اللجنة ومجلس تحكيم الدليم وأوامر مديرية البادية الجنوبية والتحقيق الذى تم بشأن عائدية المنازل والآبار التى يحق للدهامشة التصرف بها وان تكون حدا بينهم وبين شمر الجعفر أو غيرها من عشائر شمر التى اعتادت على التردد الى العراق فهى كما يلى :

تبتدىء حدود الدهامشة عمقا من رأس الحدود العراقية ـ السعودية :

الى ما بين الحوارة العائدة للدهامشة والصفارى[1] •

الى ما بين الشيرم العائدة للدهامشة والعاعة •

الى ما بين النهيدين العائدة للدهامشة وجدر وجدرين •

الى ما بين شعيب القليتى العائدة للدهامشة وفيضة الحلويات •

وتنتهى هذه الحدود الى حدود لواء الديوانية ما بين عين ضحك وعين المالح أما عرض المنطقة فتكون من الجل الى وادى الخر الذى يحد منطقة آل جميل والصكور •

ومن الجدير ان نذكر انه قد وزع على عشيرة شمر لغاية ١٩٥٦/٦/٣٠ (٤٦٢٦) وحدة تبلغ مساحتها (٤٦٢٦٠٠) دونم • وقد جرى توزيعها من المقاطعة المرقمة (٥١/سنجار) المسماة (أراضى جزيرة سنجار) •

(*) تخصص هذه المناطق الى عشائر شمر فى حالة وجودها فى العراق وتكون ضمن منطقة معاونية السلمان •

خاتمة الكتاب

يقول الاستاذ أنيس فريحة : ان الحياة العربية كانت مزيجا من الحياة الصحراوية ومن الحياة الاسلامية الحضرية • كانت المثل العربية في الفروسية والكرم والشجاعة والفخر والولاء القبلي حتى في الشعر والنثر مستمدة من الصحراء • ولان الاسلام ظهر في الجزيرة أولا نشأ في قرارة النفس العربية حنين خفي الى الصحراء التي يتوهمونها خطأ بقعة مثالية للعيش الهنيء • والواقع ان الصحراء قاسية جافة (والعيش فيها جديب) ولكن رغم ان الجزيرة العربية اصبحت بعد انتقال مركز الثقل الى العراق فالشام فالعراق على هامش العالم الاسلامي فان الصحراء ومثلها ظلت تحتل في نفوس العرب مكانة مرموقة •

وكانت الحياة العربية الى جانب هذا تتميز بعادات وتقاليد ورثها العرب عن الثقافات المختلفة التي قامت في هذا الجزء من العالم عادات وتقاليد غير عربية ولان العرب كانوا قد فقدوا السلطان فانهم فقدوا معه الدوافع للحياة المليئة • فانكمشوا على انفسهم وانقطع حبل اتصالهم بماضيهم فقنعوا من الحياة بالحفاظ على ما توارثوه من مثل الصحراء وطراز الحياة الذي كان يألفه سكان المدن في شرقي حوض المتوسط »[1] •

---

(١) في مقالة (الفكر العربي ـ مشكلته) المنشور في مجلة الابحاث عدد ايلول سنة ١٩٥٠ •

ويلوح أن هذا الرأى هو من نوع (الترف العقلى) أكثر منه رأيا مستمدا من الدراسات الواقعية الصحيحة • وهذه مشكلتنا ومشكلة مثقفينا • فنحن نحاول أن نبنى حاضرنا فنمد أصابعنا الى السحاب نقتبس من ألوان الغيوم عند الاصيل شيئا من عسجدها المشرق الوضاء ونصوغ كل ذلك فى مقالة ليس فيها الا كلمات من نوع (مجد ، علياء ، سمو ، روعة ••• الخ) ولكننا لا نمد يدنا الى طين الارض لنصنع منه طابوقا يصعد بنائنا درجة الى الاعلى ! فأما القسم الاول من رأى الاستاذ فريحة فانه لم يذكر فيه من هو هذا الذى يتوهم الصحراء خطأ بقعة مثالية للعيش الهنىء فاذا كانوا البدو فهم لا يتوهمون شيئا من ذلك لانهم مصفوعون فى كل ساعة بلهيب الصحراء وشواظها وبالظمأ والجوع والسير •• السير الذى لا ينتهى ! واذا كانوا أولئك الذين استقروا فى الممالك المفتوحة فى عهد ازدهار الاسلام فنحن نعلم من أمرهم ما نعلم اذ انهم انغمسوا فى مدنية ما تزال الاثار شاهدة حتى الان على رقيها وعلى اهتمامهم بتقدمها ، وهم ، الذين تركوا الصحراء قبل ذلك بأيام أو بأشهر ما نظنهم يحنون الى الصحراء حنينهم الى العيش الهنىء ما داموا قد حصلوا على هذا العيش فى حضارتهم الجديدة •

أما فى القسم الثانى من رأى الاستاذ فريحة فاننا نجد تناقضا غريبا عجيبا ، فهويعترف أولا بأن الحياة العربية (وهو يقصد بها الحياة الحضرية الجديدة بالتأكيد) قد أخذت الكثير من عادات الشعوب التى

سكنت تلك البلاد قبلها ومن حضارتها ومن ثقافاتها ثم يفاجئنا بقوله أنهم فقدوا دوافع الحياة المليئة وانقطعوا عن العالم ، فكيف يحدث أن يحتك الانسان بالعالم وينقل عنه ويكون فى الوقت نفسه منقطعا عنه ؟ وهو يضيف أنهم قنعوا بما توارثوه من مثل الصحراء ثم يقول (وطراز الحياة الذى كان يألفه سكان المدن فى شرقى حوض المتوسط) وهذا عجيب جدا • فأين هى مثل الصحراء من حياة موانىء البحر المتوسط التى مرت عليها مختلف شعوب العالم وحضاراتها وثقافاتها ؟ فاذا كان يقصد أنهم صاروا مزيجا جديدا فقد ابتعدوا عن البداوة بعدا شاسعا واذا كان يقصد انهم ظلوا على بداوتهم ولم يتأثروا بتلك النظم والثقافات فاننا لم نر حتى الآن بدويا يسكن فى بيروت مثلا وهو ما يزال بدويا !

ان هذا الطراز من التفكير السابح هو أساس مشاكلنا والعائق الذى يقف فى طريق عجلة تقدمنا • والا فماذا فهمنا من مقالة الاستاذ فريحة ؟ أيريد أن يقول أن البدو سكنوا المدن ولكنهم لم يتحضروا وانما ظلوا على بداوتهم ؟ فهذا خطأ ، أم يريد أن يقول أن البدو يميلون الى حياة الصحراء لانها (العيش الهنىء) ؟ وهذا خطأ أفظع ! أيريد للبدو أن يستمروا على الطواف بالارض على ظهور جمالهم لمجرد أنه يريد أن يحتفظ بسجاياهم وأخلاقهم ؟ فهذا أضعف الايمان ، لانه يخشى أنه ، كمصلح لن يكون قادرا على اصلاح ما تفسده المدنية من نفوس المتحضرين • وهو يعلم تمام العلم من هو هذا الذى يفسد المدنية فى الوقت الحاضر ولكنه لا يمد يدا لاصلاحه لانه يريد كما يريد غيره أن يبقى الاستاذ (الجنتلمان) الذى يميل دائما الى ما تسميه المدنية بملامح الحضارة الجديدة •• الحضارة المتفسخة فى الحقيقة ••

ان هذا ليس عذرا كافيا لابقاء البدو في صحراءهم كما أنه لا يجوز أن يصدر عن قلب انساني فضلا عن عقل متحضر • فهو حين يريد أن يبقى البدو في صحراءهم وبؤسهم وعذابهم لمجرد أن يفاخر بأمجاد العرب وأخلاقهم وعاداتهم وهو جالس في بيروت بين مظاهر الترف والراحة انما يشبه طاغية ينام مرتاحا بينما يقف ألف عبد حوله يهزون مراوحهم لتلطيف الجو ويغسلون قدميه بالعطر !

اما الاستاذ متى عقراوي[١] فهو يقول أنه : تطرأ على حياة العشائر أثناء عملية التحضر تغييرات عديدة فتخلق مشاكل خطيرة لا يحسن ان تهملها الحكومة النابهة أو ان يتغاضى عنها المربي المفكر • وأول هذه التطورات تقييد حرية البدوي المطلقة التي لا تعرف سوى تقاليد القبيلة قيودا لها • فيصبح ابن الصحراء الشجاع الحر مقيدا بزرعه وحاصلاته مضطرا الى العناية بها • انه بحكم عيشته السابقة لا يحب العمل كثيرا ولكنه مضطر اليه لاعتماد رزقه عليه ، ولذلك فانه في الغالب لا يشتغل الا بالمقدار الذي يعود عليه من الرزق البسيط[٢] •••

وتقدم البدوي في الحضارة يؤدي عادة الى انحطاط في مستواه الخلقي من حيث الامانة والصدق والصراحة ، ولذلك تضعف التقاليد البدوية التي تقدس هذه الصفات فيقتبس ابن العشيرة عوضا عنها

---

(١) في كتابه (العراق الحديث) •

(٢) راجع التقرير البريطاني الخاص عن تقدم العراق ص ٢٣٩ • ومن المؤسف ان لا يساعد نظام الاراضي الحاضر على تشجيع الفلاح على العمل اذ ان الفلاح مضطر الى دفع نحو نصف أو ثلثي منتوجه الى الحكومة والشيخ • راجع بحث مشكلة الاراضي في الفصل الرابع من كتاب (العراق الحديث) لواضعه بالانكليزية الدكتور (متى عقراوي) ومعربه (مجيد خدوري) •

الخداع والكذب والمواربة وعلى الاخص فى علاقاته مع السلطات الحكومية • وما الخداع والكذب فى مثل هذه الحالة الا نتيجة طبيعية لرغبة ابن العشيرة للتخلص من الضغط الذى يشعر به ولحماية وسائل رزقه • زد على ذلك ان روح الكسب والطمع التى أخذت تعرف حديثا عند الغربيين بـ « دافع الربح » تبدأ بلعب دور محسوس فى تصرف البدوى المتحضر • ان دراسة التطورات العقلية والاخلاقية التى تطرأ على البدوى اثناء انتقاله من مزاولة الرعى فى البداوة الى مزاولة الزراعة فى التحضر وتأثير الاقتصاديات الحديثة والسلطة الحكومية عليه لمن ألذ الابحاث التى يمكن ان يدرسها ويعالجها باحث اجتماعى وأفيدها •

وتخلق حركة التحضر مشكلة صحية كبرى أيضا • فالبدوى صحيح البدن قويه ، وحياته تنازع على البقاء وخاصة فى الطفولة • وخيمته معرضة لنور الشمس والهواء النقى واذا ما اصبحت البقعة التى يخيم فيها وسخة حول خيمته تحول الى بقعة أخرى نظيفة • ومع انه يجهل الشروط الصحية وهو قليل الاستحمام فانه قلما يصاب بأمراض كالملاريا أو البلهارزيا أو السل أو الطاعون أو الهيضة • ولكن الحالة تنعكس بعد تحضره ، اذ تتراكم الاوساخ داخل الكوخ الذى يسكنه وحوله ، ولا ينفذ اليه الهواء النقى ولا نور الشمس لخلوه من النوافذ • وتكون المياه خاصة قرب مزارع الرز مصدرا لانتشار الملاريا ، اما مياه الجداول والاقنية فتكون مأوى لجراثيم البلهارزيا • وان نظرة بسيطة الى حياة قبائل الفرات الاوسط تكفى لادراك الاضرار التى تلحقها البلهارزيا والملاريا والسل والجدرى والانكلستوما بالسكان وفعاليتهم

وفتكها الذريع بأرواحهم • فالمشكلة الصحية للعشائر المتحضرة أو التى هى فى دور التحضر وهى تكون الاكثرية الساحقة للطبقة المزارعة فى العراق خطرة جدا وكل مشروع لاسكان العشائر الرحل يجب أن يأخذ بعين الاعتبار المشاكل الصحية التى تنتج عن التحضر ويتخذ الوسائل لمنعها •

وتحتفظ القبائل بكثير من نظمها أثناء التحضر أو بعده فتبقى بعض العادات عندهم كاكرام الضيف والاخذ بالثأر وتزاوج أولاد الاعمام وما شابه ذلك من التقاليد البدوية •

ولعل أهم سبب لحدوث التبدلات التى طرأت على حياة العشائر فى العصر الحديث هو ازدياد نفوذ الحكومة منذ الحرب العظمى اذ أخذت العشائر تشعر بشدة وطأة سطوة الحكومة وتدخلها وقمعها للغزو والاضطرابات وجمعها للضرائب بانتظام بعد ان كانت معظم العشائر تمتنع عن دفعها سابقا وتدخل الحكومة باعترافها بأحد الشيوخ وعدم اعترافها بالآخر وربما تبديلها شيخا آخر • ومن المؤسف ان تكون هذه التدخلات سلبية • وما خلا قيام الحكومة بفتح ترعة هنا ومدرسة هناك ومستوصف فى محل آخر لم تعالج الحكومة مشكلة العشائر معالجة عامة أساسية ايجابية بعد • وهنالك دلائل تدل على ان الحكومة أخذت تنتبه الى أهمية هذا الموضوع الخطير • »

وعند مناقشة هذا الرأى نجد أن الاستاذ عقراوى يبدأه بالقول أن البدوى سيعتبر قيامه بالزراعة والعمل تقييدا له وحدا من حريته ، فهل يريد أن يقول أن البدوى يعيش فى الصحراء حياة البطر والكسل ؟ وأنه لا ينوء تحت عبء أية مسؤولية ؟ وانه لا يهب شيخ القبيلة جزءا

من حريته ليضمن الامان والمساعدة ؟ فهذا كله يناقضه واقع البدوى الان فى عذابه وبؤسه وأعماله المرهقة فى الصحراء فلماذا لا يميل الى حياة الراحة والاستقرار ؟ بل بالعكس انه سيجد ذلك أجدى على حريته أن يملك أرضا خاصة به يزرعها ليأكل هو وأطفاله من ثمارها. ثم يضيف أن البدوى ، حتى اذا استقر ، فانه لن يعمل الا بما يسد حاجته البسيطة وهذا رأى لم تتفق معه كل الدراسات التى شملت حياة البشر ، فكأنه لا يعترف بطموح الانسان وكأنه يفرز البدو عن هذه الكتل البشرية . لماذا ؟ ألم يكن البدو يغزون ويسلبون ؟ فان دل هذا على شيء فلماذا لا يدل على أنهم يطمحون دائما الى اقتناء ما يميل كل حضرى الى اقتنائه ؟ بل ان المسألة هنا أيضا معكوسة لانه لم يوجد بعد الانسان الذى (لا يريد) ! فى هذه الحياة .

وينتقل الاستاذ عقراوى الى قرار خطير ، يتهم به الحضارة والمدنية ، ويتهم به الانسانية ، ويتهم به النظم الاجتماعية ، وذلك على كل حال ليس ذنب البدوى ، فاذا كان ذلك صحيحا فهلموا لكى نرثى هذه المدنية التى ستجعل من البدوى كذابا لصا خائنا ، كما يقول عقراوى ، ولا يعنى ذلك الا بان الاستاذ عقراوى لا يؤمن بالمدنية ما دام يصفها بانها ستصيب البدوى بعدوى الكذب والحيلة والخداع ... فاذا كانت المدنية كما يراها هو فما هذه بالمدنية الصحيحة وانما هى زيفها وقشورها التى تعلقت بها الاجيال الحديثة . تاركة اللباب بل اننا لنرى أن البدوى بمزاياه وسجاياه سيكون أقوى من ذلك كله وسيعمل على تطوير الاخلاق وتعديل النظم وتقوية التقاليد الصالحة وسيكون عاملا فعالا فى بث الروح التى فقدها مجتمعنا الذى ليس الان

الا فراغا هائلا يرتدى ثوبا مدنيا حديثا .

وفيما نحن في هذا يعود الاستاذ عقراوى ليناقض نفسه اذ يقول ان دوافع المدنية الجديدة من طمع ودوافع ربح ستلعب دورها فى نفس البدوى ، ونحن نذكر أنه قبل سطور قليلة ، قال أن البدوى لن يعمل الا ليكسب البسيط من الرزق دون أى ميل للطموح أو للطمع ، فكيف سنوفق بين هذا وبين ذاك ؟

ثم يصور لنا بكل كآبة مصير البدوى حين يتحضر فما نراه الا كومة من الاوساخ والذباب والامراض ، ونحن نجد أن هذا الرأى يناقض نفسه بنفسه والا فماذا يقصد الاستاذ عقراوى اذن بكلمة (تحضر) ؟ هل يقصد بها مجرد سكنى الكوخ ؟ وهل هذا هو كل ما يتسع له أفقه من مطامح بالنسبة لتحضير البدوى ابن بلاده ؟

انا حين نقول (تحضير) نبنى ذلك على كل أسس الحضارة الصحيحة ، ويذكر القارىء انا لم نعالج المشكلة من هذا الجانب فحسب ، ولم نطالب بتشييد الاكواخ للبدو فقط ليسكنوها فهذا أضعف بل هذا اتعس من البداوة نفسها لان الخيمة انظف من الاكواخ وانما نحن نعلم ويعلم الاستاذ عقراوى أيضا أن فى البلد وزارة صحة ووزارة معارف سينال البدوى حظه منهما . والا فهل يرجع قليلا الى الوراء ليقرأ شيئا عن بغداد نفسها ، كيف كانت ؟ انه سيعجب حين يدرك انها بشوارعها الحديثة هذه وبيوتها النظيفة وأهلها النظاف ، لم تكن الا قرية بائسة مريضة موبؤة !

انا لا نريد أن نسبق التطور وانما نريد أن نمضى قدما بقدر ما تساعدنا مواردنا وامكانياتنا ، ولكننا لن نرضى أبدا أن نحرم البدو

من هذا الحاصل النهائى الذى حصلنا عليه لمجرد أنهم سيقاسون بضع سنوات • مع العلم أنهم لن يقاسوا من ذلك أيضا اذا أتم المعنيون بأمر الصحة والثقافة واجباتهم نحوه •

على أن الاستاذ عقراوى ينصف فى نهاية مقاله شيئا ما ، فيدعو بما يدعو اليه الضمير ويطالب بما يطالب به الانصاف لهؤلاء البدو •

اما أولئك الذين يقولون أن التوطين من شأنه أن يسفر عن ضياع جزء كبير من نتاج الحيوانات بينما نجد أن بلادنا فى أمس الحاجة اليه فاننا لا نملك الا ان نواجههم بتقرير خبير فى هذه المسألة اذ يقول[1] « انه قول ليس له ما يبرره لزوما • فرعى الماشية يمكن متابعته فى الصحراء خلال فصل الاعشاب بينما يتم علفها اثناء الفصول الاخرى فى المناطق المستوطنة • والواقع ان عملية الرعى هذه يمكن تنظيمها على أساس تعاونى والانتفاع من الوقت الموفر فى الزراعة ، اذ من الممكن ائتمان الرعاة المتمرنين على عمليتى الرعى وتحسين الماشية • كما انه من الممكن الانتفاع كثيرا من الخبرة المكتسبة من مشاريع اسكان البدو فى السودان حيث تم توطين رجال القبائل البدوية واقناعهم بممارسة نظام جديد من الفلاحة فى مناطق مختلفة وبيئة لم يألفوها من قبل ، هذا مع الاحتفاظ بأحسن مظاهر التنظيم العشائرى وتنمية الحياة المتضافرة التى يتميز بها سكان القرى » •

على أن التفكير المنطقى السليم يتجلى بوضوح فى آراء الاستاذ

---

(١) الاستاذ سعيد حماده فى (حلقة الدراسات الاجتماعيـــة للبلدان العربية الثالثة) المنعقدة فى بيروت : نقلا عن مجلة الابحاث عدد آذار سنة ١٩٥١ •

عفيف طنوس[1] التى لم يصفها على أسس الخيال وانما على أسس المنطق السليم • وهو يقول أن هنالك « مشكلة خطيرة يتخبط فيها النظام العشائرى وهى تسوقه فى طريق الانحلال والفنـاء • وهى مشكلة التحضير والاسكان أى الانتقال بالفرد والجماعة من حياة البداوة الى حياة الزراعة فى القرية أو الى حياة المدينة بما فيها من أساليب المعيشة الآلية الحديثة • ولا ضير فى هذا الانتقال اذا حصل بشكل تطور تدريجى بطىء متزن • فهو بالفعل ظاهرة اجتماعية طبيعية نلاحظ أثرها على مر القرون فى نشوء المجتمع من القبيلة الى القرية الى المدينة وفى التفاعل القائم بين هذه البيئات الثلاث » •

على أننا لا نشاركه الرأى فى أن عملية التحضير هذه تستتبع خطورة ما • كما أن النزعة الوطنية القومية هى أرفع من أن تستخف بالبدوى الذى انما سيكون وسيلة جديدة لاظهار العزة العربية ونشر خصالها الكريمة وتقوية المفاهيم التى كونت أسس تقاليدنا التى يلوح أن المدنية الحديثة تحاول أن تحاربها لتحل محلها أنظمة لا تستند على أساس متين فى أعماقنا وانما هى مستوردة من الخارج دائما • كما أن هذه العملية ستحل ما تعقد من مشاكل وليس كما يتصور الاستاذ طنوس فى أثناء عرضه للنتائج المترتبة على الاسكان من « ان المشكلة فى الامر تبدو وتتفاقم عندما تنصب أساليب المدنية الحديثة على الحياة البدوية بشكل سريع مكثف لا يترك متسعا للتكيف والانطباع والتوجيه المستقر • وان المشكلة تزداد خطورة عنـدما تقف النزعة الوطنيـة

(١) فى محاضرته فى مؤتمر الدراسات العربية الثـالث الذى عقد فى الجامعة الامريكية من ٢٧ نيسان الى أول مايس/١٩٥٣ •

القومية ، فى حدتها المجتاحة من المجتمع القبلى موقف الاستخفاف بقيمه والتبرم بمشاكله والتعجيل بتحضيره بشتى الوسائل . وهذا ما نراه قائما أمام أعيننا الآن . فقد أمعنت هذه القوى فى التأثير على هذا المجتمع ودفعه نحو التسكين والتحضير دون تفكير وتقدير للعواقب ، حتى كادت ان تشرف به على الفناء ولذلك نشاهد أغلب العشائر اليوم فى العراق وسوريا والجزيرة العربية وسواها فى حالة تفكك وانحلال وفوضى » .

غير أن أهم ما جاء به الاستاذ طنوس هو بحثه للحقــوق التى سينالها هذا البدوى حين يتم تحضيره وهو وان كان ينظر اليها بنفس ذلك اليأس ، والذى يؤيده الواقــع الان ، الا اننــا نأمل أن يعتبر المسؤولون بما حدث لئلا يتكرر حدوثه حتى يتم اعطاء العشائر البدوية أراض للسكنى فيها . مراعين فى ذلك عدالة التوزيع وضمان حقوق الافراد لئلا يؤول الوضع كما يقول الاستاذ طنوس الى ان نشــاهد « قيم الحياة الطيبة فيها تتلاشى وتضيع فى العالم العربى » فالشيخ ينقلب من زعيم ديمقراطى يعيش فى خيمة الشعر بالتساوى مع بنى قومــه الى زعيم اقطاعى يعيش فى المدينة بعيدا عن مضارب القبيلة ويملك أرضها دون سواه من ابنائها . وذلك البدوى الحر المستقل الجرىء نراه يتحول الى فلاح مرابع لا يملك شيئا من الارض ، ويفرض عليه الذل والخنوع والاتكالية . ويتبدل القضاء القائم على العرف بالقضاء القومى نصف تبــديل فيتــرك أهل العشــائر فى حالة حيرة وفوضى لا يعرفون أى السبيلين ينتهجون وتنهار أيضا قوى الانتاج . اذ ان

البدوي الذي يدفع الى التحضير أو يجبر عليه دون ان يعد لذلك الاعداد الكافي ودون ان يدرب على أساليب حياته الجديدة يفقد قوته الانتاجية البدوية ولا يتمكن في الوقت ذاته من التحول الى فلاح مستقل منتج •
ومن أسوأ نتائج التسكين المستعجل غير الواعي ما نلاحظه في الانهيار الكبير في المستوى الصحي عند القبائل المنتقلة بهذا الشكل من حياة البداوة الى حياة الزراعة •

ولذلك أرى هنا حاجة ملحة لان تعالج هذه المشكلة القومية معالجة فعالة قبل ان يعم الانحلال والفوضى حياة البادية فيخسر بذلك المجتمع العربي خسارة لا تعوض في نواحيه البشرية والأقتصادية والاجتماعية ، •

★ ★ ★

لقد اسهبنا في ذكر الفوائد التي تعود على القبائل البدوية والعشائر الرحالة بصورة عامة في صفحات الكتاب المختلفة ، غير أن هنالك فعلا بعض المحاذير التي لابد من ذكرها رغم اننا بحثنا ذلك أيضا بصورة عامة في مختلف مراحل الكتاب • الا انها كلها ممكن تلافيها اذا تظافرت جهود المسؤولين كل بحسب اختصاصه على مكافحتها ، فاما الامراض الناجمة فان المؤسسات الصحية الحديثة بوسائلها واحصائياتها وعلاجاتها ومستشفياتها الجديدة الواسعة قادرة على القضاء على كل مرض في مهده •

اما مخاطر استيلاء الرؤساء البدويين على منافع الاراضي فذلك يمكن القضاء عليه أيضا بأمرين : أولهما أن يتم اعطاء الاراضي للافراد

فحسب وثانيهما أن البدوى نفسه يميل الى الحرية والانفراد ميلا سيدفعه الى المطالبة بحقوقه دائما ٠

وعلى كل حال فان كل مشكلة ، فضلا عن هذه المشكلة الكبيرة ، يجب أن يتوقع منها المصلحون بعض المعاضل أو النتائج غير المرغوبة الا انها لا تقاس بالفوائد التى يمكن الحصول عليها ٠ كما لا تقاس هذه المشاكل بالوضع الحالى المؤسف !

فهارس الكتاب

فهرست عام بالاعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

فهرست عام بالامكنة

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

فهرست الخرائط

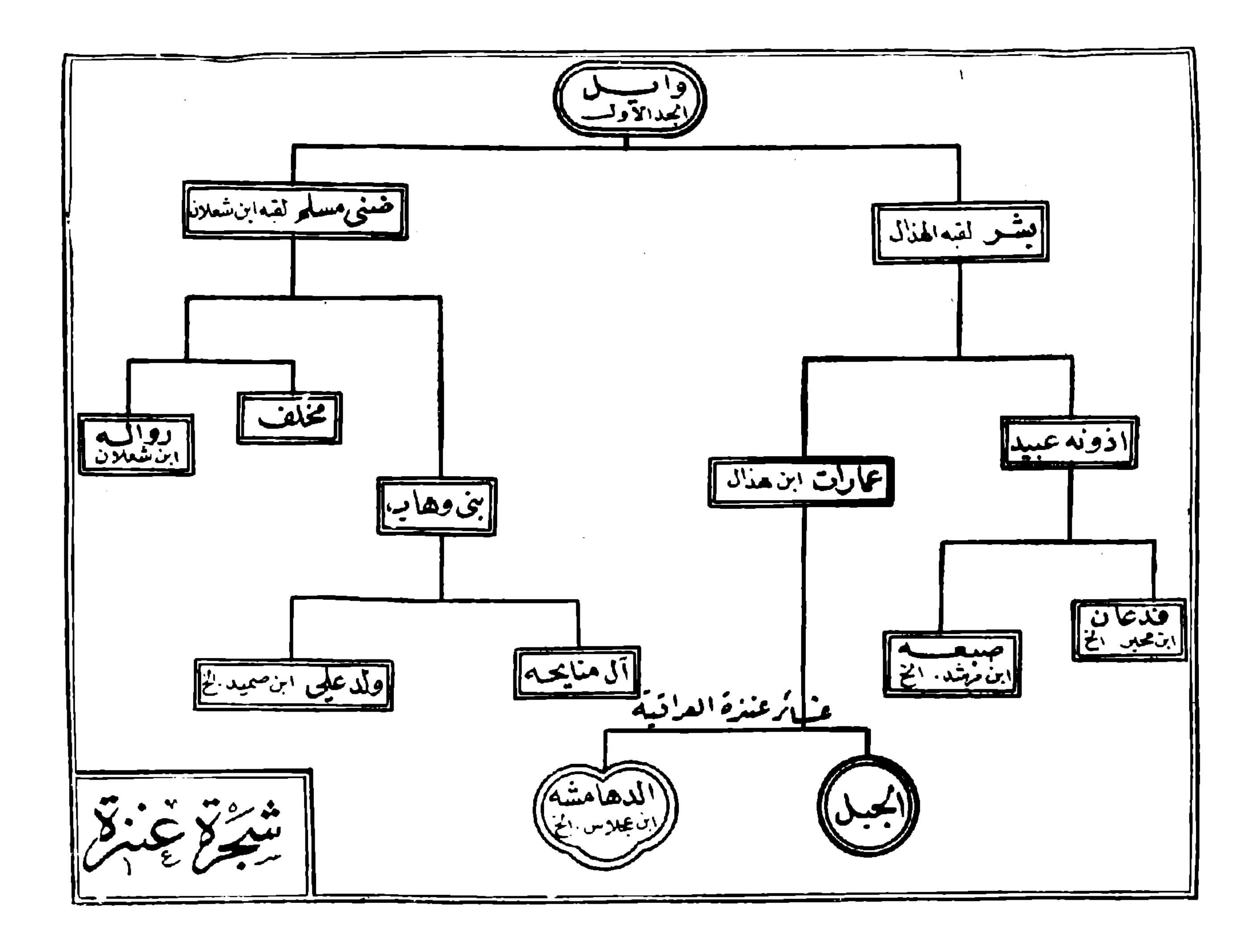
مصادر الكتاب

بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب .	..	تأليف محمود شكرى الآلوسى
حياة محمد (ص)	..	تأليف الدكتور محمد حسين هيكل .
عنوان المجد فى تاريخ بغداد والبصرة ونجد	..	
الاخيضر	..	صادر عن مديرية الآثار القديمة العامة .
البادية	..	تأليف عبدالجبار الراوى
الدولة والنظم الاقتصادية فى الشرق الاوسط	..	تأليف أ . بونيه . ترجمة الدكتور راشد البراوى
الجمهورية	..	
من جنة عدن الى عبور نهر الاردن	..	تأليف السر وليم والكوكس ترجمةالدكتور محمدالهاشمى
عوائد العرب	..	تأليف الخورى سوربولس
خمسة أعوام فى عمان ..	..	تأليف الارشمنديت بولس سليمان .
عشائر العميلات	..	للعلامة لطفى السيد
اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث	..	تأليف لونكريف
الشرق والغرب	..	تأليف أحمد أمين
البدو وبعض عوائدهم ..	..	شاهين مكاريوس
البدو	..	سليمان أفندى البستانى
الصليب	..	الاب انستاس الكرملى
نفسية البدو قبل الاسلام	..	الاب لامنس اليسوعى
فى اسكان العشائر نصف الرحالة	..	خليل جباره

الحضر .. .. مجلة سومر ج١ سنة ١٩٥٢
مجلة الزراعة .. .. ..
مجلة الابحاث .. .. ..
مجلة لغة العرب .. .. .. للاب انستاس مارى الكرملى
تقريرمونرو .. .. ..
تقرير المجلس الاستشـــارى
الزراعى ..
تقرير المؤتمر الهندسى ..
مقررات مؤتمر الخريجين ..
عرب الصحراء .. .. ..
دكسن
محاضرة الاســتاذ عبدالرزاق
الهلالى عن العشائر ..

فهرست المحتويات

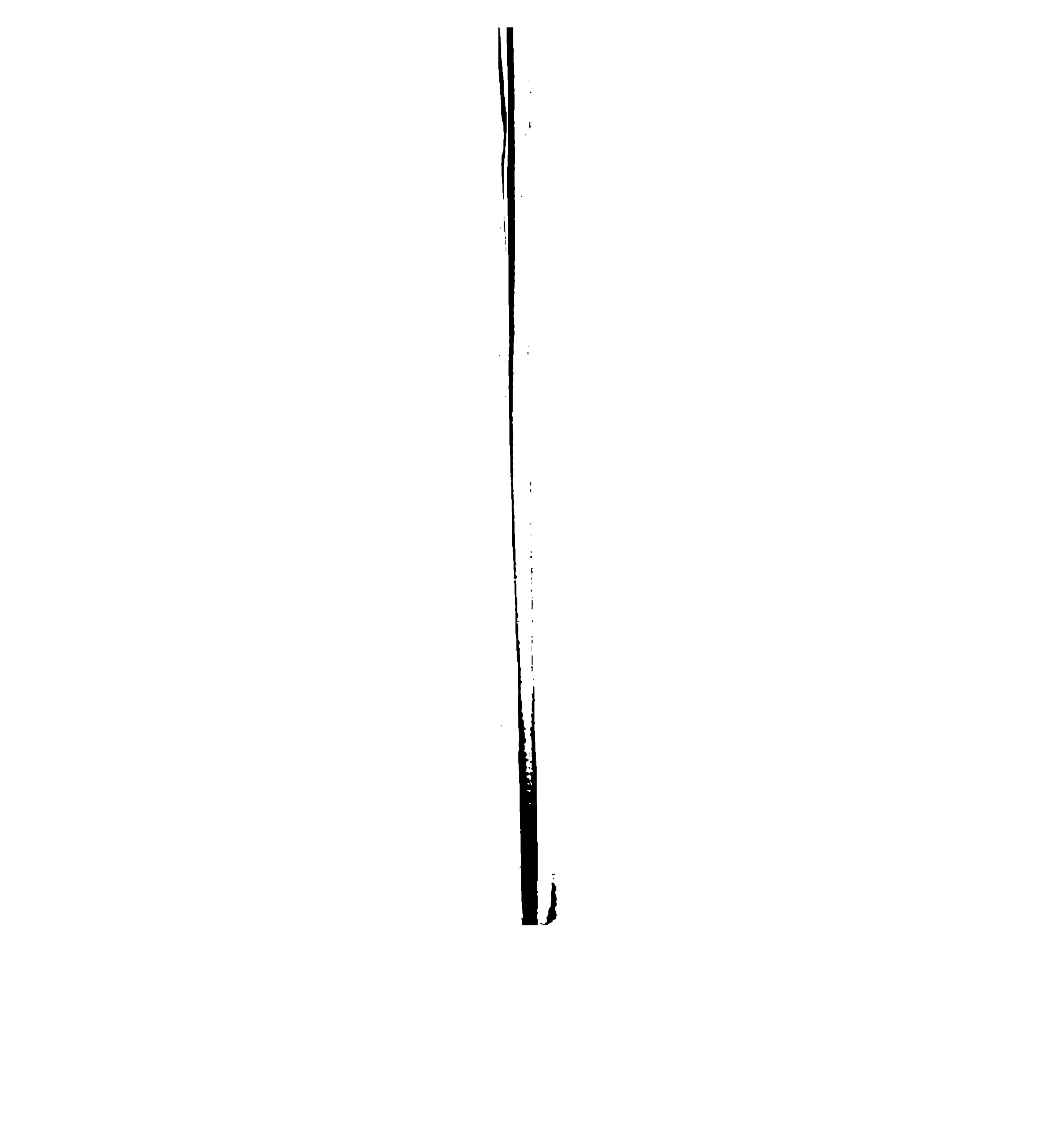
القسم الثانى



وايل
الجد الأول
بشر لقبه الهذال
ضنى مسلم لقبه ابن شعلان
اذونه عبيد
عمارات ابن هذال
فدعان
ابن مجلس الخ
صبعه
ابن مرشد. الخ
عشائر عنزة العراقية
الجبل
الدهامشه
ابن عجلاس. الخ
مخلف
رواله
ابن شعلان
بنى وهاب
آل منايحه
ولد على ابن صميد. الخ
شجرة عنزة

خارطة
الجزيرة العربية

البحر الأبيض المتوسط
قبرص
الموصل
شمر جربة
فدعان
صباعة
دمشق
زبيد
الدهامشة
العمارات
الحويطات
سيناء
بني عطية
مواهيب
البصرة
الكويت
عبدة
شمر
المطير
عتيبة
حرب
جهينة
العجمان
الخليج الفارسي
قحطان
المرة
عدة قبائل
ربع الخالي
بني يام
شهران
حاشد
عمان
جنابة
الرشيد
الكثير
عوامر



لواء الديوانية

لواء المنتفك

لواء البصرة

البصية

البادية الجنوبية

مخفر شرطة
خضر الماء

الكويت

منطقة الحياد

العوجة

الانصاب

سورية

لواء الدليم

لواء كربلاء

خط انابيب النفط كركوك - حيفا

الرطبة

البادية الشمالية

جبل عنيزة

جديدة عرعر

المعانية

السلمان

المملكة العربية السعودية

خارطة
البادية الشمالية والجنوبية

BEDOUINS

and Wandering Tribes of Iraq

By

Mekki El - Jamil

Al-Rabita Press Baghdad

1956

ثمن النسخة